الخشية الحقيقية لأن خشية الله بالعلانية قد يكون سببها مراعـاة للنـاس ويكون في هذه الخشية شيء من الشرك لأنـه يرائـي بهـا لكـن إذا كـان يخشى الله في مكان لا يطلع عليه إلا الله فهذا هو الخاشـع حقيقـة وكـم من إنسان عند النـاس لا يفعـل المعاصـي ولكـن فيمـا بينـه وبيـن نفسـه يتهاون بها نعم ، في إنسان حدثني شخص يقول : إنسان ظاهره الصـلاح حتى إنه ينكر إذا سمع الأغاني في الراديو أو في التلفزيون لكنه هـو فـي بيته يقتني الراديو والتلفزيون ويكب على سماع الأغاني هذا خشـي اللـه بالغيب ؟ لا ما خشي الله بـالغيب هـذا خشـي النـاس فـي الحقيقـة ولـم يخش الله عز وجل لأن الذي يخشى الله لابد أن يقوم بقلبه تعظيـم اللـه سبحانه وتعالى سواء بحضرة الناس أو بغيبة النـاس ، أيضـاً **((يخشـى الله بالغيب))** أي بما غاب عن الأبصار نظـراً وعـن الآذان سـمعاً وهـو خشية القلب وخشية القلب أعظم ملاحظة من خشية الجـوارح صـح وإلا لا ؟ خشية القلب أعظم مراقبة من خشية الجوارح لأن الذي يخشى الله بقلبه يكون مراقباً لله عز وجل ولحقه أكثر ولأنه يجب أن تراقـب خشـية القلب أكثر مما تراقب خشية الجوارح انتبهوا يا إخواني ، خشية الجـوارح بإمكان كل إنسان أن يقوم بها حتى في بيته كل إنسان يستطيع أن يقوم يصلي ولا يتحرك ينظر إلى موضع سجوده يرفع يديه موضع الرفـع يعنـي يستقيم استقامة تامة في ظـاهر الصـلاة لكـن القلـب غافـل أمـا خشـية القلب فهي الأصل وهي التي يجـب أن يراقبهـا الإنسـان ويحـرص عليهـا حرصاً تامـاً وهـذا معنـى قـوله : **((وخشي الرحمـن بـالغيب))** إذاً الصواب بل الراجـح مـن القـولين أن قـوله : **((بالغيب))** يعـود علـى الخاشي أي يخشـى اللـه تعـالى غائبـاً عـن الخلـق ويخشـى اللـه تعـالى بخشـية غائبـة لا تظهـر للعيـون ولا تسـمعها الآذان وهـي خشـية إيـش ؟ خشية القلب

أما قول المؤلف : " ولم يره " واعتبر أن الغيب هنـا حـال مـن المغشـي فهذا فيه نظر لأن الله عز وجل صحيح لا يرى ولكن آياته البينـة الظـاهرة كـأن الإنسـان يـرى ربـه ولهـذا قـال النـبي عليـه الصـلاة والسـلام : **(الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يـراك)** فآيات الله كلمـا تأمـل الإنسـان فيهـا سـواء الآيـات الكونيـة أو الآيـات الشرعية كلما تأمل فيها ظهر له وجود الخالق وظهر له كلما تضمنه هذه الآيات من صفاته ظهوراً بيناً كأنما يشـاهد اللـه عـز وجـل فالصـواب إذاً المعنى الأول لأننا نقول : وإن لم نر الله لكن نرى من آياته ما يدلنا دلالـة

قطعية يقينية إيش على إيه ؟ على وجوده وعظمته يقــول : ((**وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ**)) شوف قال : ((**تنذر**)) ثم قال : ((**فبشر**)) متقابلان تنذره فينتفع بالإنذار ، إذا انتفع بالإنذار حصل لـه الثواب فاستحق البشارة ولهذا قال : ((**فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ**)) هـو الجنـة ((**بمغفرة**)) للـذنوب ((**وأجـر كريـم**)) علـى فعـل الحسنات والكريم يتضمن كرم الذات العينة وكرم الصفات كقـول النـبي عليه الصلاة والسلام : (**إياك وكرائم أموالهم**) يعني الكريمة بذاتها وبصفاتها ، الأجر الكريم بذاته إذا نظرنا إلى نعيم الجنـة بـذاته وجـدنا أنـه كريم أكرم وأجمل وأحسن وأنفع من نعيم الجنة ففي الجنة فاكهة ونخـل ورمان وعسل وخمر إذا نسبت هذا إلى نعيم الدنيا وجدت أنـه أكـرم مـن نعيم الدنيا في ذاته ، في صفاته أيضاً طعمه ورائحته وغير ذلك هو أيضـاً أكرم واضح .

كريم أيضاً من حيث المقابلة فالحسنة بكم ؟ بعشر أمثالها إلى سـبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، الأجر في الدنيا يكون بقدر العوض ، تبيع على سيارة بعشرة آلاف قيمتها كم عشرة آلاف ما أعطيك إلا عشرة مـا أزيـد لكن في الآخرة آجر الآخرة أكرم وأعظم لأنك تبذل واحداً وتعطـى كـم ؟ عشرة إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كـثيرة فصـار كـرم الأجـر ، أجـر الآخرة من عدة وجوه في عينه وصـفته وإيـش ؟ ومقـابلته أو ومعاوضـته فإنه أعظم بكثير مـن عـوض الـدنيا وأجـر الـدنيا ، قـال المؤلـف : " **هو الجنة** " هذا تفسير المراد لا للمعنى ولا شك أن الجنة تشـتمل علـى مـا ذكرنا .

ثم قال تعالى : ((**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى**)) للبعث ((**وَنَكْتُبُ**)) فـي اللوح المحفوظ ((**مَا قَدَّمُوا**)) في حياتهم من خير وشر ليجازوا عليـه ((**وَآثَارَهُمْ**)) ما استن به بعدهم ((**وَكُلَّ شَيْءٍ**)) نفرغ من فعله ((**أحْصَيْنَاهُ**)) ضبطناه ((**فِي إِمَامٍ**)) في كتـاب بيـن ((**مُبِينٍ**)) هـو اللوح المحفوظ قال الله تعالى : ((**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ**)) أولاً : مناسبة هذه الآية بما قبلها لها مناسبتان :

المناسبة الأولى أنه لما ذكر حال من ينتفع بذكرى الرسول عليه الصلاة والسلام ومن لا ينتفع بين أن كلاً منهم سـوف يحيـى بعـد مـوته وسـوف يجازى على عمله فالمناسبة ظاهرة ففيها بشارة للمؤمن المنتـذر وفيهـا إنذار وتخويف لمن خالف

ثانياً : أن الله تعالى لما ذكر حال هؤلاء المكـذبين فـإن تكـذيبهم بمنزلـة الموت وإذا كان الله قادراً على إحياء الموتى إحياءً حسياً فهو قادر علـى إحياء هؤلاء الموتى بالكفر إحياء معنوياً فتكون المناسبة من وجهين قـال :

((**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى**)) ((**إنا**)) هذه ضمير جمع والله عـز وجـل واحد فتحمل هذه على أي شيء ؟ على التعظيـم قطعـاً ((**نَحْنُ نُحْـيِ الْمَوْتَى**)) ((**نحن**)) هذه ضمير فصـل لأنهـا لـو سـقطت وقيـل : إنـا نحي الموتى استقام الكلام فهي ضـمير فصـل للتخصـيص يعنـي نحـن لا غيرنـا ((**نحي المـوتى**)) جمـع ميـت ويشـمل المـوت مـن بنـي آدم وغيرهم لكن قوله : ((**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ**)) يدل علـى إيـش ؟ على التخصيص وهذا له نظائر في القرآن والسنة إذا جاء لفظ عام ثـم ذكر بعـده حكـم يختـص ببعـض أفـراده فهـل هـذا يخصـص العمـوم أو لا يخصصـه ؟ إذا نظرنـا إلـى تصـرف العلمـاء رحمهـم وجـدنا أنهـم أحيانـاً يجعلـونه مخصصـاً للعمـوم وأحيانًـا لا يجعلـونه مخصصـاً للعمـوم فمثلاً ((**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُـنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُـنَّ يُـؤْمِنَّ بِـاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ وَبُعُـولَتُهُنَّ أَحَـقُّ بِرَدِّهِـنَّ فِـي ذَلِـكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْـلاحًا**)) [البقرة:228]هذه الآية فيها عموم وفيها حكم يختـص ببعـض أفـراد هـذا العموم ، أين العموم يا غانم ؟

((**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**)) فإن هذا يشمل مـن لهـا رجعـة ومـن ليـس لهـا رجعـة هـذا العمـوم ثـم قـال بعـد ذلـك ((**بعولتهن**)) أي بعولة المطلقـات ((**أَحَقُّ بِرَدِّهِـنَّ فِـي ذَلِـكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا**)) هذا الحكم يختص بمـن ؟ بالرجعيـات فهـل نقـول إن المراد بالمطلقات في قوله : ((**المطلقـات يتربصـن**)) المـراد بهـا الرجعيات أو هو عام ؟ نعم أكثر العلماء على أنه عام

نأتي إلى السنة قال جابر : " قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل ما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة " فـي هذا عموم وفي هذا حكم تعقبه يختص ببعـض أفـراد هـذا العمـوم ، فهـل نأخذ بالعموم أو نأخـذ بمـا يقتضـيه هـذا الحكـم المعقـب ؟ أو المعقـب ، المعقَّب أصح ، طيب قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كـل ما لم يقسم وإيش يشمل ؟ كل مـا لا يقسـم حـتى لـو كـان بينـي وبينـك سيارة وقلت نصيبك منها فلي الشفعة ولا لا ؟ إننا نأخذ بالعموم في كـل

ما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطـرق فلا شـفعة هـذا يختـص بإيش ؟ بالأراضي فهل نقول إن قوله : " في كل ما لـم يقسـم " يختـص بالأراضي مثل الحكم المفرع ؟ ونقول إذا كان شريكان في سـيارة وبـاع أحدهما نصيبه فلا شفعة للثاني أو نقول نأخذ بالعموم ونجعل هذا الحكـم الخاص لبعض أفراده يختص به ؟ فيه أيضاً خلاف هذه المسألة التي نحن فيها الآن ((**إنا نحن نحي الموتى**)) إيـش تشـمل ؟ كـل ميـت حـتى البهائم ((**ونكتب ما قدموا وآثارهم**)) هـذا خـاص بـالمكلفين فهـل نقـول : ((**إنا نحـن نحـي المـوتى**)) مـن المكلفيـن بـدليل قـوله : ((**ونكتب ما قدموا**)) أو نقول هو عام وتعقيبـه بحكـم يختـص ببعـض أفراده لا يقتضي التخصيص ؟ طيب عام ينبني علـى الخلاف يـا إخـواني ، العلماء كما تشاهدون يختلفون فـي مثـل هـذا فنحـن نقـول : ممكـن أن نقول الموتى الذين تكتب لهم ما قدموا وآثارهم بدليل قوله : ((**ونكتب ما قدموا وآثارهم**)) وقد يقول القائل : أنـا ....العمـوم ((**إنا نحـن نحي المـوتى**)) كـل ميـت ((**ونكتـب مـا قـدموا**)) بعضـهم وهـم المكلفون ، طيب المهم انتهى الوقت .

((**إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِـيَ الرَّحْمَـنَ بِـالْغَيْبِ فَبَشِّـرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ**)) ذكـر وصـفين : الـذي يتبـع الـذكر ، وذكرنـا أن اتباع الذكر يكون بأمرين : الأول .

الطالب : .....

الشيخ : نعم تصديق الأخبار واعتقاد مقتضاها والثـاني : العمـل بالأحكـام فعل للمأمور وتركاً للمحـذور ، والوصـف الثـاني : ((**خشي الرحمـن بالغيب**)) والخشية .

الطالب : .....

الشيخ : الخوف عن علم بعظمة المخوف دليل ذلك يا عبـد الرحمـن بـن داود ؟

الطالب : .....

الشيخ : دليل أن الخشية هي الخوف مع العلم بهذا المخشي .

الطالب : ((**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**))[فاطر:28]

الشيخ : ((**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَـاءُ**)) طيـب وذكرنـا أن قـوله : ((**بالغيب**)) يحتمـل وجهيـن أحـدهما ذكـره المؤلـف والثـاني ذكرناه نحن .

الطالب : .....

((**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**)) قال : ((**وكل شيء**)) نصبه بفعل يفسره ((**أحصيناه**)) ((**كـل شـيء**)) ((**كـل**)) هـذه مفعول لفعل محذوف يفسره قوله : ((**أحصيناه**)) وعلـى هـذا يكـون التقدير أحصينا كل شيء ولا تجمع بيـن المفسـر والمفسـر يعنـي لا تقـل التقدير أحصينا كل شيء أحصيناه لأنـه لا يجمـع بيـن المفسـر والمفسـر فإذا أردت أن تقدر تقول التقدير وأحصينا كل شيء في إمام مبين ، لكـن قدم يعني جعلت الصيغة على هذا الوجه ليكون المسند في ذكر المسـند إليه مرتين ، لأن ((**كل شيء**)) والضمير في ((**أحصيناه**)) يعـودان على شيء واحد فيكون هنا ذكر المعمول مرتين ، مرة على أنـه مفعـول بفعل مقدر ومرة على أنه ضمير لذلك المذكور وهو قوله : ((**أحصيناه**)) هذا التركيب يسمى عند النحويين إيش ؟ يسمى الاشتغال والاشـتغال تجري فيه الأحكـام الخمسـة الوجـوب والاسـتحباب والإباحـة والكراهيـة والتحريم لكن هذا وجوب نحوي ما وجوب شرعي يعني تارة يجـب نصـبه وتارة يمتنع وتارة يترجح نصبه وتارة يترجح رفعه وتارة يستوي الأمـران ، في مثل هذا التركيب ما الذي يترجـح ؟ طبعـاً سـتقولون يترجـح النصـب بدون تردد لأنهـا منصـوبة الآن ، يترجـح النصـب لمـاذا ؟ لأن الجملـة هنـا معطوفة على جملة فعلية فـإذا جعلنـاه مفعـولاً لفعـل محـذوف صـارت الجملة المعطوفـة إيـش ؟ فعليـة وإلا اسـمية ؟ صـارت فعليـة وتناسـب الجملتين أولى من تضادهما هذا معلـوم وإلا لا ؟ طيـب قلنـا إن هـذا مـن بـاب الاشـتغال طيـب وترجـح النصـب هنـا لأن قـوله : ((**أحصيناه**)) معطوف على قوله : ((**نكتب ما قـدموا وآثـارهم**)) أرجـوا الانتبـاه فـإذا جعلنـا الـواو حـرف عطـف والجملـة فعليـة ((**أحصيناه**)) صـار المعطوف جملة أتموا فعلية على جملة فعلية ولو رفعنا هـو جـائز الرفـع هنا لكـن النصـب أرجـح ، لـو رفعنـاه وقلنـا وكـلٌّ شـيء أحصـيناه ، صـار العطف هنا عطف جملة اسمية علـى جملـة فعليـة أيهمـا أنسـب ؟ الأول أنسب أن نعطف جملة فعلية على جملة فعلية ولهذا نقـول : إن النصـب هنا أرجح مع جواز الرفع لولا أنـه فـي كلام اللـه ولا يغيـر لكـان يجـوز أن نقول وكلٌّ شيء أحصيناه فهمتم وإلا لا ؟ ولهذا لو قلنا زيـد ضـربته يجـوز أن أقول زيداً ضربته ، لكن أيهما أرجح ؟ الرفع لأنه الأصل ولا فـي جملـة نعطف عليها شيء لكن لو قلت ضربت زيداً وعمـر أكرمتـه ، يجـوز فـي عمر أكرمته النصب ويجوز الرفع لكن أيهمـا أرجـح ؟ النصـب لأنـي قلـت ضـربت زيـداً جملـة فعليـة والجملـة الفعليـة عنـدكم معروفـة مـاهي ؟

المبدوءة بالفعل ضربت زيداً أقول وعمراً أكرمته ويجـوز وعمـرٌ أكرمتـه لكن الأول أولى لتناسـب الجملـتين طيـب نحـن ذكرنـا هـذا علـى سـبيل الاستطراد ولا ليس الدرس درس نحو لكن هذه القاعدة إذا جاءت جملـة فيها اشتغال فإن كانت ابتدائية أو معطوفة علـى جملـة اسـمية فالراجـح الرفع وإن كانت معطوفة على جملة فعلية فالراجـح النصـب طيـب قـال الله تعالى : ((**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَـا قَـدَّمُوا وَآثَـارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**)) ((**نكتب**)) هل الذي يكتب الله عز وجل أو الملائكة بأمر اللـه ؟ الملائكـة بـأمر اللـه لقـوله تعـالى : ((**كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ**))[الانفطـار :9 10]وإسناد الكتابة إلى الآمر موجود في اللغة العربية كثيرة يقول السـيد كتبت كذا وكذا والمراد كتبه عبيده ، فهنا ((**نكتب**)) يقول الله عز وجل ((**نكتب**)) والمراد بملائكته دليل ذلك ، نحتاج إلى دليل وإلا كان يقـول ليش تصرفه عـن ظـاهره ؟ دليـل ذلـك ((**كَلَّا بَلْ تُكَـذِّبُونَ بِالـدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَـا تَفْعَلُـونَ**))[الانفطار 11:12]وقوله : ((**نكتب مـا قـدموا**)) أي مـا قـدموه فـي الدنيا من أعمال صالحة لأن كل إنسان يعمل عملاً صالحاً في الدنيا فـإنه قد قدمه بمنزلة السلم ، تعرفون السلم في البيع المشتري يقـدم الثمـن أنت الآن مقدم للثمن ، المثمن متى يكون ؟ يكون يوم القيامة وقد يكون في الدنيا ويوم القيامة جميعاً ، فـأنت الآن إذا عملـت عملاً صـالحاً فقـد قدمت لنفسك الآن ثمناً تأخـذ عوضـه يـوم القيامـة ثـق بهـذا وأن اللـه لا يضيع أجـر مـن أحسـن عملاً ، وقـوله : ((**نكتب مـا قـدموا**)) يقـول المؤلف : " **نكتب في اللوح المحفوظ ما قـدموا فـي حيـاتهم** " هكـذا مشـى عليـه المؤلـف أن المـراد بالكتابـة هنـا الكتابـة فـي اللـوح المحفوظ وهذا التفسير مخالف لظـاهر اللفـظ لأن قـوله : ((**نكتب**)) فعل مضارع والمضارع لا يحمل على الماضي إلا بدليل لفظي ، كلم مثلاً إذا دخلت على المضارع جعلته ماضياً أو دليل حالي يدل عليـه السـياق ، وهنا لا دليل على أن المراد ((**نكتب**)) فـي اللـوح المحفـوظ ، الكتابـة في اللوح المحفوظ انتهـت وإلا لا ؟ انتهـت كمـا قـال تعـالى : ((**وَلَقَدْ كَتَبْنَـا فِـي الزَّبُـورِ مِـنْ بَعْـدِ الـذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَـا عِبَـادِيَ الصَّالِحُونَ**))[الأنبياء:105]اللوح المحفوظ انتهت كتـابته ولا يمكـن أن تصاغ ((**نكتب**)) لشيء انتهى ولكن المراد

((نكتب)) يعني بواسطة الملائكة تكتب ما قدموا والملائكة تكتب وإلا كتبت ؟ تكتب إذاً الصواب نكتب في صحائف الأعمال والذين يكتبون الملائكة بأمر الله عز وجل ، **((ما قدموا))** في حياتهم من خير وشر ليجازوا عليه ، يكتب الله عز وجل ما قدم الإنسان من خير وشر لكن ما قدمه من خير فهو مضمون وما قدمه من شر فليس بمضمون صح نعم لأن الخير لا يمكن أن يضيع أمره بشيء والشر قد يعفو الله عنه إذا لم يكن شركاً لقوله تعالى : **((إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ))**[النساء:48]وهذا من مصلحة الإنسان إذا كان غير مضمون وإلا من غير مصلحته ؟ من مصلحته نعم قال : **((وآثارهم))** ما استن به بعدهم طيب الآثار جمع أثر والأثر ما أعقب الشيء ومنه أثر القدم بعد المشي فإنه يعقبه فما المراد بآثارهم ؟ قال المؤلف : " **ما استن به بعدهم** " وهذا التفسير كمثال وليس حصراً لأن الذي يكتب الآثار أكثر مما استن به بعدهم لقول النبي عليه الصلاة والسلام : **(إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)** فمثلاً الصدقة الجارية هذه من آثارهم وإلا مما قدموا ؟ لا ، من آثارهم أيضاً هذا إذا أوقف الإنسان إذا أوقف مزرعة أو بستاناً على الفقراء وانتفعوا به بعد موته صار هذا من الآثار بلا شك وإن كان أصل التقديم في حياته لكنه النفع صار بعد مماته ، العلم النافع من آثارهم ، كل ما انتفع به بعد موته من علم فهو من آثارهم ، الولد الصالح أيضاً من آثاره لأن الولد من كسب الإنسان فإذا كان ولد صالح يدعو لأبيه أو أمه فهو من الآثار طيب ما اقتدى به الناس بعده من الأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة فهو أيضاً من الآثار إذاً ما ذكره المؤلف على سبيل المثال وهذا الذي قاله المؤلف أن المراد بالآثار ما كان من بعد موت الإنسان هذا هو الصحيح .

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالآثار ، الآثار التي يتقدمون بها إلى الطاعة كالمشي إلى الصلوات فإن الله تعالى يكتب للإنسان كل خطوة فيرفع له بها درجة ويحط بها عنه خطيئة واستدل هؤلاء بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبني سلمة قال لهم : **(دياركم تكتب آثاركم)** فجعل الرسول عليه الصلاة والسلام الآثار تكتب ولكن هذا الاستدلال فيها نظر لأن قول الرسول : **(تكتب آثاركم)** هذا مما قدموه في حياتهم أليس كذلك ؟ ولكنه سماه أثراً لأنه نعم أثر هو الممشى والمسير فالصواب أن الآية كما قال المؤلف أن المراد بـ**((ما**

قدموا)) " **ما سبق من أعمالهم الصالحة في حياتهم حتى آثار مسيرهم إلى المساجد** " وآثارهم ما كان بعد موتهم طيب قال : **((وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ))** قال المؤلف : **((أحصيناه))** " **ضبطناه** " والإحصاء بمعنى الضبط مأخوذ من الحصا لأن العرب كما نعلم أمة أمية ما يكتبون يضبطون الأشياء بالحصى أو شبهها ويقدرون بالرمح وما أشبهه ما يقرءون ولا يكتبون فكانوا إذا أرادوا ضبط الشيء أخذوا حصى كم عدد القوم قال تفضل أعطاك كيس الحصى ، ويعده وإلا لا ؟ إذا عدها خلاص عدد القوم ولهذا قال الشاعر :

" **ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكافر**"

"**ولست بالأكثر منهم حصى**" يعني قومك مش كثيرين نعم "وإنما العزة للكافر" ويضرب المثل فيقال جاء القوم كثر الحصى نعم على كل حال **((أحصيناه))** ضبطناه وسمي الضبط إحصاء لأن العرب كانت تضبط الشيء بالحصى قال **((أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ))** كتاب بين وهو اللوح المحفوظ هذا صحيح **((في إمام))** الإمام يطلق على عدة معان يجمعها أنه مرجع فإمام الصلاة مثلاً إمام لأنه مرجع للمؤمنين يقتدون به وإمام الحكم كذلك مرجع يرجع الناس إليه والكتاب إمام لأنه مرجع كما قال الله تعالى **((وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا))** [الإسراء 13:14]إذاً **((في إمام))** في كتاب وقوله : **((مبين))** يقول : " **بمعنى بين** " لأن مبين هنا من الرباعي ولا من الثلاثي ؟ من الرباعي من أبان يبين فهو مبين أما بين فهي من الثلاثي من بان يبين فهو بين وكلمة بان وأبان تأتيان بمعنى واحداً فيقال بان الصبح وأبان الصبح وتنفرد أبان بأنها تأتي بمعنى أظهر وأوضح أبان الشيء يعني أظهره وأوضحه عرفتم فإذا جاءت كلمة مبين في القرآن الكريم فإنها تصلح بأن تكون بمعنى بين وتصلح أن تكون بمعنى مظهر وموضح لكن ليست كل موضع جاءت فيه تصلح للوجهين جميعاً لا قد تكون في موضع لا تصلح إلا بين نعم فمثلاً

((وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ))[آل عمران: 164]معناها بين ظاهر لكن **((حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ))**[الزخرف: 2]بمعنى البين ولا الموضح ؟ الموضح وهو إذا كان موضحاً فهو واضح لكنها هنا مبين بمعنى مظهر أبين يعني أبين في المعنى على كل حال إذا جاءتكم كلمة مبين صلحت فإن تكون من الرباعي الذي بمعنى أظهر

فهو أولى من تفسيرها بالرباعي الذي بمعنى ظهـر عرفتـم لأن المظهـر جامع بين الظهـور بنفسـه والإظهـار لغيـره فيكـون معنـاه أشـمل قـال : ((**في إمـام مـبين**)) يقـول المؤلـف الإمـام المـبين: " **أنـه اللـوح المحفوظ** " وهذا صحيح يعني محتمل فإن اللوح المحفـوظ كتبـت فيـه أعمال العباد ولكن هنا ((**مبين**)) هـل الأنسـب أن تكـون كمـا فسـرها المؤلف بين أو ((**مبين**)) بمعنى مظهر ؟ أيهمـا أولـى ؟ الأصـح الأخيـر يستلزم المعنى الأول هل المعنى إنـه كتـاب بيـن وإلا كتـاب مـبين يظهـر الحقائق ؟ الظاهر أن المعنى الأخير أولى لأن هـذا الكتـاب مـبين للأمـور موضح لها وكما قلنا ما كان مبيناً فهو بين نعم .

الطالب : ...؟

الشيخ : لا ، صالح لأن تكون كما قـال المؤلـف : " **اللوح المحفـوظ** " لأنه يقول : ((**أحصيناه**)) وإضح أنه قد انتهى ويجوز أن تكون صحائف الأعمال لقوله تعالى : ((**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَـى بِنَفْسِـكَ الْيَـوْمَ عَلَيْـكَ حَسِيبًا**))

ثـم قـال اللـه تعـالى : ((**وَاضْـرِبْ لَهُـمْ مَثَلًا أَصْـحَابَ الْقَرْيَـةِ**)) ((**اضرب**)) قال بمعنـى : " **اجعل** " وهـذا لاشـك أنـه معنـى مقـرب بمعنـى ضـرب مثلاً أي جعـل مثلاً وقيـل إن اضـرب بمعنـى اتخـذ ، لأن الضرب يدل عل صناعة وتكييف ومنه ضرب الذهب خاتماً ضرب الـذهب حلياً ضرب الذهب سكة يعني نقوداً بمعنى اتخذه حلياً اتخـذه سـكة ومـا أشبه ذلك فشبه ذكر المثل للاعتبار به بصناعة الشيء لأن المثل يشـتمل غالباً على هيئة متكاملة مركبة من أجزاء متعددة ولهذا لا يأتي المثل في تشبيه مفرد بمفرد إنما يأتي المثـل فـي تشـبيه إيـش ؟ صـورة مشـتملة على أجزاء متعددة في صورة أنتم فاهمين ولهـذا سـمي ضـرب مثـل أي صنع مثل كما نصنع الأواني والخواتم وغيرها من معادنها وقال المؤلـف : ((**اضرب لهم مثلاً**)) قـال : ((**مثلاً**)) مفعـول أول ، ((**أصـحاب القرية**)) مفعول ثاني ، هذا الظاهر أنه سهو مـن المؤلـف ، والصـواب العكـس لأن المفـروض معـه أصـحاب القريـة فيكونـون المفعـول الأول ومثلاً هو المفعـول الثـاني ففـي إعـراب المؤلـف انقلاب ، والصـواب أن ((**أصحاب القرية**)) مفعول أول و ((**مثلاً**)) مفعول ثـان أي اجعـل أصحاب القرية لهـؤلاء المكـذبين لـك اجعلهـم مثلاً يعتـبرون بـه والمَثـل والمِثل كالشبه والشبه يعني اجعله أمراً مشـابهاً حـتى يتعظـوا بـه ، ومـا يمكن أن نكمل الآن .

قوله : ((**مثلاً أصحاب القرية**)) ما في سؤال يأتي وقت السؤال إن شاء الله

((**وَاضْـرِبْ لَهُـمْ مَثَلًا أَصْـحَابَ الْقَرْيَـةِ**)) كلمـة ((**اضـرب**)) الخطاب فيها للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل من يتأتى خطابه سبق لنا أن مثل هذا تارة يكون صريحاً في أنه عام وتارة يكون صريحاً في أنه خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم وتارة يحتمل الوجهين ، فمن الأشياء التي هي صريحة في خصوصية هذا الرسول عليه الصلاة والسلام قوله تعالى : ((**ألم نشرح لك صدرك**)) فهنا الخطاب لمن للرسول عليه الصلاة والسلام قطعاً ومن الأشياء الصريحة بأنه عام مثل قوله : ((**يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ**))[الطلاق:1]ولم يقل إذا طلقت فدل على أن الخطاب الأول يراد به العموم وأما احتمال أن يكون خاصاً بالرسول أو عاماً فهو كثير في القرآن فما هو الأرجح أن نجعله خاصاً أو عاماً ؟ الأرجح أن نجعله عاماً لأنه أشمل إذا جعلناه عاماً شمل الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره ، إذاً ممكن أن نقول لأي داعية الآن اضرب مثلاً للمكذبين بهذه القضية قال : ((**أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ**)) قال المؤلف : " **أنطاكيا** " هذه القرية فجعل أل للعهد الذهني يعني كأنها قرية معروفة مفهومة ولكن هذا القول ضعفه ابن كثير في التفسير وقال إن هذا غير معروف في أنطاكيا وأنطاكيا ما دمرت ولا أهلك أهلها ولا ينطبق هذا المثل عليها بوجه من الوجوه وعلى هذا فيكون المراد بالقرية هنا قرية غير معينة وتكون أل لإيش ؟ للجنس يعني اضرب لهم مثل بقرية غير معينة تكون أل للجنس لا للعهد وهذا هو الصحيح وذلك لأن الله لو كان في بيان هذه القرية بعينها مصلحة نعم لبينها الله عز وجل وليس المقصود كما مر علينا كثيراً تعيين الأشخاص أو الأماكن أو الأزمان ليس فيه كبير فائدة في الغالب ، المقصود العبرة في القصة وما وقع نعم ولهذا نرى بعض العلماء يتكلفون مثلاً فيما إذا جاء اسم رجل في حديث مبهم يتكلفون في طلب تعيينه وليس هذا بلازم اللهم إلا يترتب على تعيينه اختلاف في الحكم أو إظهار للمعنى فهذا شيء آخر على كل حال هنا نحن لا يعنينا أن نعرف ما هي القرية ومن هم أهلها الذي يعنينا إيش ؟ العبرة بما جرى في هذه القصة ، إذاً الصواب عدم تعيينها بأنطاكيا

((**إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ**)) إلى آخره بدل اشتمال من أصحاب القرية ((**إذ**)) بدل اشتمال من أصحاب القرية فتكون في محل نصب لأن

((**أصحاب**)) منصوبة والبدل يتبع في الإعراب المبدل منه فيكون ((**إذ جاءها المرسلون**)) في محل نصب على أنه بدل من أصحاب القرية قال : ((**إذا جاءها**)) أي القرية

((**المرسلون**)) قال المؤلف : " **أي رسل عيسى** " وهذا القول ليس بصحيح ولا دليل عليه بل ((**جاءها المرسلون**)) الذين من جنس قوله في أول السورة : ((**إنك لمن المرسلين**)) ((**جاءها المرسلون**)) الذين هم من جنس هؤلاء وعلى هذا فهم رسل من عند الله عز وجل وليسوا من قبل عيسى صلى الله عليه وسلم ، قال في تفصيل هذا المجيء وهذه القصة : ((**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ**)) وهذا من عجائب القول أن نقول أي رسل عيسى مع أن الله يقول : ((**إذ أرسلنا**)) ولم يقل إذ أرسل إليهم عيسى بل قال : ((**إذ أرسلنا**)) وعلى هذا فيتعين يا خليل أن يكون المراد بالرسل المرسلون هنا رسلاً من عند الله ((**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ**)) ((**إليهم**)) أي إلى أصحاب القرية ((**اثنين**)) من هؤلاء الثلاثة

((**فَكَذَّبُوهُمَا**)) إلى آخره يقول بدل من إذ الأولى وين إذ الأولى ((**إذ جاءها _ إذ أرسلنا**)) ((**إذ جاءها**)) هذه بدل من ((**أصحاب**)) و ((**إذ أرسلنا**)) بدل من ((**إذ جاءها**)) لأنها في الحقيقة بيان لكيفية هذا المجيء((**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا**)) التكذيب رد الخبر ونسبته إلى خلاف الواقع هذا هو التكذيب فهؤلاء كذبوهم وقالوا : هذا أمر ليس بصحيح ولستم برسل فماذا كان ؟ قال الله تعالى : ((**فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ**)) بالتخفيف والتشديد ((**عَزَّزْنَا**)) ((**عززنا**)) التخفيف والقراءتان سبعيتان يعني المؤلف ذكرهما على حد سواء معنى ((**عَزَّزْنَا**)) قال : " قوينا الاثنين بثالث " يعني لما كذب الاثنان أرسل الله ثالثاً معهما لأجل التقوية وهذا كقول موسى عليه السلام لما أرسله الله تعالى إلى فرعون قال : ((**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**))[طه 31:3 2]طيب إذاً زيادة الواحد يقوي بلا شك ونحن نشاهد حتى في أمرنا الواقع إذا قال شخصاً قولاً ثم أيده به آخر ازداد قوة ونشاطاً في تقرير هذا القول وتثبيته قال : ((**فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا**)) الضمير يعود على الثلاثة ((**إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ**)) أتوا بالجملة المؤكدة بإن لأن الحال تقتضي ذلك فهم قد كذبوا بالأول وأنكروا فجاءت الجملة الثانية مؤكدة لأن المقام مقام تكذيب ولكن لو قال قائل لماذا لم تؤكد بأكثر

من مؤكد ؟ قلنا هي أكدت بأكثر من مؤكـد ، أكـدت بمؤكـد واحـد لفظـي وهو ((**إن**)) وأكدت بمؤكـد معنـوي وهـو زيـادة الرسـول ولهـذا قـال : ((**عززنا بثالث**)) إذا صار فيها مؤكدان وإلا لا ؟ المؤكد الأول الرسول زيادة والمؤكد الثاني ((**إن**)) ولهذا لو قال قائل هل المقـام هنـا مقـام تأكيد على سبيل الاستحسان وإلا على سبيل الوجوب ؟ قلنا علـى سـبيل الوجوب فإذا قال : القاعدة إنه على سبيل الوجـوب فـإن التأكيـد يتكـرر يعني يؤتي بإن، بـإن واللام إن والقسـم ، إن والقسـم واللام يعنـي يكـرر المؤكد قلنا هذا المؤكـد مكـرر لكنـه مـن نـوعين التأكيـد بـاللفظ ((**إنا إليكـم**)) وتأكيـد بـالمعنى تقـويتهم بثـالث ((**فقـالوا إنـا إليكـم لمرسلون**)) مرسلون من قبـل مـن ؟ مـن قبـل اللـه عـز وجـل وهـم يعلمون ذلك أنهم ما ادعوا الرسالة لشخص وإنما هي من الله

كان جوابه هؤلاء جواب غيرهم من المكـذبين ، المكـذبون يـردون أقـوال الرسول بنفي وإثبات أحياناً بنفي وأحياناً بإثبات ففي النفي يقولـون : ((**ما أنتم إلا بشر مثلنا**)) كمـا قـال اللـه تعـالى : ((**أَلَمْ يَـأْتِهِمْ نَبَـأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**))[التوبة:70]

((**قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**)) يعني نسلم إننا بشر مثلكم ((**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**)) [إبراهيم:11]هذا جواب بالنفي يعني أنتم بشر لستم ملائكة حتى نقبل ، أحياناً بالإثبات

((**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**))[الذاريات:52]فصاروا أحياناً يتهمون الرسل بالسحر والجنون وأحياناً بالنفي يقولون ما أنتم ملائكة حتى تكونوا رسلاً إلينا ، ما أنتم إلا بشر مثلنا ، إذاً ليس ببدع أن يقول أصحاب هذه القرية لهؤلاء الرسل ((**ما أنتم إلا بشر مثلنا**)) ثم قالوا : ((**وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ**)) فأنكروا الرسالة من حيث جنس الرسول وأنه بشر وأنكروا الرسالة إنكار جحود بلا مبرر ((**مَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ**)) ما الذي يمنع ما ذكروا حجة ((**إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ**)) قوله : ((**مَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ**)) هذه الجملة كما نشاهد نفي و ((**من شيء**)) نكرة في سياق النفي فتعم ثم إن هذه النكرة مؤكدة بماذا ؟ بمن الزائدة لأن قوله : ((**من شيء**)) بمعنى شيئاً وقوله : ((**إن أنتم**)) ((**إن**)) هنا بمعنى ما ففي الجملة حصر طريقه النفي والإثبات ((**إن أنتم**)) يعني ما أنتم ((**إلا تكذبون**)) وهذا الحصر والعياذ بالله حصر هم يرونه حقيقة ....أو إضافي السؤال الآن هل هو حقيقي أو إضافي ؟ ما أنتم إلا تكذبون .

الطالب : ...

الشيخ : كيف ؟

الطالب : .....

الشيخ : يعني ما أنتم إلا تكذبون فيما تدعون من الرسالة ولا يلزم أن يدعوا أنهم كاذبون في كل شيء لكن فيما ذكروا من الرسالة فصار إنكارهم مبني على أمرين :

الأول : أنهم بشر يعني كأنهم يقولون لو كنتم رسلاً لكنتم ملائكة .

ثانياً : النفي الذي لم يبن على شيء مجرد إنكار ومكابرة ((**مَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ**)) وهذا بلا شك من سفههم لأن إنزال الوحي على الرسل لهداية الخلق أمر يوجبه العقل فضلاً عن الشرع لأن العباد لا يمكن أن يتعبدوا لله سبحانه وتعالى إلا بشيء شرعه ونصبه لهم دليلاً عليه وإلا فكيف يتعبدون فإنزال الله تعالى الوحي للبشر أمر يقتضي العقل وجوبه مع أن الله قد أوجبه على نفسه كما قال

تعالى : ((**وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ**))[يس:17]اللـه أوجـب علـى نفسه أن يبلغوا عباده سبحانه وتعالى ما يوصـلهم إليـه وإلا لضـلوا طيـب إذاً هذه المكابرة ((**مَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِـنْ شَـيْءٍ**)) هـذه المكـابرة يكذبها إيش ؟ العقل والشرع لأن العقل يوجب أن ينزل الله علـى العبـاد شريعة يتعبدون بها له لتوصلهم إليه إذ أن العقل لا يهتدي كيف يعبـد اللـه ؟ الشرع أوجب الله على نفسه أن يبلغ عباده شريعته قـال اللـه تعـالى : ((**وَمَا عَلَيْنَا**)) استغفر الله العظيم

((**وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ**)) هذا كلام الرسل لكن قـال اللـه عـز وجل : ((**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى * وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى**))[الليل 121 13:]وقال تعالى في القرآن الكريم : ((**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**))[القيامة: 19]إذاً استدلالنا فـي الآيـة الأولـى يعتـبر خطـأ ، الاسـتدلال فـي قـوله : ((**إن علينا للهدى**)) حيث أوجب الله علـى نفسـه أن يهـدي عبـاده ، وهذه هداية البلاغ ولا هدايـة التوفيـق ؟ البلاغ ولـو كـانت هدايـة التوفيـق لاهتدى كل أحد ، طيب قال : ((**وَمَا أَنـزَلَ الرَّحْمَـنُ مِـنْ شَـيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ**)) ما هو الكذب ؟ هـو الإخبـار بخلاف الواقـع إذاً أنتـم أخبرتمونا أنكم رسل والواقع أنكم لستم برسل ، ماذا قالوا لهم ؟

قال الله عز وجـل : ((**قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَـمُ إِنَّـا إِلَيْكُـمْ لَمُرْسَـلُونَ**)) شوف الآن أكدوا الرسالة بثلاثة مؤكدات : الأول : ((**ربنا يعلـم**)) لأن هـذا جـار مجـرى القسـم ، والثـاني : ((**إن**)) والثـالث : ((**اللام**)) ، لشدة إنكارهم فإذا قلنا هذه ثلاثة مؤكـدات مـع التأكيـد الأول وهـو زيـادة الثالث صار أكدت الرسالة بأربعة مؤكدات

طيب ، ((**قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ**)) قال المؤلـف : " جـارٍ مجـرى القسم وزيد التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الإنكـار " نعـم واضـح ، صار أربعة مؤكدات لكن المؤلف لم يعتبر تأكيد الإرسال مـع أنـه بلا شـك مؤكد قال : ((**إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ**)) نعم لزيـادة الإنكـار فـي ((**إنا إليكم لمرسـلون**)) هـذا بيـان لزيـادة التأكيـد بـ ((**إن _ واللام**)) ((**وَمَـا عَلَيْنَـا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِيـنُ**)) التبليـغ الـبين الظـاهر بالأدلـة الواضحة إلى آخـره هـذه حصـر حقيقـي وإلا لا ؟ نعـم مـا عليهـم بجـانب الرسالة إلا البلاغ المبين في جانب الرسـالة فقولنـا فـي جـانب الرسـالة يقتضي أن يكون حصراً إضافياً لأن عليهم سوى البلاغ أن يقومـوا بعبـادة الله الخاصة التي هي غير التبليغ لكن فـي جـانب الرسـالة مـا عليهـم إلا البلاغ المبين ، قال المؤلف : " **التبليغ البين** " يعني كلمـة بلاغ بمعنـى

تبليغ فهي اسم مصدر من بلّغ يبلغ كما يقال : كلم يكلم المصدر واسم المصدر كلام ، بلغ يبلغ تبليغاً هذا المصدر واسم المصدر بلاغ أم تفسيره المبين بالبين فهذا قد يقال إن فيه نظراً لأن الظاهر أن المبين هنا بمعنى المظهر يعني البلاغ المظهر لحقيقة الأمر الواقع وهو أننا رسل من عند الله وسبق لنا أننا إذا فسرنا المبين بالمظهر على وجه صحيح صار متضمناً لكونه بيناً إذ لا يكن الشيء مبيناً إلا وهو بين في نفسه أما قوله رحمه الله : " **التبليغ البين الظاهر بالأدلة الواضحة قال وهي إبراء الأكمه والأبرص والمريض وإحياء الموتى** " هذا ليس بصحيح لان هذا مبني على أنهم رسل عيسى والأمر ليس كذلك لكن عليهم التبليغ البين بالرسالة فيبلغون تبليغاً بيناً طيب نأخذ الفوائد وإن كان انتهى الوقت ، في هذه الآيات دليل .

الطالب : .....

الشيخ : ما كملناه ((**إنما تنذر**)) خليه بعد .

((**إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ**)) من فوائد هذه الآية : أنه لا ينتفع من إنذار الرسول عليه الصلاة والسلام إلا من اتصف بهذين الوصفين لقوله : ((**إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ**)) .

ومن فوائدها : صحة نفي الشيء إذا كان لا ينتفع به وإن كان موجوداً لقوله : ((**إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ**)) فإن إنذاره لغيرهم حاصل لكن لما لم ينتفعوا به صار وجوده كالعدم بالنسبة لهم وإلا بالنسبة للمنذر ؟ بالنسبة لهم أما المنذر فقد قام بما يجب عليه .

ومن فوائد الآية الكريمة : أنه كلما كان الإنسان أتبع للقرآن كان أشد تأثراً به لقوله : ((**إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ**)) وبهذا نعرف القاعدة التي ذكرها بعض العلماء الطاعة تجلب الطاعة والمعصية تجلب المعصية ، الطاعة تجلب الطاعة لأنه كلما كان الإنسان أتبع للقرآن صار أشد تأثراً به لقوله : ((**إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة : الثناء على هذه القرآن العظيم بأنه إيش ؟ بأنه ذكر وسبقت الأوجه في كونه ذكراً .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن الخشية لله سبب عظيم للتأثر أو سبب كبير للتأثر بالقرآن والانتذار به لقوله :

((**وخشي الرحمن بالغيب**)) .

ومن فوائدها أيضاً ، فوائد الخشية لله وأنها من أسباب الانتفاع بالقرآن فكل ما كان الإنسان أخشى لربه كان أفهم لكلامه .

ومن فوائدها أيضاً : أن الخشية إنما تكون خشية فـي الحقيقـة إذا كـانت بإيش ؟ بالغيب أما من خشي الله بالعلانية فقد تكون خشيته مدخولة قـد يكون خشي الله عز وجل من أجل الناس يرونه لكن إذا كان بالغيب كان أدل على الإخلاص .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن يبشـر مـن اتصـف بهـذين الوصـفين وهمـا اتباع الذكر والخشية للـه عـز وجـل بـالغيب فبشـره بالجنـة **((فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ))** ولكن هل تنطبق هذه البشارة على كـل واحـد بعينه ؟ الجواب لا على سبيل العموم وكـل شـخص اتصـف بم ا تثبـت بـه الجنة على سبيل العموم فإننا لا نشهد له بعينه ولكن يرجى له ذلـك لأنـه في الظاهر قد انطبق عليه سبب الاستحقاق لكـن الباطـل لا نعلمـه كمـا قال النبي عليه الصـلاة والسـلام : **(إن الرجل ليعمـل بعمـل أهـل الجنة فيما يبدوا للناس وهو من أهل النار)** لهذا نقول : فـي كـل من ينطبق عليه وصف يستحق به دخول الجنة نقول إننا لا نشهد له بعينه لأن الشهادة له بالعين تحتاج إلى دليـل معيـن ولكننـا نرجـوا لـه هـذا لأن ظـاهر الأمـر أنـه مسـتحقه وإلا لا ؟ ظـاهر الأمـر أنـه مسـتحقه لانطبـاق الأوصاف عليه لكـن لا نشـهد لأنـه يخشـى أن يكـون بـاطنه غيـر ظـاهره أفهمتم هذه القاعدة ؟ وهذه القاعدة مهمة مفيدة ،

مثلاً قتل رجل في الحرب الأفغانية ، الحرب الأفغانية لاشك أنه إسلامي وأن ظاهر جميع المجاهدين فيـه أنهـم يجاهـدون لتكـون كلمـة اللـه هـي العليا فهل إذا قتل على أيدي الأعداء نشهد بأنه شهيد ؟ لا ما يجوز ولكـن نقول : يرجى أن يكون شهيداً يعني من الشهداء عند اللـه عـز وجـل لأن ظاهر فعله ينطبق على الشهداء عند الله عـز وجـل ولكـن مـا نشـهد لـه بعينه ولهذا ترجم البخاري رحمه الله على هذه المسألة في الصحيح قال : " **باب لا يقال فلان شهيد** "

مع أن شهيد الآن عندنا صارت رخيصة تبـذل بـأرخص الأثمـان أي واحـد يقتل ولو في قتلة جاهلية يقولـون هـو شـهيد وهـذا لا يجـوز أتـدري مـاذا يستلزم على شهادتك له بأنه شهيد يستلزم بأنك شهدت له بأنه من أهـل الجنة وهذه مسألة صعبة لكـن كمـا قلـت لكـم قبـل قليـل فـي القاعـدة النافعة أن من اتصف بأوصاف ينطبق على أهلها هذا الجـزاء فإننـا نرجـو له ذلك نقول : نرجو تقدر تقول هل فلان شـهيد الـذي قتـل بيـن معركـة الأفغانيين المسلمين وبين الروس ؟ إيش الجواب نرجو له ذلك نرجـو أن يكون شهيداً أما أن نجزم فلا ، لا يجـوز أن نجـزم طيـب هـذا الـذي اتبـع

الذكر وخشي الرحمن بالغيب هل نجـزم لـه بـالمغفرة والأجـر الكريـم ؟ نقول نعم من فعل ذلك نشهد له علـى سـبيل العمـوم لكـن علـى سـبيل التخصيص نرجو له ذلك أي نعم ((**فبشره بمغفرة وأجر كريم**))

من فوائد الآية الكريمة : أن البشارة تكون بانتفاء ما يكره وبحصول مـا يحب ((**بمغفرة**)) هـذا إيـش ؟ انتفـاء مـا يكـره ((**وأجـر كريـم**)) حصـول محبـوب فيهنـأ الإنسـان ويبشـر بـزوال المكـروه عنـه وحصـول المحبـوب اجتماعـاً وانفـراداً يعنـي سـواء حصـل الأمـران أو حصـل لـه أحدهما فإنه يبشر بانتفاء الشر عنه كما يبشر بحصول الخير له .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن خشية الرحمن بالغيب واتباع الذكر يحصـل به مغفرة الذنوب والأجر الكثير فإن مغفـرة فـي مقابـل الـذنوب والأجـر الكريم في مقابل الثواب على الأعمال الصالحة .

ثم قال تعالى ((**واضرب لهم**)) خلينا نقف علـى هـذا ، ابتـداء القصـة طيب .

الطالب : .....

الشيخ : جائز ما يمكن أن نرجع الآن .

الطالب : بعدها

الشيخ : بعدها مباشرة لا نقرأها .

ثم قال الله تعالى : ((**إِنَّا نَحْـنُ نُحْـيِ الْمَـوْتَى وَنَكْتُـبُ مَـا قَـدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِيـنٍ**)) مـن فوائـد الآيـة الكريمة : بيان قدرة الله عز وجل في إحياء الموتى وقد برهن الله علـى قدرته على إحياء الموتى بأدلة عقلية وأدلـة حسـية فمـن الأدلـة العقليـة مثل قوله تعالى : ((**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيـدُهُ وَهُـوَ أَهْـوَنُ عَلَيْهِ**))[الروم:27]فإن هذا دليل عقلي على إمكان إحياء الموتى وجهـه أن الإعادة أهون من الابتداء فالقادر على الابتداء قادر علـى الإعـادة مـن باب أولى وكما في قوله تعالى : ((**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْـدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**))[الأنبياء:104]هذا مثله أيضاً استدل الله تعالى بالابتداء على إيش ؟ على الإعادة

أما الأدلة الحسية فما أكثر ما يضرب الله الأمثال في إحيـاء الأرض بعـد موتها على قدرته على إحياء المـوتى نعـم مثـل قـوله تعـالى : ((**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَـإِذَا أَنزَلْنَـا عَلَيْهَـا الْمَـاءَ اهْتَـزَّتْ وَرَبَتْ**)) إيش قال ؟ ((**إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّـهُ عَلَـى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**))[فصلت:39]وقال تعالى : و((**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ**

مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ))[ق 10:11]والآيات في هذا كثيرة فقد برهن الله عز وجل على قدرته على إحياء الموتى بالأدلة العقلية والحسية لتكون لذوي العقول دليلاً ولذوي الأبصار والأدلة الظاهرة دليل أيضاً فالإنسان العقلاني كما يقولون نستدل له أو عليه بماذا ؟ بالعقل والانسان السطحي ما يستدل إلا بما يشاهد نستدل عليه بالأدلة الحسية .

الطالب : .....

الشيخ : ايش ؟ من ((**إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**) طيب أحسنت ، **((إن الذي أحياها)**) هذه في سورة فصلت **((إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**)[فصلت:39].

الطالب : ....

الشيخ : **((إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى)**) هذه اللي نحن نقرؤها ، قرأنا **((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**)[فصلت:39]هذه قرأناها هذه في فصلت ، طيب إذاً قراءتنا صواب يا عبد العزيز ، أي نعم ، نقول : فيه

((إنا نحن نحي الموتى)) ومن فوائد الآية الكريمة : الإشارة إلى أن من لم يخشى الله ولم يتبع الذكر فإن الله قادر على أن يحي قلبه فيخشى الله ويتبع الذكر وجه الدلالة أن الله تعالى ذكر هذا بعد أن ذكر انقسام الناس إلى من ؟ يخشى الله بالغيب ويتبع الذكر ، ومن لمن يكن كذلك ، فيه إشارة إلى أن الله قادر على أن يرد هؤلاء إلى الحق.

ومن فوائد الآية الكريمة : أن كل شيء مكتوب للإنسان إما له وإما عليه لقوله : **((ونكتب ما قدموا وآثارهم)**) .

ومن فوائدها : أن الله تعالى يكتب كل شيء القليل والكثير لقوله : **((ما قدموا)**) و **((ما)**) اسم موصول والاسم الموصول يشمل الصغير والكبير ويدل لذلك قوله تعالى : **((وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا)**)[الكهف: 49]ويدل عليه أيضاً في آخر الآية **((وكل شيء أحصيناه في إمام مبين)**) .

ومـن فوائـد الآيـة الكريمـة : أن الأعمـال لا تنقطـع بـالموت لقـوله : ((**وآثارهم**)) والآثار ذكرنا أنها أنواع : علم وصدقة جارية وولـد صـالح يدعو له وسنة ، سنة يحييها فيتبعه الناس عليها .

ومن فوائد الآية الكريمة : بيان حكمة اللـه عـز وجـل فـي ضـبط الأمـور وإتقانها وأنه لا يفوته شيء لقوله :

((**وكل شيء أحصيناه في إمام مبين**)) .

ومن فوائدها : أن ما يكتب على الإنسان فإنه حـق بيـن واضـح لا يمـتري فيه أحد لقوله : ((**مبين**)) والشيء المبين هو الذي يوضح الأشياء مـع وضوحه في نفسه وهو كذلك ولهذا يقول الله عز وجل : ((**وَنُخْـرِجُ لَـهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْـرَأْ كِتَابَـكَ كَفَـى بِنَفْسِـكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**))[الإسراء 13:14].

الظاهر أنه ما هذا مبتدأ الدرس .

الطالب : مبتدأ الدرس .....

الشيخ : لا أخذناه الفوائد خلصناها .

الطالب : .....

الشيخ : على القصة وقفنا عليها ((**وكل شيء أحصـيناه فـي إمـام مبين**)) طيب .

قال الله تعالى : ((**وَاضْرِبْ لَهُـمْ مَثَلًا أَصْـحَابَ الْقَرْيَـةِ إِذْ جَاءَهَـا الْمُرْسَلُونَ**)) إلى آخره في هذه الآية فوائد كثيرة منها في هـذه الآيـة وما بعدها في القصة كلها فوائد كثيرة منها : بيـان ضـرب الأمثـال ليعتـبر بها لقوله :

((**واضرب لهم مثلاً**)) والخطاب كما سبق إمـا للرسـول صـلى اللـه عليه وسلم أو لكل من يتأتي خطابه .

ومن فوائدها : أن العبرة بما فيه العبرة في ضرب الأمثال وأنه ليس مـن الضروري أن يعين المثل المضـروب فهنـا قـال : ((**اضرب لهـم مثلاً أصحاب القرية**)) ولم يعين القرية ولم يعين أولئك الأصحاب بأعيـانهم لأنه ليس هذا محل عبرة ، العبرة إنما هو في القصة كلها .

ومن فوائد الآية الكريمة : بيان أن الله عز وجل لن يدع الخلق إلى رسل لقوله : ((**إذ جاءها المرسلون * إذ أرسلنا**)) .

ومن فوائدها أيضاً : بيان رحمة الله عز وجل في تعزيز الرسالة بالصـيغة والعدل لأنه قـال : ((**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِـمُ اثْنَيْـنِ فَكَـذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَـا**

بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ)) فهنا التعزيز بالثالث تقوية فعلية والتأكيد بـ**((إن))** تقوية لفظية .

ومن فوائد الآية الكريمة : جواز تعدد الرسل مع اتحاد المرسل إليهم لأن الله أرسل إلى هذه القرية اثنين ثم عززهما بثالث .

ومن فوائدها أيضاً : أن الذين يكذبون الرسل ليس عندهم إلا المكابرة وليس عندهم حجة عقلية أو نقلية لقولهم : **((قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ))** كل هذه الجمل الثلاث ليس فيها أي حجة تسوغ تكذيب هؤلاء الرسل لأنك إذا رأيت هذه الحجج الثلاث والشبه

الأولى : أنهم ردوهم لأنهم بشر مثلهم وقد سبق في التفسير بيان الرد عليها وأنه لا يمكن أن يرسل للبشر إلا بشر مثلهم حتى لو أنزل إليهم ملائكة فإن الملائكة لابد أن يكونوا على صورة البشر وحينئذ تعود الشبهة ، والثانية : **((ما أنزل الرحمن من شيء))** هذا نفي مجرد بدون ذكر حجة وليس هذا بدليل للخصم إطلاقاً لأن نفي قول الخصم بدون حجة ما هو إلا مكابرة وكذلك قولهم : **((إن أنتم إلا تكذبون))** .

ومن فوائد الآية الكريمة : بيان أن المعاندين للرسل ليس عندهم إلا المكابرة المحضة كقولهم : **((ما أنزل الرحمن من شيء))** وقولهم : **((إن أنتم إلا تكذبون))** طيب هل يستفاد من الآية الكريمة أن الله لا يرسل إلا بشراً أو لا ؟ ما يستفاد لكن يستفاد أن حكمة الله عز وجل تقتضي أن يرسل إلى البشر بشر مثلهم .

ومن فوائد الآية الكريمة : جواز التأكيد بما يشبه القسم لقولهم : **((قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ))** وهل هذا أقوى من التأكيد بالقسم أو التأكيد بالقسم أقوى ؟ الظاهر أن هذا أقوى من التوكيد بالقسم لأنهم إذا قالوا : ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وأن لم يكونوا مرسلين تلزم قولهم هذا وصف الله بالجهل والعجز والقصور لأنهم إذا قالوا : ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ولم يكونوا مرسلين معناه أن الله علم الأمر أو علم الحال على خلاف إيش ؟ ما كانت عليه إذا فرضنا أن الله يعلم أنهم مرسلون وهم غير مرسلين في الواقع لزم من ذلك أن يكون الله جاهلاً بحالهم وأن يكون الله تعالى عاجزاً على الانتقام منهم وبيان كذبهم لأنهم سيقولون إنا مرسلون ويأخذون بمقتضى هذه الرسالة والله تعالى يعلم أنهم غير مرسلين وهذا يستلزم الجهل إذاً فالتأكيد بمثل هذا أشد من التأكيد بالقسم لما يترتب عليه من

اللوازم الخطيرة ولهذا قال العلماء لو قال قائل الله يعلم أني ما فعلت كذا وهو فاعل قالوا إن هذا يقتضي الكفر إذا كان يعلم معنى ما يقول وما يلزم من قوله ووجه ذلك ما أشرنا إليه آنفاً من كونه يستلزم أن يكون الله إيش ؟ جاهلاً وعاجزاً .

ومن فوائد الآية الكريمة : جواز التأكيد بعدة مؤكدات في جانب المنكر بل قد نقول إن التأكيد واجب إلا لفائدة لقولهم هنا : **((قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ))** وقد سبق أن الجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن الرسل عليهم الصلاة والسلام ليس عليهم هداية الخلق وإنما عليهم إبلاغ الرسالة فقط لقولهم : **((وما علينا إلا البلاغ المبين))** .

ومن فوائدها أيضاً : أنه يلزم الرسل أن يكون بلاغهم مبيناً مظهراً للأمر على حقيقته ويتفرع على ذلك أنه لا إبهام في الشرائع وأن الشرائع كلها واضحة فإن جاء إبهام في نص فهو مبين وموضح في نص آخر وإن بقي الإبهام قائماً فالعلة في فهم المخاطب إما لقصوره وإما لتقصيره ، أما ما جاءت به الرسل فإنه يحصل به البلاغ المبين المظهر لكل ما تحتاج إليه الرسالة لقوله : **((وما علينا إلا البلاغ المبين))** .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن المكذبين للرسل الذين يكرهون ما جاءوا به يتطيرون بهم لقوله : **((قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ))**[يس:18]وهذا التطير قد يكون له أصل وقد لا يكون ليس له أصل قد يكون له أصل وذلك فيما إذا عوقبوا بمخالفة الرسل فيجعلون تلك العقوبة يجعلونها من شؤم هؤلاء الرسل كأنهم يقولون لولا أنكم أتيتم إلينا ما حصلت لنا هذه العقوبة وقد يكون هذا التطير لا أصل له وإنما هو دعوة مجردة من هؤلاء المكذبين وهم قد يتطيرون بمعنى أنه يحد من حرياتهم فيما تهواه أنفسهم فيكون هذا شؤم وتضييق مثل أن الرسل عليهم الصلاة والسلام ينهونهم عن عبادة الأصنام وهم يهوون عبادة الأصنام فيجعلون هذا التضييق عليهم بزعمهم يجعلونه شؤماً فيتطيرون بالرسل والحاصل أن التطير بالرسل له ثلاث حالات :

تطير بحد الشريعة من إيش ؟ من أهوائهم وشهواتهم فيقولون هذا تضييق علينا وهو شؤم في زعمهم

ثانياً : تطير بما يصيبهم من إيش ؟ من العقوبات بالمخالفة فيقولون : إن هذا شؤمكم

والثالث : دعوة مجردة لا أصل لها فيقولون : ((**إنـا تطيرنـا بكـم**)) بمجرد التشويه لما جاءت به الرسل .
ومن فوائدها : بيان عدوان المكذبين للرسل لأنهـم قـالوا : ((**لَئِـنْ لَـمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ**)) وهذا مـن العـدوان العظيم على عباد الله فهؤلاء القوم عن الرسل حالهم كما قال مؤمن آل فرعون :
((**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَـاتِ مِـنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَـذِبُهُ وَإِنْ يَـكُ صَـادِقًا يُصِـبْكُمْ بَعْـضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ**))[غافر:28]فهـؤلاء المكـذبين للرسـل الـذين يتهـددونهم بالقتل والرجم والعذاب الأليم هؤلاء من أشد الناس عدواناً لأنهم اعتـدوا على الحق وعلى حامل الحق ، مشروحة طيـب ، منيـن ؟ طيـب إذاً نبـدأ الدرس .
قال الله تعالى : ((**قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ**)) ((**قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا**)) أي تشاءمنا وأصل التطير مأخوذ مـن الطيـر لأن الناس يتشاءمون بالطيور أو يتفـاءلون بهـا فيواصـلون الطيـور فـإن اتجهت إلى اليمين أو اليسار أو الأمام أو الخلف أو عـادت أو ذهبـت ولـم تعد تشاءموا أو تفاءلوا على اختلاف بينهـم فيمـا يكـون التشـاؤم أو فيمـا يكون التفـاؤل ثـم تعـدى الأمـر إلـى أن تكـون الطيـرة فـي كـل شـيء ، والتشاؤم بمرئي أو مسموع أو زمان أو مكان ، لا هـذه الطيـرة التشـاؤم بمرئي أو مسموع أو زمان أو مكان ، طيب هـؤلاء الـذين قـالوا للرسـل : ((**إنا تطيرنا بكم**)) تطيـروا بمـاذا ؟ بمسـموع أو مرئـي أو زمـان أو مكان ؟ بمسموع أو مرئي تطيروا به
أي تشاءموا قال : " **بكم لانقطاع المطر عنا بسببكم** " وهذا أحـد الوجوه الثلاثة التي أشرنا إليها آنفاً بأنهم يتطيـرون بهـم بسـبب العقوبـة التي تحل بهم لمخالفتهم .
وجه آخر : يتطيرون بهم بسبب الحد من بلوغ مآربهم في شـهواتهم فـي عباداتهم ومعاملاتهم وم أكولهم ومشـروبهم فيقولـوا أنـت ضـيقت علينـا مثلاً حرمت علينا الخمر حرمت علينـا الميتـة ضـيقت علينـا فـي العبـادة خصصتها بواحد وما أشبه ذلك هذا في زعمهم تطير .
الوجه الثالث : تطير مدعى الـذي ليـس لـه أصـل يقولـون ذلـك تنفيـراً للناس عن متابعتهم ، وقوله : " **بسبب انقطاع المطر عنا بسـببكم** " يحتمل أن هذا هو السبب يحتمل أنه ما أحل بهم من العقوبات الأخـرى

التي مـن جملتهـا مـا عـاقب اللـه بـه آل فرعـون ((**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِـمُ الطُّوفَـانَ وَالْجَـرَادَ وَالْقُمَّـلَ وَالضَّـفَادِعَ وَالـدَّمَ**))[الأعـراف: 133]والسنين ونقص من الأموال والأنفس والثمرات كم ؟ تسع عقوبات طيب ممكن عقوبات أخرى غير هذه

قال : ((**لَئِنْ لَمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ**)) مؤلم ((**لَئِنْ لَمْ تَنتَهُوا**)) عـن أي شـيء ؟ عـن دعوتنـا إلـى اتبـاعكم وترك ما كنا عليه وقوله : ((**لنرجمنكم**)) الجملة هـذه جـواب القسـم وليست جواب الشرط لأنها قرنت باللام وأكدت بـنون التوكيد وهذا يــدل على أنها جواب القسم لا جواب الشرط وإلى هذا أشار ابن مالـك رحمـه الله في الألفية حيث قال :

" **واحذف لدى اجتماع شرط وقسـم جـواب مـا أخـرت فهـو ملتزم** "

قال : ((**لنرجمنكم**)) الرجم هـو الرمـي بالحجـارة هـذا الرجـم ومنـه رجم الزاني المحصن أي رميه بالحجـارة حـتى يمـوت ، ((**وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ**)) ((**ليمسنكم**)) ليصيبنكم ومس كل شيء بحسـبه فمس الإنسان للإنسان له معنى ومـس العقوبـات والمصـائب لـه معنـى فالمراد بالمس هنا الإصابة وقوله : ((**عذاب أليـم**)) العـذاب هـو مـا يحصل لهؤلاء الرسل من هؤلاء المكذبين المعتدين مـن الضـرب وشـبهه ومنه الحبس أيضاً فإنه عذاب وأليم بمعنى مؤلم فهو فعيل بمعنى مفعل ومنه قول الشاعر :

" ... **الريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع** "

، **... الريحانة الداعي السميع"** بمعنـى المسـمع لا بمعنـى السـامع "**يؤرقني وأصحاب هجوع"** ، فأليم بمعنى مؤلم لا بمعنـى آلـم طيـب قوله : ((**وليمسنكم**)) هـل هـذا علـى سـبيل التنويـع أو علـى سـبيل الجمع يعني أنهم يرجمـونهم ويعـذبونهم قبـل الرجـم أو أنـه علـى سـبيل التنويع وأن الواو بمعنى أو ، أي لنرجمنكم حتى تموتـوا أو ليمسـنكم منـا عذاب أليم دون الرجم ، الآية تحتمل معنييـن فـإن جعلناهـا للجمـع فإنهـا ليست على سبيل الترتيب لأن الرجم سابق في الذكر لاحق فـي الواقـع لأن العذاب الأليم قبل الرجـم إذ أن الرجـم لا عـذاب بعـده فيكـون فيهـا تقديم وتأخير وأما إذا جعلنا الواو بمعنى أو في التقسـيم فيكـون المعنـى أنهـم توعـدوهم بأحـد أمريـن إمـا الرجـم وإمـا العـذاب المـؤلم الشـديد وقولهم :

((**قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ**)) ((**قالوا**)) الضمير يعود على الرسل يخاطبون من ؟ يخاطبون أصحاب القرية الذي كذبوهم ، ((**قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ**)) أي شؤمكم ملازم لكم وذلك بسبب كفرهم فهم الشؤم على أنفسهم وليس الشؤم من الرسل بل من هؤلاء ولو شاءوا لآمنوا فزال عنهم ما حل بهم من العذاب والنقص

((**قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ**)) همزة استفهام دخلت على إن الشرطية وفي همزتها التحقيق والتسليم وإدخال ألف بينهما لوجيها ، يعني التحقيق والتسهيل وبين الأخرى سبق مثل هذا وأن فيها خمس قراءات أو أربع قراءات:

التحقيق والتسهيل ، للتحقيق والتسهيل فيقال : ((**أئن**)) هذا تحقيق للتسهيل ((**أان**)) إدخال ألف بينهما بوجهيها يعني وعدم الإدخال إدخال ألف التحقيق تقول : ((**آإن ذكرتم**)) بالتسهيل ((**آان**)) هذا إدخال ألف بينهما وبين الأخرى يعني التي هي همزة إن والقراءات كلها سبعية وقوله : ((**أئن ذكرتم**)) وعظتم وخوفتم وجواب الشرط محذوف أي تطيرتم وكفرتم إلى آخره قوله : ((**أئن ذكرتم**)) لاشك أنها حرف شرط والشرط يحتاج إلى فعل الشرط وإلى جواب الشرط أما فعل الشرط فمذكور وهو قوله :

((**ذكرتم**)) أما جوابه فمحذوف فما تقديره ؟ يقول المؤلف رحمه الله : " **تطيرتم** " وقال : " **تطيرتم وكفرتم** " ولننظر الآن ماذا حصل من التذكير .

ماذا حصل من التذكير لنعرف جـواب الشـرط ؟ ((**قَالُوا إِنَّـا تَطَيَّرْنَـا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ**)) فالـذي حصـل منهـم أنهـم تطيـروا وأنهم توعدوا بمـاذا ؟ بـالرجم والعـذاب الأليـم فيكـون الجـواب مطابقـاً للمذكور أي أئـن ذكرتـم تطيرتـم توعـدتم بـالرجم والعـذاب الأليـم ، أمـا الكفر فقد سبق قال : وهو محل الاستفهام والمـراد بـه التوبيـخ وهـو أي جواب الشرط المحذوف محل الاسـتفهام يعنـي هـو الـذي ينصـب عليـه الاسـتفهام لا التـذكير لأن التـذكير ثـابت وليـس فيـه إنكـار إنمـا الإنكـار والتوبيخ بماذا ؟ بالتطير بهم واعتدائهم على الرسل فهو محل الاستفهام الـذي يـراد بـه إيـش ؟ التوبيـخ يعنـي أن الرسـل عليـه الصـلاة والسـلام وبخوهم وقـالوا : أتتشـاءمون وتتوعـدون لأننـا ذكرنـاكم فهـذا هـو محـل الاستفهام وإنما نص المؤلف علـى ذلـك لأنـه قـد يظـن الظـان أن محـل الاستفهام هـي الجملـة الموالية لأداة الاسـتفهام وهـي قـوله : ((**أئن ذكرتم**)) نعم إن ذكرتم والواقع أن محل الاستفهام هو جـواب الشـرط لا الشرط المذكور وهو أي الاستفهام التوبيخ

((**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**)) هذا إضـراب انتقـال وإلا إبطـال ؟ هـذا إضراب انتقال يعني انتقلوا مـن الإنكـار عليهـم بكـونهم يكـذبون الرسـل ويتوعـدونهم ويتطيـرون بهـم إلـى وصـفهم الحقيقـي وهـو أنهـم قـوم مسرفون والإضراب يكون للإبطال ويكون للانتقال فإذا قلـت : جـاء زيـد بل عمرو فهذا إضراب إبطال وإذ قلت : زيد في شك بل هـو منكـر فهـذا إبطال انتقال ومنه قوله تعـالى : ((**بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُـمْ فِـي الآخِـرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ**))[النمل:66]ومنـه هـذه الآية الكريمة ((**أئن ذكرتم بـل أنتـم قـوم مسـرفون**)) وقـوله : ((**مسرفون**)) أي متجاوزون للحد ووجه التجاوز :

أولاً : أنهم كذبوا الرسل بلا بينة وبلا دليل لأنهم اعتمدوا على أي شيء ؟ على أمر ليس حجة لهم ((**قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا**)) وقالوا : ((**وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ**)) وقالوا : ((**إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْـذِبُونَ**)) هذا إسراف مجاوز للحد .

ثانيـاً : أنهـم تطيـروا بالرسـل وحقيقـة الأمـر أن الرسـل عليهـم الصـلاة والسلام محل تفاؤل لأن في اتباعهم الخير

((**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِـنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَـا كَـانُوا يَكْسِـبُونَ**)) [الأعراف:96]وهؤلاء تطيروا بالرسل وليسوا محلاً للتطير بهم .

ثالثاً : أنهم توعدوا الرسل بالعدوان عليهم إذا لم ينتهوا عن دعوتهم إلى الله تعالى وإبلاغهم رسالته لقوله :
((**لَئِنْ لَمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ**)) إذاً وجه الإسراف من كم من وجه ؟
الطالب : ....
الشيخ : نعم نعم كل هذا من الإسراف ومن العدوان ، وجه ذلك أنه لا يجوز للإنسان عقلاً أن يرد شيئاً بلا بينة مع أن هؤلاء الرسل لا شك أنهم أتوا بآية تدل على صدقهم ، (**ما بعث الله رسولاً إلا أعطاه مع ما مثله يؤمن البشر هذا عدوان**) ، العدوان الثاني تطيرهم بالرسل والحقيقة أن التطير من أعمالهم هم لأن الرسل قالوا وصدقوا فيما قالوا : ((**قالوا طائركم معكم**)) فتطيرهم بالرسل قلب للحقيقة لأن حقيقة الأمر أن التطير من هؤلاء .
الوجه الثالث للإسراف ومجاوزة الحد : أنهم إيش ؟ توعدوا الرسل ((**لَئِنْ لَمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ**)) .
ثم قال الله تعالى : ((**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى**)) هنا قال : ((**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ**)) وفي أول الآية قال : ((**واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية**)) وهذا يدل على أن القرية تسمى مدينة والمدينة أيضاً تسمى قرية فمكة سماها الله تعالى قرية وهي أم القرى ((**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ**))[محمد:13]فالقرية ليست هي البلد الصغير كما يظن كثيراً من الناس بل القرية تكون المدينة وذلك لأن أصل القرية مأخوذة من القرى وهو التجمع فإن الناس يجتمعون فيها فإن كانت بلدة كبيرة سميت في عرف الناس مدينة وإن كانت دون ذلك سميت في عرف الناس قرية والتفريق بين القرية والمدينة ما هو إلا إيش ؟ اصطلاح عرفي فقط أي نعم .
أي يتشاءموا بهم وأن الرسل بينوا أن الشؤم ملازم لهؤلاء ومعهم بسبب ذنوبهم وسبق أيضاً أن الرسل أنكروا عليهم تكذيبهم للرسل وتوعدهم إياهم بالرجم وسبق أنهم وصفوهم بأنهم قوم مسرفون أي متجاوزون للحد وأظن أخذنا الفوائد فيها ، ما أخذناها وصلنا إلى قوله : ((**قالوا إنا تطيرنا بكم**)) أليس كذلك ؟ طيب .
الطالب : .....
الشيخ : الفوائد ، الفوائد ، وقفنا إلى إيش في الفوائد ؟

الطالب : .....
الشيخ : ما أخذنا هذه طيب ، **((وجاء رجل))** قبلها .
قال الله تعالى : **((قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ))** قوله : **((ما علينا إلا البلاغ المبين))** أظن أخذنا فوائدها وبينا أن الرسل ليس عليهم إلا البلاغ المبين وأنه يجب عليهم أن يبلغوا البلاغ البين ، قوله تعالى : **((قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ))** يستفاد منها : أن هؤلاء المكذبين تشاءموا بالرسل ، تشاءموا بهم لأن هذه دعوة باطلة يدعيها كل مكذب للرسل ففيها أن المكذبين للرسل يدعون عليهم ما لم يكن منهم تشويهاً وتنفيراً .
ويستفاد منها أيضاً : عدوان هؤلاء المكذبين حيث توعدوا الرسل إذا لم ينتهوا عن الدعوة إلى الله بالرجم المؤدي إلى الهلاك أو بالعذاب الأليم إن لم يرجموهم وهذا فيه غاية العدوان .
ومن فوائدها : أن الإنسان شؤمه بعمله وليس بدعوته إلى الحق لقوله : **((قالوا طائركم معكم))** .
ومن فوائدها : أن الذنوب والتكذيب للرسل يكون سبباً للمحن والبلاء لقوله : **((قالوا طائركم معكم))** وهذا هو سنة الله عز وجل في جميع المكذبين للرسل أن الله تعالى يبتليهم بالعقوبات لعلهم يرجعون .
ومن فوائد الآية الكريمة : الإنكار على من ذكر فأعرض لقوله : **((أئن ذكرتم))** .
ومن فوائدها : جواز حذف ما علم بالسياق ولا يعد هذا نقصاً في الكلام وبلاغته لأن جواب الشرط هنا محذوف للدلالة عليه وربما يكون الحذف أبلغ .
ومن فوائد الآية الكريمة : أن هؤلاء القوم كانوا مسرفين على أنفسهم متجاوزين للحد لقوله : **((بل أنتم قوم مسرفون))** وسبق بيان معنى أو بيان وجه إسراف هؤلاء وتجاوزهم للحد .
ثم قال الله تعالى : **((وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى))**
قال المؤلف : " **هو حبيب النجار كان قد آمن بالرسل ومنزله بأقصى البلد"** قوله عز وجل : **((وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ))** أي من أبعدها من أي مكان جاء ؟ جاء إلى المكان الذي فيه الرسل والمكذبون لهم وهو وسط المدينة لأن الغالب أن العلم والحضارة وكثرة السكان في الوسط وهذا الرجل كان في أبعد المدينة فسمع أن هؤلاء كذبوا الرسل وكان رحمه الله قد آمن فجاء ينصح قومه ، والله عز وجل

يقول : ((**رجل**)) وهو نكرة غير معرف والمؤلف يقول : " **إنه حبيب النجار** " وهذا الخبر أو هذا الاسم والتعيين لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولعله متلقاً عن بني إسرائيل وموقفنا في مثل هذا ألا ننكر ولا نثبت ، ((**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى**)) وهنا بدأ ببيان مكانه قبل ذكره وفي قصة موسى حين قتل القبطي ذكر الرجل قبل مكانه ، هناك قال : ((**وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ**))[القصص:20]وهنا ذكر المكان قبل ذكر الرجل وذلك لأن هذا الرجل كان مؤمناً فسهل عليه أن يأتي من المكان البعيد فذكر مكانه لبعده ليستدل به على قوة محبة هذا الرجل للخير ودفع الشر ، أما ذاك فالمقصود به العلم أن يأتي أحد بالعلم فبدأ بالآتي وهو الرجل قبل ذكر مكانه ، ((**يسعى**)) قال : " **يشتد عدواً لما سمع بتكذيب القوم الرسل** " .

الطالب : .....

الشيخ : لا أنا عندي بالهمز ((**يسعى**)) يعني يشتد يركض لئلا تفوته الفرصة حين سمع بتكذيبهم قال :

((**قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ**)) ((**قال**)) هذه جملة مفصولة عما قبلها أي أنها أتت بدون حرف العطف كأنها جواب عن سؤال مقدر فماذا قال حين جاء ؟ قال : ((**قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ**)) هنا ((**قوم**)) منادى منصوب بالنداء لأنه مضاف وقد حذفت منه ياء المتكلم وأصلها يا قومي ولكن حذفت الياء للتخفيف أو للالتقاء الساكنين لأن ((**اتبعوا**)) مبدوءة بهمزة وصل وهمزة الوصل ساكنة على كل حال قال الرجل : ((**يا قوم اتبعوا المرسلين**)) ولم يقل يا أيها السفهاء ، يا أيها الجهال بل قال : ((**يا قوم**)) توددا وتعطفاً لهم ولم يقل : يا إخوتي لأنه لا إخوة بين المؤمن والكافر فهو مؤمن وهم كفار لكن ((**يا قوم**)) ويصح أن يقال قوم ولو كانوا كفاراً ، قال الله تعالى مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ**))[الأنعام:66]قال : ((**يا قوم اتبعوا المرسلين**)) اتبعوهم بما دعوكم إليه من الإيمان والعمل الصالح لأن هؤلاء الرسل دعوا إلى ما دعت إليه الرسل كلهم وهو قوله تعالى : ((**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**)) إيش بعدها ؟ ((**فَاعْبُدُونِ**))[الأنبياء:25]فهم دعوا إلى هذا إلى الإيمان والعمل الصالح ((**اتبعوا المرسلين**))

((**اتبعوا**)) تأكيدٌ للأول ((**مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا**)) كرر الأمر بالاتباع من بـاب التأكيـد ((**اتبعوا المرسلين اتبعـوا**)) ولـو حـذفت اتبعـوا الثانية وقيل : ((**اتبعوا المرسـلين مَـنْ لا يَسْـأَلُكُمْ أَجْـرًا**)) لصـح الكلام لكـن ذكـرت أو كـررت للتأكيـد لأنهـا هـي محـط الخطـاب وهـي المقصود الأول بالخطاب أن يتبعوا المرسلين وقال :

((**اتبعوا المرسلين مَنْ لا يَسْـأَلُكُمْ أَجْـرًا**)) ((**مـن**)) أي الـذي وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام فإنهم يدعون النـاس ولا يتخـذون ولا يطلبون على دعوتهم أجـراً يعنـي أجـراً مـن النـاس ، لكنهـم يؤملـون أو يرجون من الله الأجر أما من الناس فلا يأخذون أجراً .

للبشر هو الدعوة فهم لا يتخذون أجراً على دعوتهم وعلى دلالتهم للخيـر وإنما يرجون الأجر والثواب من الله ((**أجراً**)) هنا محلها فـي الإعـراب مفعول ثاني والكاف مفعـول أول وهـذان المفعـولان من بـاب مفعـولي ظـن وأخواتهـا أو كفـي وأخواتهـا ؟ كفـى وأخواتهـا نعـم ((**اتبعـوا المرسلين مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وهم مهتدون**)) فبين هنا أن هؤلاء الرسل على هدى وليسوا على ضلال وهم لا يسألون أجراً على مـا دعـوا إليه وقوله : ((**وهم مهتدون**)) يحتمل أن تكون الواو للاسـتئناف وأن تكون للحال يعني لا يسألوكم أجراً مع كونهم مهتدين ويحتمـل أن تكـون للاستئناف وهو الأقرب لبيان حال هؤلاء الدعاة أنهم علـى هـدى ثـم قـال المؤلف : " **فقيل له أنت على دينهم** " فقال : ((**وَمَا لِيَ لا أَعْبُـد الذي فطرني**)) ما قدره المؤلف من أنه قيل للرجل أنت علـى دينهـم لا يتعين بل يجوز أن يكون الرجل قال : ((**وهم مهتدون ومـا لـي لا أعبد الذي فطرني**)) علـى أن المـراد بـه هـؤلاء القـوم كـأنه قـال : ومالكم لا تعبدون الذي فطرني ، لكن أضافه إلى نفسه من باب التلطف في الخطاب وهذا هو الأقرب أولاً : لأن ما ذكـره المؤلـف لا دليـل عليـه والسياق لا يستلزمه وإذا كان لا دليل عليه من حيث النقل ولا دليل عليـه من حيث السياق لأنـه لا يسـتلزمه فالأصـل عـدمه وإلا وجـوده ؟ الأصـل عدمه ، ثانيا : أن ما قلناه أبلغ بالتلطف بالدعوة بدل أن يقول : ومالكم لا تعبدون الـذي فطركـم قـال : ((**ومالي**)) فأضـاف الأمـر إلـى نفسـه تلفظاً

وقوله : ((**ما لي**)) الاستفهام هنا بمعنى الإنكار يعني أي شيء يمنعني أن أعبد الله تعالى وحده وهذا قال :

((**لا أعبد**)) أي لا أتذلل للذي فطرني خلقني أي لا مانع لي من عبادته الموجود مقتضيها وأنتم كذلك قوله : ((**لا أعبد**)) تقدم لنا أن العبادة هي التذلل لله عز وجل بفعل أوامره واجتناب نواهيه محبة وتعظيماً وأن العبادة تطلق على التعبد الذي ذكرناه وعلى المتعبد به وهي الأفعال التي يتعبد بها الإنسان أو الأقوال وعلى هذا حدها شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه هي : " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة "

وقوله ((**الَّذِي فَطَرَنِي**)) لم يقل لا أعبد الله ليقرن بين الحكم والتعليل وإن شئت فقل بين الحكم والدليل لأن قوله : ((**الذي فطرني**)) مقتضٍ لكونه هو المعبود إذ أنه هو الخالق فلزم أن يكون هو المعبود وهذا كقوله تعالى : ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**))[البقرة:21]فقال الذي خلقكم كالتعليل للأمر بعبادته وحده فكما أنه الخالق وحده فيجب أن يكون المعبود وحده ولهذا قال المؤلف : " **الموجود مقتضيها** " ما هو مقتضيها ؟ أنه هو الذي فطر الخلق وابتدأ خلقهم فلزم أن يكون هو المستحق للعبادة وأن يعبد ، طيب وقوله : ((**الذي فطرني**)) أي خلقني لأول مرة والفطر والإبداع بمعنى الإيجاد لأول مرة قال الله تعالى : ((**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**))[فاطر:1]وقال : ((**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**))[البقرة:117]فالذي فطر الخلق لأول مرة وعلى غير مثال سبق هو الله إذاً فيجب أن يكون هو إيش ؟ هو المعبود أما أن تعبد غير الله وهذا الغير لا يخلق بل هو مخلوق نعم كما قال الله عز وجل ((**لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**))[النحل:20]فكيف يصح أنه بدأ هؤلاء ؟ المهم أن هذا الرجل من فقهه وحكمته وحسن دعوته أنه قرن الحكم بماذا ؟ بالدليل ، الحكم ((**لا أعبد الذي فطرني**)) الدليل ((**الذي فطرني**)) طيب قال : ((**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**)) وهذا مما يؤيد ما قلنا من أنه يريد قومه لكن من باب التلطف في خطابهم قال : ((**وما لي لا أعبد الذي فطرني**)) كما تخاطب صاحبك الآن تحاوره أو تخاصمه تقول : ما لي لا أفعل كذا وكذا ، يعني إيش المانع ؟ فإذا كان لا مانع لي فهو لا مانع لك أيضاً ، قال : ((**وإليه ترجعون**)) بعد الموت فيجازيكم قال المؤلف : " **بكفركم** " ولو قال : بعملكم لكان أشمل لأنه يجازيهم بالكفر إن استمروا عليه ويجازيهم بالإسلام إن أسلموا ، فلو عبر المؤلف بقوله : فيجازيكم بعملكم لكان أولى .

ثم قال : ((**أَأَتَّخِذُ**)) بالهمزتين منه ما تقدم ، ما الذي تقدم التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينهما وترك ذلك قال : "**ما تقدم في أأنذرتهم** " وهو استفهام بمعنى النفي فيكون معنى ((**أأتخذ**)) أي لا أتخذ وقد سبق لنا أن الاستفهام إذا أتى بمعنى النفي فإنه يفيد معنى التحدي ولكن هن يفيد معنى الامتناع غاية الامتناع يعني أنني لا يمكن أن أتخذ ((**مِنْ دُونِهِ**)) أي غيره ((**آلِهَةً**)) أصناماً طيب يقول : ((**أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً**)) معروف أن ((**اتخذ**)) تنصب مفعولين ، ((**من دونه**)) المفعول الثاني و ((**آلهة**)) المفعول الأول ويجوز أن نجعل ((**من دونه**)) في موضع نصب على الحال من آلهة ويكون الأول محذوفاً أي أأتخذ أصناماً آلهة وهذا هو الذي مشى عليه المؤلف لقوله : " **أصناماً** " قال : ((**إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ**)) التي زعمتموها ((**شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ**)) صفة آلهة يريد المؤلف في الإعراب أي أن قوله : ((**إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا**)) هذه الجملة الشرطية صفة لآلهة يعني لا أتخذ آلهة هذا شأنها ما هو ؟ أن الله لو أرادني بضر لم تنفع شفاعتهم ((**لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا**)) هذا معنى كلام المؤلف وقيل : إن الجملة استئنافية لبيان حال هذه الآلهة أي أأتخذ من دونه آلهة ثم قال : هذه الآلهة استئناف لا تغني شفاعتها شيئاً من دون الله ولا تنقذ ولكن ما ذهب إليه المؤلف أظهر فتكون الجملة الشرطية في موضع نصب صفة إيش ؟ لآلهة ، قال : ((**إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ**)) يعني إن يردن الله عز وجل وذكر الرحمن لأن الرحمن اسم يدل على الرحمة ولما كان الضر قد يفهم منه من يفهم من الناس انتفاء الرحمة عن المريد ذكر ذلك باسم الرحمن لئلا يظن الظان أو يتوهم الواهم هذا الوهم أن إرادة الله الضر للإنسان تنافي الرحمة لأن إرادة الضر للإنسان قد يكون من رحمة الإنسان ، قال الله تعالى : ((**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**))[الروم:41]فما يصيب الإنسان من الضر له نتائج حميدة وهي الرجوع إلى الله عز وجل والاعتبار بما جرى ولهذا قال : ((**إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ**)) أي لا تنفعني بشيء والشفاعة في الأصل هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة ، هذه الأصنام التي تعبد من دون الله يدعي عابدوها أنهم إنما عبدوها لتقربهم إلى الله كما قال الله تعالى : ((**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ**

أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ)) يعني يقولون : ما نعبدهم **((إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى))**[الزمر:3]إذا فهم يدعون أنهم يعبدونها لتشفع لهم وهل هذا الوهم أو هذا الظن صحيح ؟ الجواب لا لأنهم عبدوها لم يتخذوها وسيلة بل جعلوها غاية ولهذا لا يخطر في قلوبهم عند التعبد لها إلا تعظيم هذه الأصنام وينسون الخالق عز وجل لكن يقول : الذي زعمتموها يعني بناءً على دعواهم أنهم يعبدون هذه الأصنام من أجل أن تشفع لهم ، قال : **((لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ))** ولا ينقذون من أي شيء ؟ من الهلكة أو من الضر الذي أراده الله به ويأتي إن شاء الله بقية الكلام على هذا .

تبارك وتعالى : **((وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ))** ، اقرب شوية ، تقدم في الصف ، **((وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى))** من هذا الرجل يا عادل ؟

الطالب : .....

الشيخ : نعم وما رأيك في من يحاول أن يسمي المبهم في كتاب الله ؟

الطالب : .....

الشيخ : فلا يصدق ولا يكذب هذا صح ، هذا حكم ذكر المبهم لكن من يحاول ويتعب نفسه في بيان المبهم ؟

الطالب : .....

الشيخ : طيب يعني محاولة معرفة الأشياء المبهمة .

ومن فوائد الآية الكريمة : بيان نصح هذا الرجل لقومه من وجهين :

الوجه الأول : أنه جاء من مكان بعيد **((وجاء من أقصى المدينة))** .

الوجه الثاني : أنه جاء يشتد يسعى فيستفاد منه أنه ينبغي للإنسان انتهاز الفرص في إنذار قومه ومناصحتهم وألا يتوانى فيقول : غداً أذهب إليهم ، أو في آخر النهار أو ما أشبه ذلك ، يعني المبادرة بالنصيحة والموعظة من هذا الرجل كما تشاهدون .

ومن فوائد الآية الكريمة : أنه يجوز للإنسان أن يبادر بالإنذار قبل أن يقدم له مقدمة إذا دعت الحاجة إلى ذلك لقوله : **((اتبعوا))** أمرهم من أول الأمر لم يأتِ بمقدمة تهيئهم للقبول لأن الحال تستدعي ذلك .

ومنها أيضاً : أنه ينبغي التلطف في القول في دعوة الغير لقوله : **((يا قوم))** فإن هذا يستوجب إتباعه وقبول نصحه ، لماذا ؟ لأن للإنسان حدباً على قومه .

طيب من فوائد الآية الكريمة أيضاً : أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يسألون الناس أجراً على ما أتوا به من الدلالة والهداية لقوله : **((اتبعوا من لا يسألكم أجراً))** .

ومن فوائدها أيضاً : أنه ينبغي أن يقدم الوصف الموجب للقبول قبل الوصف المفضل للقبول فهنا قال :

((اتبعوا المرسلين)) والرسالة وصف يقتضي وجوب قبول المرسل

((اتبعوا من لا يسألكم أجراً)) هذا من باب الكمال .

ومن فوائدها : أنه ينبغي للداعية إلى الله عز وجل أن يترفع عن أخذ ما في أيدي الناس من الأموال حتى وإن أعطوه لأنه ربما تنقص ميزانيته إذا قبل ما يعطى من أجل دعوته وموعظته لأن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يسألون الناس أجراً لا بلسان الحال ولا بلسان المقال وبه نعرف قبح ما يستعمله بعض الناس وإن كان الحمد لله الآن قد قل يقوم ويعظ الناس موعظة قد تكون بليغة فإذا انتهى قال : إني أنا في حاجة وصاحب عائلة وما أشبه ذلك ، صارت الموعظة الآن للدنيا للأجر

طيب هل يستفاد من هذا أنه لا يجوز أخذ الأجر على تعليم العلم لمخالفته لطرق الرسل ؟ أو يقال لا الذي الذي يجوز الأخذ عنه الدعوة إلى الله عز وجل هذه لا يجوز أخذ الأجر عليها لوجوب الدعوة على الإنسان أما التعليم الذي يحتاج إلى معاناة وإلى تعب وإلى تفهيم خاص فهذا لا بأس به وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : **(إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله)**

طيب هل يفهم منه أو هل يستفاد من الآية أنه لا يجوز أخذ رصد من بيت المال للدعوة والإرشاد ؟ لا يستفاد يعني لا ولكن لاشك أن التنزه عن ذلك أولى يعني كون الإنسان يذهب يدعو إلى الله عز وجل ولا من الحكومة لاشك أن هذا أفضل وأقرب إلى الإخلاص وأشد وقعاً في نفوس الناس حتى وإن لم يعلموا أنه لم يأخذ لأن الله تعالى يلقي ذلك في قلوب الناس أي يلقي القبول من هذا الناصح أو الداعي وإن لم يعلموا أنه لا يأخذ شيئاً .

ومن فوائد الآية الكريمة : أنه من طريق الدعوة أن يذكر الإنسان حال الداعية بوصفه بما يوجب قبول قوله لقوله : **((وهم مهتدون))** فهنا ذكر ما يوجب قبول قولهم في أول الدعوة ، **((اتبعوا المرسلين))** وفي آخرها في قوله : **((وهم مهتدون))** طيب .

ومن فوائد الآية الكريمة أيضاً : أنه يجب على من دعا إلى الله أن يكــون على بصيرة وعلى علم لأن هذا هو وصف الرسل فهـم يـدعون إلـى اللـه تعالى على هدىً منه وأما من يدعو على غير هـدى فـإنه قـد يفسـد أكـثر مما يصلح لأن الذي يدعو على غير علم ربما يجعل الشـيء الحـرام حلالاً والحلال حراماً وهو لا يدري فيحصل بذلك فساد في الدين والعقيدة .
ومن فوائد الآية الكريمة أيضاً : في قوله : **((وما لـي لا أعبـد الـذي فطرني))** من فوائدها : أنـه لا بـأس للإنسـان أن يضـيف الشـيء إلـى نفسه على سبيل الفـرض تلطفـاً لقـوله : **((وما لـي لا أعبـد الـذي فطرني))** يعني على فرض أنني لم أتخذ من دون الله آلهـ ة فمـا الـذي يمنعني أن أعبد الله عز وجل وحده .
ومن فوائدها : الإشارة إلى وجوب الإخلاص في العبادة لقوله : **((الذي فطرني))** فإن الله تعالى منفرد بفطر الخلق فيجب أن يفـرد بالعبـادة فلا يدعي أحد أن الآلهة تخلق إذاً لا يجوز أن تعطى شيئاً من العبادة التي يختص بها من هو ؟ من يخلق وهو الله .
ومنها : أنه من كمال الدعوة والتعليم قرن الحكم بدليله أو علته لقــوله : **((الذي فطرني))** فإن هذا كالتعليل لقـوله : **((ما لـي لا أعبـد))** ولهذا عدل عن قوله : **((ما لي لا أعبد اللـه))** إلـى قـوله : **((ومـا لي لا أعبد الذي فطرني))** ليكـون هـذا كالـدليل والتعليـل لوجـوب إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة نظير هذه الآية قوله تعالى :
((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ))[البقرة:21]ولم يقل اعبدوا الله بل قال : **((ربكم الذي خلقكـم))** ليكـون ذلـك كالتعليـل لوجوب عبادته وهذا في القرآن والسنة كثير.
ومن فوائد الآية الكريمة : أنه ينبغي ذكر ما يكون به الحذر والخـوف بعـد أن يـذكر مـا يكـون فيـه الرغـب أو الـترغيب والحـث لقـوله : **((وإليه ترجعون))** فذكر ابتداء الخلق وانتهاءه وأنه كله إلى من ؟ إلى الله عــز وجل وهنـا نجـد الفـرق بيـن التعليـل الأول **((وما لي لا أعبـد الـذي فطرني))** ولم يقل وإليه أرجع لأنه كما قلنا إنما أضاف ذلك إلى نفسـه وهو يعني قومه لكن أضافه تلطفاً وتوبيخاً لهم طيب ، فكأنه يقول : أنا لا أعبد إلا الذي فطرني فلماذا تعبدون أنتم معه غيره وإليه ترجعون
ثم قال عز وجل : **((أَأَتَّخِذُ مِـنْ دُونِـهِ آلِهَـةً))** إلـى آخـره فيـه بيـان الإنكار والتسفيه للذين يتخذون مع الله آلهـة لأن المـراد بالاسـتفهام هنـا الإنكار والتسفيه والتوبيخ لهؤلاء .

ومن فوائدها : أنه ينبغي أيضاً قرن الحكم بالتعليل لأنه قال : ((**أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ**)) إلى آخره فهذه الآلهة لا تنفع ولا تضر ولا تدفع فهي لا تنفع من عبدها ولا تضر من عدل عنها ولا تدفع عن عابديها ضرر الغير واضح ، يقول الله عز وجل : ((**إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا**)) فهم الآن لا يستطيعون دفع ضرر الغير وهم أي الآلهة لا ينفعون عابديهم ولا يضرون من عدل عن عبادتهم فهي قاصرة بنفسها لا تجلب نفعاً ولا ضراً ولا تدفع الضرر عن عابديها فتكون عبادتها خسراناً .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن كل معبود فهو إله لقوله : ((**أأتخذ من دونه آلهة**)) لكن إن كان يستحق العبادة فعبادته حق وهذا لا يكون إلا لمن لله عز وجل وإن كان لا يستحق العبادة وهو من سوى الله فعبادته باطلة وألوهيته باطلة ، ((**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**))[الحج:62].

ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات الإرادة لله لقوله : ((**إن يردن الرحمن بضر**)) وإرادة الله عز وجل غير خافية عليكم أنها تنقسم إلى قسمين : إرادة كونية وإرادة شرعية ، فالإرادة الكونية : هي التي بمعنى المشيئة ويتعين فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوباً لله .

والإرادة الشرعية : هي التي بمعنى المحبة ولا يتعين فيها وقوع المراد ويتعين أن يكون محبوباً لله عز وجل ، إذا قال قائل : ((**إن يردن الرحمن بضر**)) الضر شر أو خير ؟ شر لاشك أن الضرر شر على الإنسان فكيف نجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم : (**الشر ليس إليك**) ؟ الجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل الشر ليس منك بل قال : (**الشر ليس إليك**) والله عز وجل قد يريد الشر لكن إرادته للشر خير فالشر في مفعوله لا في فعله أنتم فاهمين الفرق ، الشر في المفعول لا في الفعل فقد يريد الله الشر أو وقوع الشر لكن لمصلحة عظيمة هذه المصلحة نفت نسبة الشر إلى الله ، ولهذا يفرق بين الشر منك والشر إليك فالله عز وجل يقع منه الشر بمعنى أن الشر يكون في مفعولاته أما أن ينسب إليه ويقال : إن الله شرير حاش وكلا فهذا مستحيل لأن فعله كله لحكمة وغاية محمودة ، وانظر مثلاً إلى المرض إذا أصاب الإنسان مرض فلاشك أنه شر بالنسبة للصحة .

ما تشعر بهذه النعمة نعمة الصحة لكن إذا مرضت شعرت بقدر النعمة وبضدها تتبين الأشياء أنت الآن تنفس النفس تنفس وأنت تأكل تنفس وأنت تتكلم تنفس وأنت قائم وأنت قاعد وأنت مضجع لا تحس بأي شيء لكن لو قدر الله تعالى أن يحبس نفسك ويكون عندك ضيق تنفس عرفت قدر النفس وإلا لا ؟ عرفت قدر النفس فالحاصل أن هذا الشر شر نسبي في الواقع حتى بالنسبة لمن وقع عليه ، طيب الفيضانات والزلازل والجدب شر وإلا خير ؟ شر لكن بالنسبة إلى تقدير الله لها خير هي شر بالنسبة لمن أصابتهم لكن هي خير بالنسبة للآخرين يتعظون ويخافون وقد تكون خيراً لأولئك المصابين بحيث يرجعون إلى الله عز وجل ويعرفون أن المعصية عاقبتها وخيمة **((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ))**[الروم:41]إذا فلا منافاة بين قوله صلى الله عليه وسلم : **(الشر ليس إليك)** وبين مثل هذه الآية **((إن يردن الرحمن بضر))** .

ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات صفة الرحمة لله ، مأخوذ من قوله : **((الرحمن))** لأن الرحمن وصف مشتق ، والوصف المشتق يدل على المعنى المشتق منه ولا بد بخلاف الأسماء الجامدة كأسد وحجر وتراب وما أشبهها هذه لا تدل على معنى لكن الأسماء المشتقة لابد أن تدل على معنى هذا بالنسبة إلى أسماء الله ورسوله وكتابه أما بالنسبة لمن تسمى بها من المخلوقين فقد تدل على المعنى وقد لا تدل ، قد يسمي شخصاً عبد الله وهو كافر بالله ، وقد يسمي شخصاً محمداً مذمم ، وقد يسمي خالد وهو سيموت ، وقد يسميه صالح وهو من أفسد الناس واضح ، طيب .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن عابد الأصنام يموهون على الناس بعبادتها فيدعون أنهم يعبدونها لتكون شفيعة لهم عند الله وهذا عندما يسمعه السامع يظن أنهم يجعلون الآلهة في مرتبة دون الله لأن مرتبة الشافع دون مرتبة المشفوع إليه أليس كذلك ؟ فيقولون : إنهم شفعاء لنا عند الله والحقيقة أنهم لم يجعلوهم شفعاء بل جعلوهم شركاء لل ه واضح ، كيف شركاء ؟ لأنهم يعبدونهم كما يعبدون الله فيستفاد منه الحذر من التلبيس بالتسمية وأن صاحب الباطل قد يسمي نفسه فيما يقتضي أن يكون على حق وليس كذلك ، وهذا موجود ؟ كثير موجود ، المعتزلة يسمون أنفسهم أهل التوحيد والمعطلة يسمون أنفسهم أهل تنزيه نحن

ننـزه اللـه أمـا أنتـم أهـل السـنة أنتـم لا تنزهـون اللـه جعلتمـوه صـنماً فمثلتموه بالخلق في إثبـات الصـفات وهـؤلاء أيضـاً أهـل التوحيـد نفـس الشيء يقولون نحن نفينا الصفات لنوحد الله لأن تعدد الصفات يســتلزم تعدد الموصوف هذا تمويه .

المعتزلة ينكرون أن يكون لله تعالى تعلق بفعل العبد فيسمون أنفسهم أهل العدل أما أنتم يا أهل السنة فـأنتم أهـل الظلـم جعلتـم اللـه ظالمـاً حيث هو الذي يقدر المعاصي على العبد ثم يعاقبه عليها أمـا نحـن فنحـن أهل العدل نقول : أن الإنسان هو المسـتقل بنفسه وعملـه فـإذا جـوزي على معصيته فقد استحق الجـزاء لأنـه فعلـه ، النصـارى سـموا أنفسـهم بماذا ؟ بالمسـيحيين توصـيفاً لحـالهم ليوهمـوا أنهـم علـى ديـن المسـيح والواقع أن المسيح بريء منهم وأنهم ليسوا عل دينه لو كـانوا علـى دينـه وقابلين له لقبلوا بشـارته بمحمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم فـإن عيسـى بشـرهم بـه قـال : **((يَا بَنِـي إِسْـرَائِيلَ إِنِّـي رَسُـولُ اللَّـهِ إِلَيْكُـمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِـنَ التَّـوْرَاةِ وَمُبَشِّـرًا بِرَسُـولٍ يَـأْتِي مِـنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَـدُ))**[الصـف:6]ولـو كـانوا مـؤمنين بالإنجيـل لآمنـوا بمحمد عليه الصلاة والسلام لأن الله يقول : **((الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًـا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ))**[الأعراف:157]فهم لا آمنوا بعيسى ولا بكتاب عيسى وهو الإنجيل لكن مع ذلك سـموا أنفسـهم بالمسـيحيين توصيفاً لما هم عليه من الباطل ليصـبغوا نحلتهـم بصـبغة مقبولـة طيـب المهم أنه يجب الحذر مـن التلـبيس بالتسـمية لأن هـؤلاء يقولـون : نعبـد الآلهة لتكون إيش ؟ شفعاء أو ليكونوا شفعاء لنا وهم فـي الحقيقـة إنمـا جعلوهم شركاء .

ومن فوائد الآية الكريمة : أنه لا أحد ينقذ من أراده اللـه تعـالى بسـوء أو بضرر لقوله : **((ولا ينقذون))** فـإن قلـت كيـف يجتمـع هـذا مـع أننـا نشاهد الغريق عصـفت بـه الريـح حـتى سـقط فـي المـاء فجـاء شـخص فأنقذه فهـذا أنقـذ ممـا أراده اللـه بـه مـن السـوء ؟ أن نقـول إن إنقـاذه بتقدير الله عز وجل لو شاء الله أن يهلك هذا لم يكن عنده أحد ولو شــاء الله أن يهلك لكان عنده من لا يجيد السباحة ولو أراد الله أن يهلك لكــان عنده من لا يريد الإحسان أليس كذلك ؟ فإذا قيض الله له شخصـاً قـادراً علـى إنقـاذه محبـاً للإحسـان أنقـذه بقـدر اللـه عـز وجـل ونحـن نـؤمن بالأسباب لكننا لا نؤمن بأنهم مستقلة كذا يا ولد فنكون وسطاً بين الـذين ينكرون تأثير الأسباب وبين الذين يدعون أنها مـؤثرة بنفسـها نقـول إنهـا

مؤثرة لكن بجعل الله لها تأثيراً ولو شاء الله تعالى لسلب ذات الأسـباب تأثيرها ، فالنار محرقة وباردة قال الله تعالى لها حينما ألقي فيها إبراهيم : **((كوني برداً وسـلاماً علـى إبراهيـم))** فصـارت إيـش ؟ بـرداً وسلاماً لم تكن سـبباً للإحـراق والمـاء جـوهر سـيال لا يمكـن حجـزه إلا بحواجز ثخينة ولما ضرب موسى البحر صار الماء كالجبال بـدون حـواجز وهذا خلاف الأسباب المعتادة لكنـه بقـدر اللـه عـز وجـل وبـه نعـرف أن الأسباب مؤثرة بجعل الله تعالى لها تأثيراً وإلا لسـقط تأثيرهـا لأن الكـل بيد الله

وبمناسبة ذكر النار لإبراهيم عليه الصلاة والسلام قال بعض المفسرين : " إن الله لما قـال لهـا : **((كوني بـرداً وسـلاماً علـى إبراهيـم))** صارت جميع النيران في جميع أقطار الدنيا بـاردة ولا تسـخن واسـتغرب الناس ذلك " قالوا إيش بلى نارنا اليوم مـا غلـى القـدر عليهـا نعـم تـأخر طعامنا ما نضج لأن النار صارت باردة لكن هذا لاشك أنه قول خاطئ ، ما هو خطأ خاطئ بعيد من الصواب بل هو خلاف أمر اللـه عـز وجـل ، اللـه قال :

((قلنا يا نار)) ونار نكرة مقصودة ولهذا بنيت على الضم فهي كالعلم يراد بها شيء معين وهي النار التي ألقي فيها ثم قال : **((كـوني بـرداً وسـلاماً علـى إبراهيـم))** فهـو خلاف الآيـة الكريمـة لكـن مـا أدري سبحان الله بعض الناس رحمه الله عليهم وعفـا عنهـم يـذهبون مـذاهب تقول كيف تقع هذه من عالم والغالب تجـدها عـن بنـي إسـرائيل فتؤخـذ مسلمة ولا ينتبه لمعارضتها لآي الكتاب

قال الله تبارك وتعالى ، أظن المناقشات انتهت .

الطالب : ...

الشيخ : كيف ؟ إيش ؟

((إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُـمْ فَاسْـمَعُونِ)) **((إني إذاً))** الجملة هذه مؤكدة بـ**((إن))** لأن المقام يقتضي التوكيد وقوله : **((إذاً))** أي إن عبدتم غير اللـه لقـوله : **((وما لـي لا أعبـد الذي فطرني))** ويجـوز أن نقـدر إن اتخـذت مـن دونـه آلهـة لقـوله : **((أأتخذ من دونه آلهة))** و **((إذاً))** هنا ظرف تدل على الحـال وإذا ظرف تدل على المستقبل وإذ ظـرف تـدل علـى الماضـي فهـذه الثلاثـة تقاسمت الزمان إذاً للحال وإذا للمستقبل وإذ للماضي وتأتي لغيـر ذلـك

إذ كما تأتي للتعليـل مثلاً **((إني إذاً لفـي ضـلال مـبين))** اللام هنـا للتوكيد فالجملة مؤكدة بمؤكدين

يعني إن اتخذت معه آلهة أو عبدت غيره **((لفي ضلال مبين))** قال المؤلف : " **بين** " والضلال هو أن يتيه الإنسان عن جادة الصواب ثم إن كان عن علم كان طريقه طريق المغضوب عليهم وإن كان عن جهل كان طريقه طريق الضالين وقد ذكر الله تعـالى فـي سـورة الفاتحـة فقـال : **((اهدنا الصراط المستقيم * صـراط الـذين أنعمـت عليهـم * غير المغضوب عليهـم ولضـالين))** فالمغضـوب عليهـم هـم الـذي جانبوا الصواب عـن علـم والضـالون هـم الـذين جـانبوه عـن غيـر علـم ، والمهتدون الذين أنعم الله عليهم هـم الـذين عملـوا بالصـواب عـن علـم ووجه كونه ضلالاً مبيناً أي اتخاذ آلهة من دون الله أنه حيدة عـن الـواجب شرعاً وعقلاً فالواجب شرعاً ألا نتخذ إلهاً مع الله كمـا جـاءت بـه جميـع الرسل والواجب عقلاً ألا نتخذ آلهة مع الله لأن الله سـبحانه وتعـالى هـو الذي خلق الإنسان وفطره وهو الذي بيده النفع والضرر فكيف نتخذ معه آلهة لم تخلق ولا تنفع ولا تضر ،

((إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ)) أعلم رحمه الله أنه آمن بالله عز وجل وقال : **((آمنت بربكـم))** وهنـاك قـال : **((ومـا لـي لا أعبـد الذي فطرني))** إشارة إلى أنه ليس رباً له وحده بل هو رب للجميع

((إني آمنت بربكم)) والإيمان بالله عز وجل يتضمن الإيمان بـأمور أربعـة : الإيمـان بوجـوده والإيمـان بربـوبيته وهنـا صـرح بـه فـي قـوله : **((آمنت بربكم))** فإثبات الربوبية إثبـات للوجـود ، والثـالث : الإيمـان بـألوهيته والرابـع : الإيمـان بأسـمائه وصـفاته ، أي أنـه متفـرد بالربوبيـة والألوهية والأسماء والصفات وقـوله : **((آمنت))** مـر علينـا كـثيراً أن الإيمان في اللغـة التصـديق عنـد كـثير مـن المفسـرين الـذين يفسـرون الإيمان وقيل إن معناه : الإقرار والاعتراف فهو أخص من التصديق ، قال : **((فاسمعون))** الفاء هذه عاطفة على قوله : **((آمنت بربكـم))** أو على الجملة كلهـا وقـوله : **((اسمعون))** أي اسـمعوا قـولي وهـذا إعلان منه رحمه الله بإيمانه مراغمة لقوله وإقامـة للحجـة عليهـم ولهـذا لما أعلن هذا الإعلان قتلوه

قال المؤلف : " **فرجموه فمات قيل له عند مـوته ادخـل الجنـة وقيل دخلها حياً** " لما أعلن هذا الإعلان وراغمهم ولـم يـأبه بهـم ولـم يهمه والظاهر والله أعلم أنهم توعدوه حينئذ رجموه فقتلوه فقيل له بعـد

موته : ادخل الجنة ، الأمر هنا للتكريم والجنة هي الدار الـتي أعـدها اللـه سبحانه وتعالى لأوليائه فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علـى قلب بشر وقوله : **(ادخل الجنة)** بعد مـوته لأن الإنسـان يعـذب فـي قبره أو ينعم فإن كان من أهل الخير فإنه ينعم وإن كان مـن أهـل الشـر فإنه يعذب ، قال : **((يا ليت قومي يعلمـون))** لمـا قيـل لـه ادخـل الجنة وهذا الأمر كما قلت أمر إكرام قال : **((يا ليت قومي يعلمـون))** المفسر يقول : " **حرف تنبيه** " يعني **((يا))** وليسـت حـرف نـداء لأنها دخلت على حرف ويا التي للنداء لا تدخل إلا على اسـم فـإذا دخلـت على ما لا تصـح دخولهـا عليـه فإنهـا لا تكـون للنـداء وقـد مـر علينـا فـي علامات الاسم أن من علاماته إيش ؟ النداء ، دخول يـا النـداء عليـه فـإذا دخلت يا النداء على غير اسم فإنها للتنبيه سواء دخلت علـى حـرف مثـل **((يا ليت قومي يعلمـون))** أو دخلـت علـى فعـل وأكـثر مـا تكـون دخولها على الأفعال فعل الأمر فإنها تكون للتنبيه

ويجوز أن تكون حرف نداء والمنـادى محـذوف ويقـدر بحسـب السـياق فمثل هذه الآية نقدرها فنقول يارب يا ليت قومي يعلمـون بمـا غفـر لـي ربي ، فصار في إعرابها وجهان : أحدهما أنها للتنبيه والثاني : أنهـا للنـداء والمنادي محذوف ويقدر بحسـب مـا يقتضـيه السـياق وقـوله : **((ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي))** **((ليـت))** هنـا للتمنـي ولعـل للترجي والفرق بينهما أن التمني يكون فيمـا فيـه تعـذر والـترجي يكـون فيما يقرب حصوله وما كـان بيـن ذلـك فتـارة تسـتعمل فيـه ليـت وتـارة تستعمل فيه لعل ، فالأحوال ثلاثة : ما قرب حصوله تستعمل فيـه لعـل ، وما امتنع ليت ، وما كان بين ذلك فأحياناً لعل وأحياناً ليت بحسـب قربـه من التعذر أو من القرب ،

((قال يا ليت يعلمون)) يعلمون ما حصل له ولهـذا قـال : **((بما غفر لي ربـي))** بغفرانـه **((وجعلنـي مـن المكرميـن))** **((بمـا غفر لي ربي))** الباء هنا متعلقة بـ**((يعلمون))** والعلـم هنـا بمعنـى المعرفة فلا تتعدى إلا إلى مفعول واحـد و **((ما))** مصـدرية كمـا حلهـا المفسر وأولهـا إلـى مصـدر قـال : " **بغفرانه** " وهنـا ينبغـي أن نتـذكر معاني ما فمن الذي يذكرها لنا ؟ نعم يا خالد .

الطالب : ...

الشـيخ : تعظيـم ومصـدر تمـام صـار معانيهـا عشـرة " سـتفهم " يعنـي الاستفهام " شرط الوصل فاعجب " تعجبية " لنكرها " نكـرة " بكـف "

كـاف " ونفـي " نافيـة " ذي " زائـدة " تعظيـم " للتعظيـم " مصـدر "مصدرية فهنا هي من القسم الأخير أو المعنى الأخير مصـدرية وعلامـة المصدرية التي تسبك وما بعدها أو يسـبك مـا بعـدها بمصـدر يحـول إلـى مصدر وقوله : **((بما غفر لي ربي))** تقدم لنا أن المغفرة هـي سـتر الذنب والتجاوز عنه لأنها مأخوذة من المغفر والمغفر فيه معنيان أو فيـه شيئان :

أحدهما : الستر لأنه يستر الرأس .

والثاني : الوقاية لأن الإنسان يضع على رأسه المغفر فـي القتـال ليتقـي به السهام وليست المغفرة بمعنى الستر فقط ثـم قـال : **((بما غفـر لي ربي))** فأضاف الربوبية إليه وهي من الربوبية الخاصة لأن الربوبيـة نوعان : ربوبية عامـة وربوبيـة خاصـة ، الربوبيـة العامـة : هـي الشـاملة لجميع الخلق التي مقتضاها التـدبير والتصـرف فـي الخلـق كمـا تقتضـي حكمته ، والخاصة : هي التي يكون فيها عناية بهذا المربوب فربوبية اللـه سبحانه وتعالى لرسله وأوليائه وقد اجتمع القسمان أو النوعان في قـول السحرة : **((قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَـارُونَ))** [الأعـراف 121:122]فـالأولى : عامـة والثانيـة : خاصـة ، ويقابـل ذلـك العبودية فإنها عامة وخاصة فالعامة كقوله تعالى : **((إِنْ كُلُّ مَـنْ فِـي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَـنِ عَبْـدًا))**[مريـم:93]والخاصـة كقوله :

((وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا))[الفرقـان: 63]والخاصة فيها أخص وهي عبودية الله تعالى للرسـل كقـوله تعـالى : **((تَبَارَكَ الَّـذِي نَـزَّلَ الْفُرْقَـانَ عَلَـى عَبْـدِهِ))**[الفرقـان:1]قـال : **((ما غفر لي ربي))** هنا ربوبية خاصة وإلا لا ؟ خاصة ، **((وجعلنـي من المكرمين))** نعم **((جعلني مـن المكرميـن))** لـدخوله الجنـة لأن دخول الجنة إكرام للإنسـان إكـرام مـن قبـل اللـه وإكـرام مـن قبـل الملائكة فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب **((سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَـا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الـدَّارِ))**[الرعـد:24]إكـرام مـن جهـة الولـدان المخلدون الذين هم خدم لأهل الجنة ، إكرام مـن جهـة الزوجـات اللاتـي هن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ، إكـرام مـن جهـة بعضهم لبعض فإنهم إخـوان علـى سـرر متقـابلين قـد نـزع اللـه مـا فـي صدورهم من غل ومثل هذا لابد أن يكون فيه إكـرام مـن بعضـهم لبعـض فأهل الجنة مكرمون ومنهم هذا الرجـل المـؤمن الناصـح المخلـص فـإنه

مكرم بدخول الجنة قال الله عز وجل لما ذكر المصلين الـذين هـم علـى صـلاتهم دائمـون ختـم هـذه الصـفات بقـوله : ((**أُوْلَئِـكَ فِـي جَنَّـاتٍ مُكْرَمُونَ**))[المعارج:35]ولهذا قال هنا : ((**وجعلني من المكرمين**)) نأخذ فوائد هذه الآيات لأننا أظن أننا اتفقنا على أن نأخذ فائدة كل آيــة طيب .

قـال اللـه تعـالى : ((**إِنِّي إِذًا لَفِي ضَـلالٍ مُبِيـنٍ**)) فـي هـذه الآيـة الكريمة : بيان من أبين الضلال وأشده تيهاً أن يتخذ الإنسان مع الله آلهة لقوله : ((**إني إذاً لفي ضلال مبين**)) .

ومنها : أنه ينبغي التأكيد إذا كان المخـاطب منكـراً أو حـاله حـال المنكـر لأنه يخاطب من ؟ يخاطب قومه الذين اتخذوا مع الله آلهة ويقول إني إن اتخذت آلهة مع الله لفي ضلال مبين ولهذا أكد الجملة بكم ؟ بمؤكدين : ((**إن**)) واللام ، وربما يؤخذ من الآية الكريمة أن كل من ضل عن الحق أو كل من خالف الحق أصابه من الضلال بقدر ما خالف الحق لقـوله : ((**لفي ضلال مبين**)) فيفيد أن الضلال قد يكـون خفيـاً وقـد يكـون بينـاً واضحاً .

ومن فوائد الآية الكريمة : كمال نصح هذا الرجل لأنه قـرر وحدانيـة اللـه عز وجل بعدة أمور منها مـا سـبق بقـوله : ((**وما لـي لا أعبـد الـذي فطرني**)) ومنها : التحذير من الشرك بـه لكـون المشـرك فـي ضـلال مبين وهكذا ينبغي للداعي إلى الله عز وجل إذا دعا إلـى الحـق أن يـذكر ما في لزومه من الفضائل وأن يذكر ما في مخالفته من الضلال والسـوء حتى يجمع بين الترغيب والترهيب .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن عكس مـن اتخـذ مـع اللـه آلهـة وكـان فـي ضلال مبين أن من وحد الله فهو على هدى مبين بيـن واضـح لأنـه أصـاب الفطرة وأصاب ما جاءت به الرسل .

ثم قال : ((**إني آمنت بربكم فاسمعون**)) يستفاد مـن هـذه الآيـة : فضيلة هذا الرجل بإعلانه الإيمان بالله عز وجل وكل إنسان يـؤمن يعلـن إيمانه بالله فإن ذلك له مزية وفضيلة قال الله تعالى : ((**وَمَنْ أَحْسَـنُ قَـوْلًا مِمَّـنْ دَعَـا إِلَـى اللَّـهِ وَعَمِـلَ صَـالِحًا وَقَـالَ إِنَّنِـي مِـنَ الْمُسْلِمِينَ**))[فصلت:33]أعلن بـأنه مـن المسـلمين ولـم يخـف أحـداً سوى الله .

ومنها : قوة شخصية هذا الرجل حيث أعلن أمـام هـؤلاء القـوم أنـه آمـن وآمن بربهم الذي يستلزم أن يكونوا مخلصين له في العبادة إذا كـان ربـاً

لهم كـأنه أقـام الحجـة عليهـم بـذلك فـإذا كـان اللـه ربكـم فـالواجب أن توحدوه ولا تتخذوا معه آلهة وهذا يدل على قوة شخصيته ،زد علـى ذلـك أنه تحداهم فقـال : **((فاسمعون))** فأنـا لا أبـالي بكـم اسـمعوا أنـي آمنت بربكم الذي يجب أن توحدوه لأنه ربكم .

ومن فوائد الآية الكريم ة : بيـان ربوبيـة اللـه تعـالى العام ة حيـث قـال : **((بربكم))** مع كونهم مشركين كفاراً وهذا من الربوبية العامة .

ثم قـال : **((قيل ادخل الجنـة قـال يـا ليـت قـومي يعلمـون))** يستفاد من هذا الآية الكريمة : إثبات نعيم القبر لقوله : **((قيل ادخـل الجنة))** ويدل لـذلك آيـات مـن القـرآن مثـل قـوله تعـالى : **((الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ))** [النحل:32]**((تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ))** **((طيبين))** هذه حال من الهاء يقولون : حال من الملائكة يعني حال كون الملائكة يقولون عند توفيهم ادخلوا الجنة ، فيستفاد من هذه الآية إثبات نعيم القـبر ، فيـه آيـة أخرى يا حجاج ما هي ؟ إثبات نعيم القبر .

الطالب : ...

الشيخ : القرآن من **((الم * ذلك الكتاب))** من الفاتحة إلـى **((قـل أعوذ برب الناس))** نعم .

الطالب : ...

الشيخ : ما هذه ، نعم .

الطالب : ...

الشيخ : لا ، **((فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ))**[الواقعة:85]إلى قـوله : **((فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيـمٍ))** [الواقعة:89]فهنا قال : **((فلولا إذا بلغت))** حين الموت ثم قال : **((فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ))** ومنها هذه الآية : **((قيل ادخل الجنة))** لأن هـذا قيـل **((ادخل الجنـة))** ولم تقم الساعة الآن فهو دليل على أن الميت ينعـم فـي قـبره كـأنه مـا دخل الجنة لأنه يلبس من الجنة ويفرش مـن الجنـة ويفتـح لـه بـاب إلـى الجنة ويأتيه من روحها ونعيمها فكأنه دخلها .

الطالب : ...

الشيخ : لا ، لا لأن **((فأما إن كان من المقربين))** حين تبلغ الـروح الحلقوم أي نعم .

الطالب : ...
الشيخ : الآن يعني .
طيب ((**قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون**)) فيه إثبات نعيم إيش ؟ القبر لقوله : ((**قيل ادخل الجنة**)) مع أن الساعة لم تقم بعد ولم يدخل الناس الجنة .
طيب ومن فوائدها : أن هذا الرجل كان ناصحاً في حياته وبعد مماته ، ففي حياته دعا قومه إلى توحيد الله عز وجل كما مر علينا وبعد مماته تمنى أن قومه يعلمون بغفران الله له من أجل إيش ؟ أن يؤمنوا ويتبعوا الرسل وهذا دليل على أن المؤمن لا تلقاه إلا ناصحاً حتى بعد موته يكون ناصحاً فهذا الرجل تمنى أن قومه يعلمون بما غفر الله له لعلهم يرجعون فيؤمنون كما آمن .
ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات وجود الجنة وقد دل على ذلك آيات وأحاديث كثيرة مثل قوله تعالى : ((**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**))[آل عمران:133]والإعداد بمعنى التهيئة والنصوص في هذا كثيرة ، وقد عرضت الجنة والنار على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي صلاة الكسوف
طيب وهل تبقى الجنة أبداً ؟ الجواب نعم وهذا متفق عليه بين أهل السنة ، النار موجودة الآن وهو متفق عليه أيضاً بين أهل السنة وهل تفنى ؟ الصحيح المقطوع به أنها لا تفنى لأن الآيات صريحة في ذلك وقد ذكر الله تعالى تأبيد الخلود فيها في ثلاث آيات من كتابه ما هي يا عبد الوهاب ؟ تأبيد الخلود في النار ذكرها الله في ثلاث آيات من القرآن .
الطالب : ...
الشيخ : في سورة النساء والأحزاب والجن طيب في سورة النساء فهد ، ما تذكرها ، نعم .
الطالب : ...
الشيخ : طيب .
الطالب : ...
الشيخ : ((**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**))[النساء 168:169]طيب في سورة الأحزاب .
الطالب : ...

الشيخ : لا ، لا، هذه في البقرة ولا هي .
الطالب : ...
الشيخ : ((**إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا**))[الأحزاب:65]، الآية الثالثة في سورة الجن خالد .
الطالب : ...
الشيخ : ((**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**))[الجن:23]هذه ثلاث آيات صريحة في تأبيد أهل النار فيها نعم .
الطالب : ...
الشيخ : لا ، لا ، ما داموا فيها نعم ، طيب المهم التصريح بالتأبيد ومع ذلك مع التصريح بالتأبيد ذكر عن بعض السلف أنهم كانوا يقولون : بأنهم تفنى ، ولكن هذا القول لاشك مهما قاله من قاله فإنه قوله مردوداً عليه طيب .
ومن فوائد الآية الكريمة : منة الله عز وجل على من آمن بالمغفرة والإكرام فيتفرع على هذه الفائدة أن الإيمان سبب للمغفرة وسبب لإكرام الله تعالى للعبد .
ومن فوائدها : أنه لا يتم النعيم إلا بزوال المكروه ويستفاد هذا من قوله : ((**بما غفر لي ربي**)) .
ومنها أيضاً ما أشار إليه بعض الأدباء : أن التخلية قبل التحلية كيف هذا ؟ لقوله : ((**بما غفر لي ربي**)) وهذا تخلية وإزالة ((**وجعلني من المكرمين**)) هذا تحلية ولهذا لو أردت أن تحلي امرأة تنظفها أولاً ثم تلبسها الحلي ، لو ألبستها الحلي وهي غير نظيفة نعم ما يليق ولا تجد جمالاً فيها أي نعم طيب إذاً يستفاد منها أن المغفرة تسبق الإكرام والرحمة ويدل لهذه القاعدة التتبع فإن الغالب أن الله عز وجل إذا قرن بين الاسمين الغفور الرحيم يقدم الغفور على الرحيم طيب يقول : ((**بما غفر لي ربي**)) .
ومن فوائد الآية أيضاً : إثبات الربوبية الخاصة لقوله : ((**ربي**)) فهذه من الربوبية الخاصة .
ومن فوائدها : أن الإكرام إكرام الله عز وجل لا يختص بهذا الرجل بل هناك عالم يكرمهم الله لقوله :

((**وجعلني من المكرمين**)) ففيه حث على أن يفعل الإنسان كفعله لينال ما ناله ولم يقل : بما غفر لي ربي وأكرمني ، بل قال : ((**وجعلني من المكرمين**)) ليبين أن الإكرام ليس خاصاً به بل الإكرام موجود لكل من قام بعمل كعمله .
ثم قال تعالى : ((**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ**)) ((**وما أنزلنا**))
((**ما**)) نافية وقوله : ((**على قومه**)) قال المؤلف : " **أي حبيب** " بناء على أن اسمه حبيب وقد سبق أن اسمه لا يهمنا ، المهم القصة ، ((**على قومه من بعده**)) أي من بعد أن هلك ومات على أيديهم ، ((**من جند من السماء**)) ((**من**)) هذه زائدة لأنها لو حذفت استقام الكلام بدونها لو قال : وما أنزلنا على قومه جنداً من السماء ، يستقيم الكلام وقوله : ((**من جند من السماء**)) أي ملائكة فإن الملائكة جنود الله عز وجل قال الله تعالى : ((**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**)) [المدثر:31]وقال تعالى : ((**وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**))[الصافات: 173]فالجند الملائكة لكن قال : " **لإهلاكهم** " ((**وما كنا منزلين**)) ملائكة لإهلاك أحد فلم تنزل الملائكة لإهلاك أحد وقيل : وما كنا منزلين لإهلاك هؤلاء ، لأنهم أقل وأحقر من أن يبعث الله ملائكة من السماء تهلكهم وهذا هو الأقرب فيكون النفي هنا خاصاً بمن ؟ بهؤلاء القوم لأن الله أنزل ملائكة في بدر وأنزل ملائكة في غزوة حنين فأنزل الله تعالى الجنود وكذلك أيضاً في غزوة الأحزاب ((**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا**))[الأحزاب:9]ولكن ((**ما كنا منزلين**)) جنوداً لهؤلاء احتقاراً لهم وهذا الذي مشى عليه المؤلف هو الصحيح وقال بعض العلماء : ((**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ**)) أي من وحي ورسل لأن الوحي تنزل به الملائكة لكن ما مشى عليه المؤلف أصح بدليل ما يأتي فيما بعد والله أعلم .

قال : ((**إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً**)) ((**إن**)) قال المؤلف : " بمعنى ما " وعلى هذا فهي نافية ((**إن**)) هنا نافية وينبغي أن نستحضر معاني إن ، تأتي نافية كما هنا إيش بعد ؟ وشرطية كما لو قلت : إن قام زيد قام عمرو هذا اثنين ومخففة من الثقيلة مثل " وإن مالك كانت كرام المعادن " إيش بعد ؟
الطالب : ...

الشيخ : لا ما تأتي إن ما تأتي .
الطالب : ...
الشيخ : لا هذه كأن ، وتأتي زائدة كقوله :
" **بني غدانة ما إن أنتمُ ذهب ولا صريف ولكن أنتم الخزف** "
تأتي على أربعة أوجه : نافية وشرطية ومخففة من الثقيلة وزائدة نعم وإذا أتت بعدها إلا فهي نافية وقد تكون نافية بدون إلا كقوله تعالى : ((**إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا**))[يونس:68]أي إن ما عندكم لكن القاعدة أنه إذا أتت بعدها إلا فهي نافية ولا يلزم ألا تأتي نافية إلا مع إلا ، لا ليس بلازم قد تأتي نافية بدون إلا كقوله : ((**إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا**)) يعني ما عندكم طيب ، قال الله تعالى : ((**إن كانت**)) قال المفسر : " **عقوبتهم** " يعني ما كانت عقوبتهم التي عاقبهم الله بها بكفرهم ((**إلا صيحة واحدة**)) " **صاح بهم جبريل** " ((**فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ**)) يعني ما احتاجوا إلى عناء وإلى جند ما هي إلا صيحة ولم يبين الله سبحانه وتعالى الصائح والمؤلف قال : " **جبريل** " ولا ينبغي أن نجزم بهذا إلا بدليل لأن الواجب علينا أن نبهم ما أبهمه الله إلا أن يرد تعيينه بدليل صحيح ولم يرد بتعيينه هذا دليل صحيح وعلى هذا فنقول : صيح بهم ولا نجزم من هذا الصائح ، المهم أنها صيحة واحدة ، صيح بهم فهلكوا عن آخرهم ولهذا قال : ((**فإذا هم خامدون**)) ((**إذا**)) هنا فجائية تدل على تعاقب ما بعدها وما قبلها أي أن ما بعدها وقع عقب ما كان قبلها مباشرة ولهذا سميت فجائية لأنها تفاجيء وتأتي فوراً من حين أن صيح بهم خمدوا عن آخرهم قال الله عز وجل ، أنا أرجو ألا يتكرر منكم هذا كل واحد يصلح ...طيب يقول : ((**فإذا هم خامدون**)) " **فإذا هم ساكتون ميتون** " وبهذا نعرف أن هؤلاء ماتوا عن آخرهم لأن ((**هم**)) ضمير يفيد الجمع والشمول .
قال الله تعالى : ((**يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ**)) هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فأهلكوا وهي أي الحسرة شدة التألم والندم يسمى حسرة ونداؤها مجاز أي هذا أوانك فاحضري قوله : ((**يا حسرة على العباد**)) الحسرة هي شدة الندم والتألم والتحسر والحزن على ما مضى ، قال الله تعالى : ((**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ**))[البقرة 166:167]أي ندامات وآلام ((**وما هم**

بخارجين من النار)) وقوله : **((يا حسرة على العبــاد)**) حســرة على العباد ممن ؟ قيـل أن القائـل هـم المكـذبون وأنهـم تحسـروا علـى أنفسهم وقالوا : **((يا حسرة على العباد)**) ثـم بينـوا السـبب ومـتى يكون ، وقيل : إن الحسرة من أتباع الرسل يعني من هذا الرجـل ونحـوه تقول يتحسر على هؤلاء العباد وقيل : إن التحسر من الله عز وجل ولكن ليس معناه أنه يتصف به بل المعنى أنه يبين حسرة العباد علـى أنفسـهم فيقول : يا حسرة واقعة على العباد واقعة عليهم فتكون على قريبة مــن معنى من يعني أن الله تعالى يبين .

أن هـؤلاء المكـذبين سـوف يتحسـرون علـى تكـذبيهم وهـذا أقـرب إلـى السياق لقوله : ((**إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُـمْ خَامِـدُونَ** * ((**يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ**)) فالكلام كلام الله عز وجـل لكـن لمـا كـان التحسر ندم وألم صار الله تعالى منزهاً عنه فـوجب أن يكـون المـراد يـا حسرة واقعة عليهم أي ما أشد تحسر العباد على ما فعلوا مـن التكـذيب للرسل كما بينـه آخـر الآيـة وقـوله تعـالى : ((**على العبـاد**)) المـراد بالعباد هنا العبودية العامة وليست الخاصة لأن العبودية الخاصة لا تحسـر على أهلها وقد مر علينا أن العبودية عامة وخاصة ، فالعامة ...مثل مثـال العامة المراد بها قلت العبودية العامة لأنه لا يدخل فيهـا غيـر المكـذبين ، طيب ومع ذلك نقول : العبودية العامة لكنها عام أريد بها الخصـوص مـن هم ؟ المكذبون للرسل ، قال : " ونداؤها مجاز " يعني ليـس حقيقـة لأن النداء حقيقة إنما يوجه إلى من يعقل ، أما من لا يعقل فليس نداؤه علـى سبيل الحقيقة ولهذا قالوا في قول الشاعر :

" **ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصـبح ومـا الإصـباح منـك بأمثلي** "

إن هذا يراد به التمني وليس نداء بمعنـى الطلـب ، طلـب الحضـور لأن الليل لا يعقل فالنداء حقيقة إنما يوجه لمن يعقـل إذا وجـه لمـن لا يعقـل صار له معنى آخـر علـى سـبيل التجـوز والمعنـى أنـه جعـل غيـر العاقـل كالعاقل كأن الحسرة شيء يأتي ويذهب تقـول : يـا حسـرة علـى العبـاد احضري ، ((**مَا يَـأْتِيهِمْ**)) هـذا بيـان لسـببها ، سـبب الحسـرة ((**مَـا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون**)) ((**مَـا يَـأْتِيهِمْ مِـنْ رَسُولٍ**)) ((**ما**)) نافية و ((**من**)) زائدة لوقوعها فـي سـياق النفـي وهي زائدة زائدة ، زائدة لفظاً تزيد في المعنى وهذا معنى قولنا : زائـدة زائدة وليس في القرآن حرف واحد لا يفيد معنى أبداً كل ما فـي القـرآن فإنه يشتمل على المعاني ولكن قد يكون زائداً من حيث الإعـراب فقـط ولهذا نعرب ((**رسول**)) في هذه الآية أنه فاعلاً نعربه فـاعلاً ونقـول : فاعل مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورهـا اشـتغال المحـل بحركة الحرف الزائد ، ((**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ**)) وفائدتها التنصـيص على العموم لأن رسول نكرة في سياق النفي فتعم فإذا جـاءت ((**مـن**)) صارت أنص وأدل على العموم مما لو حذفت ولهـذا قـالوا إن فائـدتها في مثل هذا السياق : " التنصيص على العمـوم " نعـم فقـول : ((**مـن رسول**)) الرسول عند عامة أهل العلم هو بشر أوحي إليه بشرع وأمـر

بتبليغه ويطلق الرسول على الرسـول الملكـي فـإن اللـه سـمى جبريـل سماه رسولاً كما في قوله تعالى : **((إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيـمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ))**[التكوير 19:20]إلى آخره ، وقوله : **((مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون))** يعنـي إلا كـانوا يسـتهزؤن بـه ولكن قدم المعمول وهو **((به))** لإفادة الحصر ولمناسبة رءوس الآيات فقدم لفائدتين :

فائدة لفظية وهي مراعاة الفواصل .

وفائدة معنوية وهي الحصر .

كـأنه قـال : إذا أتـاهم الرسـول فكـأنهم لا يسـتهزؤن بأحـد سـوى هـذا الرسول **((إِلَّا كَانُوا بِهِ))** أي لا بغيره وهم يسـتهزؤن بغيـره لكـن لمـا كان هؤلاء قد أمعنوا في الاستهزاء بالرسل صاروا كـأنهم لا يسـتهزؤن إلا بالرسـل **((إِلَّا كَـانُوا بِـهِ يَسْـتَهْزِئُون))** والاسـتهزاء هـو السـخرية والهزء .

ويستفاد من هذه الآيات من قـوله : **((وَمَا أَنزَلْنَـا عَلَـى قَـوْمِهِ مِـنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ))** يسـتفاد منهـا فوائـد أولاً : أن اللـه عـز وجل قد ينزل الملائكة لإهلاك المكذبين ووجهـه أن نفـي إنـزال الملائكـة على هؤلاء القوم يدل على إمكانه في غيرهم وإلا لما صح النفي .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن الملائكة جنود لله عز وجل لقوله : **((مـن جند))** .

ومن فوائدها : أن الملائكة محلهم السماوات لقوله : **((من السماء))** وهذا هو الأصل لكنهم قد ينزلون إلى الأرض كما في قوله تعالى في ليلة القدر : **((تنزل الملائكة والروح فيها))** وكالملائكة الذين يحفظون بني آدم والذي يكتبون أعمالهم وما أشبه ذلك والذين يكتبون المتقـدمين إلى الجمعة على أبواب المساجد .

ومن فوائد الآية الكريمة : بيـان حقـارة هـؤلاء القـوم المكـذبين للرسـل الثلاثة لقوله : **((وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَـوْمِهِ مِـنْ بَعْـدِهِ مِـنْ جُنـدٍ مِـنَ السَّمَاءِ))** إلى أن قال : **((إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً))** .

ومن فوائد الآية الكريمة : بيان عظمة الله عز وجل وذلك بـذكره بصـيغة الجمع **((وما أنزلنا))** **((وما كنـا منزليـن))** لا يقـال إن هـذا يفيـد التعدد كما استدلت بـ ذلك النصـارى وقـالوا : إن الآلهـة متعـددة لأن اللـه يقول : **((وما كنا منزلين))** وما أشبه ذلك من الآيات فيقـال لهـم إن هذا التعدد للتعظيم وكيف تستدلون بهذه الآيـة المتشـابهة وتعمـون عـن

مثل قوله تعالى : **((إن إلهكم لواحد))** **((إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ))** [النساء:171] **((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ))** [المائدة:73]ولكن النصارى كغيرهم من أهل الزيغ يتبعون ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومن رأى اتباع الشبهات من النصارى ومن غيرهم في نصوص الكتاب والسنة تبين له العجب العجاب وأنه يجب علينا وجوباً مؤكداً طلب العلم لدفع شبهات هؤلاء لأن هؤلاء كما تعلمون انتشروا بيننا الآن وكثروا في هذه البلاد التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب)** هؤلاء يبثون السموم في شبابنا وكهولنا أيضاً بل إنهم الآن كما سمعنا يرسلون النشرات ، نشرات تدعوا إلى النصرانية ويرسلون أشرطة تدعوا إلى النصرانية لأنهم بدأوا يعرفون المحلات ويعرفون العناوين ثم يرسلون إليها وعندنا من هذا يعني عدد يؤتى إلينا بنشرات وأشرطة مسجلة تدعوا إلى النصرانية هذه إذا وقعت في أيدي أناس لا يعرفون جهلاء على الأقل تركن إليها نفوسهم وإن كنت أستبعد جداً أن يتنصر أحد من المسلمين لأن دين النصارى كله ضلال الذي هم عليه الآن لكن لاشك أنه يوقع الشبهة و....والاطمئنان إلى هؤلاء لذلك أنا أرى أن اليوم يجب على شباب المسلمين أن يتسلحوا بسلاح العلم ، العلم المبني على الأثر والنظر لأن أولئك قوم يشبهون بما يدعون أنه عقل ولا يكفي الآن أن نتعلم الأثر فقط بل لابد من أثر ونظر ، الأثر إنما يكفي لمن ؟ للمؤمن الذي قال الله عنه : **((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ))** [الأحزاب:36]لكن المكذب لا يكفيه الأثر لأنه لا يؤمن أصلاً بالأثر يحتاج إلى نظر وعقل تدحر به حجته ، المهم أن مثل هذه الآية الكريمة **((وما أنزلنا))** **((وما كنا منزلين))** يشبه بها النصارى على أن الله سبحانه وتعالى متعدد أكثر من واحد وقد ذكرنا أنهم غفلوا بل عموا عن الآيات الواضحة الصريحة بأن الله إله واحد وأن الله كفر من زعم أن الله متعدد **((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ))** طيب .

ثم قال تعالى : **((إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ))** في هذه الآية دليل على أن الله أهلك هؤلاء القوم بصيحة واحدة لم تكرر مرة أخرى بصيحة واحدة هلكوا بها لكن لو قال قائل ما نوع هذه الصيحة ؟ هل قيلوا أهلكوا ؟ نقول إيش ؟ الله أعلم هذه الصيحة ....يحتمل أنها

صرخة يحتمل أنهم أمروا بالهلاك المهم أنها صيحة واحدة فهلكوا عن آخرهم ، قلت فيها بيان .
الطالب : ....
الشيخ : بيان إيش ؟ أنهم أهلكوا طيب بصيحة واحدة .
ثانياً من فوائدها : بيان قدرة الله عز وجل وأن من عارض الله أو بارز الله مهما عظم فإن إهلاكه يسير على الله عز وجل كل شيء يكون بكلمة واحدة **((إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ))**[القمر:50]وعند هذا الأمر الواحد **((كلمح بالبصر))** لا يتباطأ ولا يتأخر لمح البصر أسرع ما يكون فإذا أراد الله شيئاً قال له : **((كن فيكون))** كلمح البصر سبحان الله هذا يدل على عظمة الله عز وجل وقدرته .
ومن فوائد الآية الكريمة : أن هؤلاء القوم الذين كذبوا الرسل الثلاثة هلكوا جميعاً لقوله : **((فإذا هم خامدون))** وهذا يدل على أن من زعم أن هذه القرية التي أرسل إليها الثلاثة من زعم أنها أنطاكيا فإن زعمه باطل لأن رسل عيسى الذين أرسلوا إلى أنطاكيا كانوا بعد موسى ولم يهلك الله تعالى أمة على سبيل العموم بعد أن نزلت التوراة هكذا قال كثير من العلماء لقوله تعالى : **((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى))**[القصص:43]قالوا : هذه الآية تدل على أن الله لن يهلك أمة على سبيل العموم بعد نزول التوراة ، وهذه الآية كما تعلمون في سورة يس **((فإذا هم خامدون))** تدل على أنهم هلكوا .
ثم قال تعالى : **((يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون))** في هذا دليل على شدة تحسر العباد المكذبين للرسل لقوله : **((يا حسرة))** ولهذا جاء النداء على سبيل التنكير ليدل على أنها حسرة عظيمة لأن التنكير يفيد أحياناً التعظيم والشدة .
ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات عدل الله عز وجل وهو أنه لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه لقوله : **((يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون))** فلم يعاقب الله تعالى أحدا إلا بذنب بل إنه عز وجل قد يعفو عن الذنب إذا كان دون الشرك .
ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات الرسالة لقوله : **((ما يأتيهم من رسول))** وأن الرسالة عامة لكل أمة لأنه قال : **((على العباد))** ثم

قال ((**ما يأتيهم من رسول**)) فكل العباد قد قامت عليهم الحجة ((**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلا فِيهَا نَذِيرٌ**))[فاطر:24].
ومن فوائد الآية الكريمة : أن الاستهزاء بالرسل كفر موجب للعقوبة لأن السياق الآن ، السياق في قوم كذبوا الرسل فأهلكوا جميعاً ثم قيل : ((**يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون**)) فدل هذا على أن الاستهزاء بالأنبياء أو بالرسل كفر ويدل لهذا قوله تعالى : ((**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**))[التوبة 65:6 6]الاستهزاء بالكتب كفر ؟ نعم لقوله : ((**وآياته**)) الاستهزاء بشرع من الشريعة ولو بشعيرة واحدة كفر لأن الاستهزاء بالشعيرة الواحدة استهزاء بكل الشريعة كما أن الاستهزاء بالشعيرة الواحدة كفر بجميع الشريعة قال الله تعالى : ((**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**))[البقرة:85]وقال تعالى : ((**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا**))[النساء 150:151]فمن آمن بالرسالة ولكن كفر بشعيرة واحدة منها فقد كفر كفراً تاماً بالجميع ، من استهزأ بشيء من شعيرة من شرائع الرسل ولو بشيء ليس بواجب فقد كفر حتى بالشيء المندوب إذا استهزأ به فقد كفر لأنه لا يمكن الإيمان ببعض دون بعض بل من كره ما أنزل الله فقد كفر إيش الدليل ؟
((**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**))[محمد: 9]ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر لقوله تعالى : ((**وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**))[البقرة: 217]فالمسألة مسألة عظيمة ليست بالهينة ولهذا يجب على المرء الرضا بكل ما شرع الله فيرضى مثلاً بوجوب الصلاة وتحريم الخمر وجوب الزكاة وتحريم الربا وعلى هذا فقس يعني كل شيء يجب أن ترضى به وتقبله ثم إن عملت به أثبت وإن لم تعمل به عوقبت إذا كان واجباً أو استحققت العذاب إلا إذا كان هذا الواجب تركه كفر فإنك إذا تركته كفرت فمثلاً يجب على الإنسان أن يؤمن بتحريم الربا فمن أنكر تحريمه كفر أو لم يقبل تحريمه كفر ، إذا آمن بتحريمه وقبله ورضي

بالتحريم ولكن فعل الربا يكفر وإلا لا ؟ ما يكفر يكون حكمه حكم العصاة نعم .
الطالب : ....
الشيخ : والأصل استدل بها العلماء والظاهر أنهم استدلوا بهذا وبالواقع .
الطالب : ....
الشيخ : نعم ، كيف قبل التوراة ؟ التوراة ما نزلت إلا بعد ما أنجى الله بني إسرائيل .
الطالب : ....
الشيخ : الاستهزاء بالصالحين إما أن يكون بأشخاصهم أو بأعمالهم ، إن كان بأعمالهم فهو استهزاء بالشريعة وإن كان بأشخاصهم فليس بكفر لكنه على خطر إلا الرسول عليه الصلاة والسلام فإن من استهزأ ولو بشخصه فهو كافر نعم .
الطالب : ....صاح بهم ...وسألوه عن أشياء...يؤمن بالله وملائكته وكتبه وجبريل وميكائيل...قالوا هذا عدو...
الشيخ : ....هذا لو فرض أن بني إسرائيل عادوه لأنه يأتي بالعذاب لهم ما يلزم من هؤلاء ...
الطالب : ...كيف تفهم الآية ..أن من يأتي بالعذاب ...
الشيخ : أقول لا يلزم لأن هؤلاء هل هم من بني إسرائيل ؟ ما ندري لأن رجحنا أنهم ليسوا رسلاً عيسى ، ليسوا رسلاً من قبل عيسى .
الطالب : ...من بني اسرائيل من بعد
الشيخ : من بعد يعقوب ، لأن إسرائيل هو يعقوب .
((وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ)) **((إن))** هنا ياسر .
قال الله تعالى : **((إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ))**
من فوائد هذه الآية : بيان قدرة الله عز وجل وأنه قادر على إهلاك الخلق بصيحة واحدة فقط بدون أي فعل صوت مزعج يقطع القلوب لقوله : **((إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً))** .
ومنها : بيان ذل كل شيء لعظمته بحيث لا يكرر أو لا يعيد ما أراده لقوله : **((إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً))** ولهذا أكدها بواحدة لبيان أنهم لن يحتاجوا إلى إعادة الصيحة مرة ثانية وهكذا جميع ما أمر الله به كوناً فإنه لا يحتاج إلى إعادة لقوله تعالى في سورة القمر : **((وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر))** .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن هذه الصيحة أهلكتهم جميعاً لـم ينـج منهـم أحد لقوله : ((**فإذا هم خامدون**)) وعلـى هـذا يـترتب فائـدة أخـرى وهي أن قبض ملك الموت لأرواح بني آدم أكبر مما نتصور فإنه قد يقـول قائل : كيف يأخذ هذه الأرواح وهي تموت في آن واحد ؟ نقول : إن كيف في الأمور الغيبية لا ترد لأن هذه أمور لا ندركها بحواسنا فكل أمر غيبي لا تقل به كيف ولهذا لما قيل للإمام مالك : كيف استوى ؟ قـال : " الكيـف غير معقول " ما يمكن أن ندركه بالعقول حتى نسأل عنه ،

وقال عز وجل : ((**يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ**)) إلى آخره في هـذا دليـل على عظم حسرة المكذبين للرسل لقوله : ((**يا حسـرة**)) فـإن هـذا التنكير يفيد التعظيم .

ومن فوائدها : أن هؤلاء المكذبين للرسـل سـيجدون أعمـالهم حسـرات عليهم لقوله : ((**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُـولٍ إِلَّا كَـانُوا بِـهِ يَسْـتَهْزِئُون**)) .

ومن فوائدها : أنه ما من نبي بعث أو ما من رسول أرسل إلا وجد له مـن يستهزأ به ومن يؤمن به أيضاً ، نعم ومن يؤمن به لكن منهـم مـن لا يجـد من يؤمن به لقول النبي عليه الصلاة والسلام في حديث السبعين ألفـاً : (**والنبي وليس معـه أحـد**) فالاسـتهزاء حاصـل لكـل رسـول ، كـل رسول يرسل فإنه يجد من يستهزأ به ويجد من يؤمن به لكـن ليـس كـل رسـول يرسـل يجـد مـا يـؤمن بـه لقـول النـبي عليـه الصـلاة والسـلام : (**والنبي وليس معه أحد**) .

ومن فوائد الآيـة الكريمـة : أن الاسـتهزاء بالرسـل كفـر لقـوله : ((**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِـهِ يَسْـتَهْزِئُون**)) وكـذلك الاسـتهزاء بشرائع الرسل كفر وكذلك الاستهزاء بالله عز وجل كفر واختلف العلماء فيمن سب الله أو رسوله هل تقبل توبته ؟ على قولين فمنهم من قـال : أنها لا تقبل توبته بل يقتل قتل المرتد فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليـه ولا يدفن مع المسلمين وفي الآخرة أمره إلـى اللـه إن كـان اللـه تعـالى علم منه صدق التوبة فإنه لا يعـذبه وإن كـان اللـه علـم منـه كـذبها فـإنه يعذب في الآخرة وهذا هو المشهور من مذهب الإمام أحمد .

والقول الثاني : صحة توبته ، صحة توبة من استهزأ بالله ورسوله وسـب الله ورسوله ولكن بالنسبة لمن استهزأ بالرسول يقتل ، وأمـا مـن سـب الله أو استهزأ به فإنه لا يقتل وهذا هو الصحيح أن الإنسان إذا سـب اللـه أورسوله أو استهزأ بهما فإنه يكفر فإن تـاب قبلـت تـوبته لكنـه يقتـل إذا

كان السب أو الاستهزاء بالرسول عليه الصلاة والسلام ولا يقتل إذا كـان السب أو الاستهزاء بالله ، والفرق بينهما أن الاسـتهزاء بالرسـول وسـبه حق لآدمي وأما الاستهزاء بالله وسبه فهو حق للـه وقـد أخبرنـا اللـه عـز وجل أنه يقبل التوبة من جميع الـذنوب وإذا قبـل اللـه تـوبته انتفـى عنـه مقتضاها وهو القتل أما بالنسبة للرسـول عليـه الصـلاة والسـلام فإننـا لا نعلم أن الرسول عليه الصلاة والسلام عفا عن حقه فوجب علينا أن نأخذ به .

ثم قال الله تعالى : ((**أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِـنَ الْقُـرُونِ**))

هذا مبتدأ درس اليوم

((**أَلَمْ يَرَوْا**)) أي أهل مكة القائلون للنبي صلى الله عليه وسلم لست مرسلاً والاستفهام للتقرير

الطالب:...

الشيخ : أي علموا إي أشطب على الهمزة

يقول الله عز وجل ((**ألم يروا**)) الرؤيـة هنـا فسـرها المؤلـف برؤيـة العلم وذلك لأنهم لم يشاهدوا هذا بأعينهم وإنمـا علمـوه بمـا بلغهـم مـن الخبر وقوله : " **أي أهل مكة** " الصحيح أن هذا ليس خاصـاً بأهـل مكـة بل هو عام لكل من كذب الرسول صلى الله عليه وسـلم وكـأن المؤلـف جعله خاصاً لأهل مكة لأن الآية مكية ولكن يقال : حـتى وإن كـانت الآيـة مكية فإن المكذبين للرسول عليه الصلاة والسلام من أهل مكة وغيرهـم فأهل الطائف كذبوا الرسول عليه الصلاة والسـلام وكـذلك غيرهـم كـثير لأن الناس لم يدخلوا في دين الله أفواجاً إلا بعد فتح مكة طيـب ((**ألـم يـروا كَـمْ أَهْلَكْنَـا**)) يقـول : " ((**كـم خبريـة**)) **بمعنـى كـثيراً معمولة لما بعدها معلقة لما قبلها عن العمل** " طيـب ((**يـروا**)) بمعنى العلم الرؤية بمعنى العلم وإذا كانت الرؤية بمعنى العلـم فإنهـا تنصب مفعولين ((**كم**)) خبرية علقتهـا عـن العمـل يعنـي أنهـا أبطلـت عملها لفظاً ومحلاً لأن التعليق يبطل العمل لفظاً فقـط لا محلاً والإلغـاء يبطله لفظاً ومحلاً والأفعال القلبية إما أن تعمل في اللفظ والمحل وإما أن تعمـل فـي المحـل دون اللفـظ وإمـا ألا تعمـل لا فـي اللفـظ ولا فـي المحل الثالث يسمى إلغاءً والثاني يسـمى تعليقـاً والأول يسـمى إعمـالاً فـ((**كم**)) هنا علقت ((**يروا**)) عن العمل في اللفظ ولا في المحل ؟ في اللفظ أمـا المحـل فالجملـة فـي محـل لفـظ سـدت مسـد مفعـولي ((**يروا**)) ثم هي لها إعراب أيضاً باعتبار مـا بعـدها فباعتبـار مـا بعـدها

يقول : " إنها مفعول لما بعدها " وعليه فتقدر كما قال المؤلف : " أي كثيراً " وقوله : والمعنى أنها أهلكنا قبلهم كثيراً من القرون ، الأمم وقوله سبحانه وتعالى : ((**قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ**)) ((**من**)) هذه لبيان كم تبين الإبهام الواقع في كم والقرون جمع قرن وهم الأمة المشتركة في عصر من العصور تسمى قرناً والعصر مائة سنة وعلى هذا فالقرن يكون مائة سنة ولكن قد يكون دون ذلك قد تكون أمة تبقى أقل من القرن ، يهلكها الله عز وجل قبل أن يتم لها هذا العدد من السنين لكن الضابط أن نقول : القرن هم الأمة التي اشتركت في عصرها ، ((**كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ**)) أي المهلكين ((**إِلَيْهِمْ**)) أي المكذبين ((**لا يَرْجِعُونَ**)) كيف ؟ ((**أنهم**)) أي المهلكين ((**إليهم**)) أي إلى المكذبين ، عندكم مكيين على كل حال أن المكيين هم على كلام المؤلف ما دام الخطاب لأهل مكة أو الكلام على أهل مكة فالمكذبون هم المكيون والذي عندنا أعم ، الذي عندنا المكذبون أعم فهؤلاء الأمة التي أهلكت هل رجعت إلى الأمم التي بعدها ؟ لا بل هي ذهبت وزالت وكأنها لم توجد ولم يبق إلا عملها فقط قال : (**لا يرجعون**)) " **أفلا يعتبرون بهم** " ((**وأنهم**)) إلى آخره بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور طيب الذي قبله قوله : ((**كم أهلكنا قبلهم**)) كأنه قال : ألم يروا أنهم لا يرجعون ، فهي بدل مما قبلها من حيث المعنى وقوله : من حيث المعنى لا من حيث الإعراب لأنها جملة مستقلة وليست تابعة لها في الإعراب ولكنها تابعة لها في المعنى ، الخلاصة أن الله بين في هذه الآية بياناً يقرر به هؤلاء المكذبين بأنه أهلك كثيراً من الأمم السابقة وأن هؤلاء المهلكين لا يرجعون إلى هؤلاء المكذبين لأنهم انتهوا من الدنيا ولم يبق لهم رجوع إليها حتى يستعتبوا فالواجب على هؤلاء المكذبين أن يعتبروا بهم

ثم قال : ((**وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ**)) قال : ((**إن**)) " **نافية أو مخففة** " قوله : " نافية " واضح بمعنى ما ، مخففة بمعنى إن لكنها خففت وأو هنا ليست للتخيير بل هي للتنويع لأنها على حسب القراءات في لما ((**كل**)) أي كل الخلائق مبتدأ على التقديرين على أنها نافية وعلى أنها مخففة نعم على أنها نافية أو مخففة لأن المخففة كما نعلم تعمل في الجملة واسمها ضمير الشأن محذوف فكل مبتدأ على كلا الوجهين أي على إن نافية أو مخففة ((**لما**)) بالتشديد بمعنى إلا أو بالتخفيف فاللام فارقة وما مزيدة طيب

((لما)) بالتشديد بمعنى إلا وعلى هذا تكون إن نافية والتقدير وما كل إلا جميع لدينا محضرون .
عوناً له على المعصية فصار يستعين بنعم الله على معصيته لم يكن شاكراً لأنه صرفها .
((لما)) بالتشديد بمعنى إلا وعلى هذا تكون **((إن))** نافية والتقدير وما كل إلا جميع لدينا محضرون ، يقول : " **وبالتخفيف** " وإن كل لما فاللام فارقة بين إن النافية وإن المخففة وما مزيدة والتقدير على هذا وإن كل لجميع لدينا محضرون ، لجميع لأن ما زائدة فإذا أردنا أن نعرب هذه الآية نقول : **((إن))** نافية على قراءة إيش ؟ التشديد ولما بمعنى إلا ، الإعراب الثاني **((إن مخففة))** عل قراءة التخفيف واللام فارقة وهي للتوكيد كما هو معروف وما زائدة والتقدير على هذا وإن كل لجميع لدينا محضرون ، طيب إذاً تكون أو في كلام المؤلف تكون أو في قوله : " نافية أو مخففة " للتخيير ولا للتنويع ؟ للتنويع ، فهي على قراءة التشديد نافية وعلى قراءة التخفيف مخففة قال : **((جميع))** خبر مبتدأ أي مجموعون ، خبر المبتدأ أين المبتدأ ؟ **((كل جميع))** فإن قال قائل : كيف يكون خبراً لكل وكل تدل على الشمول ؟ فالجواب أن كلاً تدل على الشمول لكن لا يلزم من دلالتها على الشمول الاشتمال فتقول : أكرم كل القوم وقد يكون القوم متشتتين كل واحد في جانب لكن جميع تدل على الاجتماع ففيها زيادة على الشمول وهي جمع الناس فكل الناس يحضرون إلى الله عز وجل ولكن هل حضورهم متفرق أو مجتمع ؟ الجواب حضورهم مجتمع دليله الآية **((جميع))** إذاً فلا يقول قائل الآن : إن المبتدأ هو نفس الخبر لأن كلمة كل تدل على الشمول وجميع يدل على الشمول نقول لا لأن الفرق بينهما أن كل تدل على الشمول وإن كانوا متفرقين وجميع تدل على الشمول مع الاجتماع أي مجموع لدينا عندنا في الموقف بعد بعثهم ، **((محضرون))** للحساب خبر ثان لإيش ؟ **((كل))** فصار **((كل))** الآن لها خبران **((جميع))** والثانية **((محضرون))** أظن المعنى واضح ، يقول الله عز وجل في هذه الآية ما كل أحد من هؤلاء إلا محضر لدينا يوم القيامة والناس جميع .
في هذه الآية الكريمة والتي قبلها
أولا: تقرير المكذبين بما يقرون به من إهلاك من سبقهم لقوله : **((أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ))**

ثانياً أو من فوائد الآية : أنه يجب على الإنسان أن ينظر ويعتبر بحيث إذا نظر في عواقب الناس اتخذ من ذلك عبرة لأن الاستفهام هنا مع كونه للتقرير مفيد للتوبيخ لأن الواجب على من نظر في عاقبة المكذبين أن يرتدع عن الكذب .

ومن فوائد الآية أيضاً : أنه لا بعث ولا رجوع قبل يوم القيامة لقوله : ((**أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ**)) فلا أحد يبعث قبل يوم القيامة اللهم إلا على سبيل الآية كما ثبت في القرآن أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يحي الموتى بإذن الله وكما في قصة الرجل الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه وكما في قصة بني إسرائيل الذين أخذتهم الصاعقة ثم بعثهم الله بعد موته وكما في قصة الرجل الشاب الذي يقتله الدجال ثم يكلمه يخاطبه فيقوم حياً وإلا فإن الأصل أن من مات لا يرجع أبداً لقوله : ((**أنهم إليهم لا يرجعون**)) .

ومن فوائد الآية الثانية : إثبات البعث لقوله : ((**وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ**)) .

ومن فوائدها : كمال قدرة الله عز وجل حيث يجمع هذه الخلائق جميعاً في مكان واحد لقوله : ((**لما جميع لدينا**)) .

ومن فوائد الآية وجوب الاستعداد لهذا اليوم لأن الله تعالى لم يخبرنا به لمجرد الإقلاع ولكنه أخبرنا به من أجل به أن نستعد له حتى نكون على أهبة لما سنحاسب عليه .

ثم قال تعالى : ((**وَآيَةٌ لَهُمُ**)) على البعث خبر مقدم ((**الأَرْضُ الْمَيْتَةُ**)) بالتخفيف والتشديد ((**أَحْيَيْنَاهَا**)) بالماء مبتدأ ((**آية لهم**)) الآية في اللغة العلامة والدليل القاطع على الشيء وقول المؤلف : " **خبر مقدم** " أين المبتدأ إذاً ؟ المبتدأ ((**الأرض**)) هذا المبتدأ ((**الأرض**)) وقوله : ((**الميتة**)) يقول : " **بالتخفيف والتشديد** " يعني فيها قراءتان ((**الميِّتة**)) و ((**الْمَيْتَةُ**)) وهذا دليل على أن الميتة كما يطلق على الميت الذي قد فارقت روحه جسده يطلق أيضاً على الذي سيموت خلافاً لمن قال : إن الميّت لمن سيموت والميت لمن مات بالفعل فإن الأرض الميتة قد ماتت ومع ذلك فيه هنا قراءتان : ((**الميِّتة**)) و ((**الميتة**)) طيب ((**الأرض**)) مبتدأ

((**الميتة**)) صفة ((**أحييناها**)) صفة أيضاً ولهذا قال المؤلف : " **مبتدأ جعله بعد قوله : ((أحييناها)) ليبين أن الميتة وأحييناها كلاهما صفة للأرض** " ولكن الصحيح أن ((**أحييناها**))

جملة استئنافية لبيان وجه الآيـة فـي هـذه الأرض لأن محـط الفائـدة هـو ليس موت الأرض ولكن أن الله تعالى أحياها بعد موتها.

أما على رأي المؤلف فإذا جعل ((**أحييناها**)) صفة فإنه يشكل علينـا أن هـذا مخـالف للقاعـدة المعروفـة أن الجمـل بعـد المعـارف أحـوال والجواب علـى ذلـك أن يقـال : إن الأرض هنـا المـراد بهـا الجنـس فهـي بمعنى النكرة ونظيرها قول الشاعر :

" **ولقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت ثم قلت لا يعنيني** "

وعلى اللئيم يسبني تقدير على لئيم يسبني فمضيت ثمة قلت لا يعنينـي ومنه أيضاً على قول بعض المعربين :

((**كمثل الحمار يحمل أسفاراً**)) على أن جملة ((**يحمل**)) صفة لـ((**حمار**)) لأن المـراد بـه الجنـس فهـو بمعنـى كمثـل حمـار يحمـل أسفاراً ، أما على القول الذي اخترناه فنقول : إن جملة ((**أحييناها**)) استئنافية لبيان وجه الآية في هذه الأرض ((**وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَـةُ أَحْيَيْنَاهَا**)) ووجـه كونهـا آيـة أن هـذه الأرض الميتـة أشـجارهاً يابسـة وليس فيها ثمر فينزل الله عليها المطر فتحيا بعد المـوت فالـذي أحياهـا وقدر على إحيائها قادر علـى إحيـاء المـوتى كمـا قـال تعـالى : ((**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَـإِذَا أَنزَلْنَـا عَلَيْهَـا الْمَـاءَ اهْتَـزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ**))[فصـلت:39]وعليـه فنقـول : وجـه الآيـة أن تقيـس الشـاهد بالغـائب فالشاهد المنظور هو هذه الأرض ميتة أشجارها يابسة ينزل عليها المطر فتخضر فالذي أحياها قادر .

أي إليه لا تتجاوزه والمستقر موضع القرار كما قال الله تعالى : ((**وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**))[البقرة:36]وقال : ((**أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا**))[النمل:61]فالمستقر موضع القرار وقال تعالى : ((**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا**))[هود:6]فما هذا القرار الذي تجري الشمس إليه ؟ هل هو قرار زمن أو قرار مكان أو هما جميعاً ؟ ثبت في الحديث الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد حين غربت الشمس فقال : (**أتدري أين تذهب**) قال أبو ذر : " **الله ورسوله أعلم** " قال : (**فإنها تذهب وتسجد تحت العرش وتستأذن فذلك مستقرها**) ثم قرأ : ((**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**)) وهذا الحديث يدل على أن مستقرها مكاني وإلا زماني ؟ مكاني لأنها تسجد تحت العرش ، وهذا السجود لا نعلم كيفيته لأن الشمس ليست كالبشر حتى يقاس سجودها بسجود البشر بل هو مخلوق أعظم ولا ندري كيف تسجد فإذاً لا يرد علينا السؤال هل هي تسجد وهي سائرة أو تقف وكيف يصح أن نقول إنها تسجد وتستأذن وهي لا تزال مستمرة في الأفق ؟ كل هذه الأسئلة والإيرادات نجيب عليها ان شاء الله بعد ذكر الفوائد .

وقيل أن المستقر مستقر زمني وذلك عند تكويرها يوم القيامة يعني عند منتهى سيرها يوم القيامة يعني تجري إلى يوم القيامة الذي هو موضع قرارها الزمني .

وقيل : إن المراد بالمستقر منتهى تنقلها في البروج الشمالية واليمنية فلها حد تنتهي إليه من الشمال لا تتجاوزه ولها حد تنتهي إلى الجنوب لا تتجاوزه وبناء على هذا يكون المستقر زمانياً ومكانياً لأن غاية سيرها في الشمال يكون به ابتداء فصل الشتاء نعم لأن غاية سيرها في الشمال يكون به ابتداء فصل الصيف القيل وغاية سيرها في الجنوب ابتداء فصل الشتاء فهذا قرار أو مستقر زماني ومكاني فالشمس هذه الشمس العظيمة التي لا يعلم قدرها إلا الذي خلقها سبحانه وتعالى بما فيها من المصالح العظيمة ((**تجري لمستقر لها**)) كل شيء له غاية وكل شيء له منتهى إلى من ؟ إلى الله عز وجل

قال : ((**ذلك**)) أي جريها ((**تقدير العزيز**)) في ملكه ((**العليم**)) بخلقه ، ((**ذلك**)) أي جريانها لمستقرها ((**تقدير العزيز العليم**

)) وأضاف التقدير هنا إلـى هـذا الاسـم الكريـم **((العزيز))** لأن هـذه الشمس العظيمة تحتاج إلى قوة وسلطان قاهر ولهذا أتى باسـم العزيـز لأن العزيز يتناول أو يشمل ثلاثة معاني :

أولاً : العزيز في قدره ، والعزيز في قهره ، والعزيز في امتناعه ، أما في قدره فمعناه أن الله ذو شأن عظيم لا يماثله أحد ، وأما في قهره فمعناه أن الله له الغلبة والسلطان المطلق يقول الشاعر الجاهلي :

" أين المفر والإله الطالب * والأشرم المغلوب ليس الغالب "**

وأما في امتناعه فالمعنى أنه ممتنع عـن كـل نقـص وعيـب ، أمـا العليـم فمعناه ذو العلم الكامل الشامل فإن الله تعالى كامل لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان ، وشامل لكل صـغير وكـبير قـال اللـه تعـالى : **((وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَـا فِـي الْبَـرِّ وَالْبَحْـرِ وَمَـا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَـةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَـا وَلا حَبَّـةٍ فِـي ظُلُمَـاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِيـنٍ))**[الأنعـام:59]ومـا كتـب فـي كتاب مبين إلا بعد أن كان معلوماً عند الله عز وجل إذ المجهول لا يكتـب فهذا يدل على سعة علم اللـه عـز وجـل وأنـه محيـط بكـل شـيء جملـة وتفصيلاً إذاً فالعليم فمعناه ذو العلم الكامل الشامل ، كمـاله مـن حيـث إنه لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان ، وشـموله لأنـه شـامل لكـل صـغير وكبير ، تعال هنـا ، هنـا مـا فـي أحـد ، يقـول : **((ذلك تقـدير العزيـز العليم))** فذكر الله هذين الاسمين لمناسبة المقام لأن الشمس ليست بالشيء الهين الذي يسهل قياده بـل هـو شـيء عظيـم يحتـاج إلـى عـزة وإلى علم نعم .

ثم قال : **((وَالْقَمَرَ))** **((القمر))** فيه قراءتان الرفع والنصب ففيـه وجهان في الإعراب **((القمر))** بالرفع على أنه مبتدأ خبره **((قدرناه))** ، و **((القمر))** بالنصـب علـى أنـه مفعـول لفعـل محـذوف يفسـره المذكور فيكون مـن بـاب الاشـتغال وهنـا يتسـاوى الرفـع والنصـب فـي الرجحان لأن الجملة الـتي قبلـه **((الشمس تجـري))** جملـة اسـمية خبرها فعل فلهذا جاز في القمر الوجهان والمعروف أنه يترجح الرفـع إذا عطف المشغول عنه على جملة اسمية ويترجح النصب إذا عطـف علـى جملة فعلية

قال : " **والقمر بالرفع والنصب وهو منصوب بفعل يفسره مـا بعده** " يعني يفسره المذكور والتقدير على هذا وقدرنا القمر منـازل ولا

حاجة أن تقول كما يقول بعـض النـاس : التقـدير وقـدرنا القمـر قـدرناه ليش ؟ إذ لا يجمع بين المفسر والمفسَّر فإذا أردت أن تقدر فقل التقدير وقدرنا القمر إيش ؟ منازل نعم فإذا قلت لماذا لم يقل عز وجـل وقـدرنا القمر منازل ؟ قلنا لأنه إذا أتى بالجملة الاسمية الـتي خبرهـا فعـل صـار كأنه أسند هذا إليه مرتين ، أسند الفعل اللي هو التقدير إلى القمر مرتين مرة بذكر اسمه ظاهراً ومرة بذكر اسم مضمراً **((قدرناه))** قال اللـه تعالى : **((والقمر قَدَّرْنَاهُ))** من حيث سيره **((مَنَازِلَ))** تقدير الله عز وجل القمر **((منازل))** لأنه بهذا التقدير يمكـن أن يـأتي علـى هـذا الوجه الذي نشاهده يتغير كل ليلة عن الأخرى ولولا هذا التقدير مـا تغيـر لكنه مقدر منازل ثمانية وعشرين منزلاً علـى حسـب النجـوم المعروفـة عند العرب كل ليلة ينزل منزلة ويبقى ليلة واحدة إن كان تسع وعشـرين أو ليلتان إن كان ثلاثيـن تسـمى هاتـان الليلتـان ليـالي الاستسـراء يعنـي الاختفاء يختفي فيها القمر إما في أول الشهر التالي وإما في آخر الشهر السابق يقول اللـه عـز وجـل : **((والقمر قـدرناه منـازل))** ثمانيـة وعشرين منزلاً في ثماني وعشرين ليلة من كل شهر ويسـتتر ليلـتين إن كان الشهر ثلاثين يومـاً وليلـة إن كـان تسـعة وعشـرين يومـاً ومـن أراد التفصيل في العلم هذا فليقرأ ما كتبه أهل العلم في ذلـك ولا سـيما فـي عصرنا فإنهم اطلعوا على أشياء عجيبة في هذا التقدير ، القمر قدره الله منازل كل يوم منزلة إذاً هو يختلف كل ليلة عن إيش ؟ عن الأخرى ولهذا يبدوا صغيراً ثم يكبر ثم يعود يصغر بحسب قربه من الشمس كلما قـرب من الشمس ضعف نوره لأن نور القمر مستمد من نور الشمس ونفسـه ليس فيه إضاءة جرم مظلم كمـا قـال اللـه تعـالى : **((وَجَعَلْنَا اللَّيْـلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْـلِ وَجَعَلْنَـا آيَـةَ النَّهَـارِ مُبْصِـرَةً))** [الإسراء:12]فهو جرم مظلم لا يستفيد نوراً إلا بغيره فإذا قابل الشمس حصل فيه النور كلما أبعد عنها كـثرت المقابلـة لأن السـير كـروي فكلمـا قرب ضعفت المقابلة إذا ارتفع زادت المقابلة ولهذا يمتلئ نـورا فيمـا إذا كان في المشرق والشمس في المغـرب لتمـام المقابلـة حينئـذ ، يعنـي يكون هكذا التقابل بينهما فيمتلئ نوراً وما هو الجزء المنير منـه ؟ الجـزء المنير منه هو الذي يلي الشمس ولهذا تجده فـي أيـام الشـتاء إذا كـانت الشمس خلفه تكون فتحة قوسه نحو المشرق ، في أيـام الصـيف تكـون فتحة قوسه نحو الجنوب لأن الشمس تكون عنه شمالاً وهو يكـون عنهـا جنوباً فتجده فتحته نحـو الجنـوب وفـي الشـتاء حيـث يسـتدبرها ويكـون

وراءها تجد فتحته تكون نحو المشرق ولهذا يغلط بعض الناس الذي يظن أن اتجاه فتحة القمر يعني ...قوسه دائماً إلى الشرق أو إلى الجنوب هذا ليس بصواب وإذا أردت أن تعرف هذا ...

طيب يقول : **((قدرناه منازل حَتَّى عَادَ))** في آخر منازله في رأي العين **((كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ))** أي كعود الشماريخ إذا عتق فإنه يرق ويتقوس ويصفر ، حتى عاد القمر بعد تقدير هذه المنازل **((كالعرجون القديم))** العرجون يسمى في اللغة العامية عندنا عرجود بالذال هذا العرجود هو أصل الشماريخ الذي في طلع النخل وهو إذا يبس يتقوس ويصفر فشبه الله عز وجل القمر في رؤية العين بهذا العرجون القديم أي أنه يبدو دقيقاً أصفر متقوساً وهذا من باب التشبيه البليغ ولا غير البليغ ؟ غير البليغ ليش ؟ لأنه ذكرت أداة التشبيه ، التشبيه البليغ هو الذي يحذف فيه أداة التشبيه ووجه الشبه فإن ذكر أحدهما فالتشبيه ليس ببليغ ، طيب يقول :

((حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)) .

((لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ)) لما ذكر الله عز وجل أن الشمس تجري لمستقر لها وأن هذا أمر مقدر من قبل العزيز العليم وأن الله تعالى قدر القمر منازل ينزلها منزلة ، منزلة حتى يعود بعد امتلائه نوراً فيصير كالعرجون القديم بين أن هذا النظام لا يمكن أن يتصادم أبداً لأنه مقدر من عند من ؟ من عند الله عز وجل العزيز العليم منازل لا يتجاوزها ولا يتعداها قال : **((لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ))** **((ينبغي))** بمعنى يمكن

والمؤلف يقول : " **يسهل ويصح** " لكن الأولى أن نقول : بمعنى يمكن يعني لا يمكن للشمس أن تدرك القمر وقد مر علينا أنه إذا جاءت كلمة لا ينبغي أو ما ينبغي في القرآن فهي بمعنى الممتنع غاية الامتناع كقوله تعالى : **((وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا))**[مريم:92] مستحيلاً يعني أن ذلك مستحيل وقال النبي عليه الصلاة والسلام : **(إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام)** أي أن ذلك مستحيل طيب إذاً **((ينبغي))** ...**((لا الشمس ينبغي لها))** أصلها الشمس لا ينبغي لها لكن قدم النفي ليكون المنفي الجملة الاسمية برأسها كلها قال : **((لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ))** يعني لا يمكن أن تدرك القمر فتجتمع معه في الليل ، مثلاً إذا غابت لا يمكن أن تخرج في زمن الليل فإذا قدرنا أنها تعود الساعة الثانية عشرة وتخرج الساعة الثانية

عشرة بين غروبها وطلوعها تكون اثنا عشرة ساعة لا يمكن أن تطلع في الساعة الثامنة فيكون بين غروبها وطلوعها ثمان ساعات لأن هـذا خلاف التقدير ، خلاق التقدير الذي قدره الله عز وجل لهـا والـذي جعلهـا تسـير عليه لماذا ؟ لتمام قدرة الله تعالى ونظام هـذا الكـون وأنـه لا يمكـن أن يختلط ولا يضطرب لكن إذا جاء يوم القيامة فإنه يجمع الشمس والقمـر ويختلط نظام الفلك بل كل النظام يختلط ((**يَـوْمَ تُبَـدَّلُ الأَرْضُ غَيْـرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**))[إبراهيم:48]
كذلك قال : ((**ولا الليل سابق النهار**)) يعني الليـل لا يسـبق النهـار بل لا يأتي إلا بعده هنا قال : ((**ولا الليل سابق النهار**)) كـأن الليـل هو الذي يمكن أن يسبق النهار فنفى الله عز وجل أن يسبق الليل النهـار ، قيل : المراد أن الليل لا يأتي قبل انتهاء النهار فيكون الله عز وجل ذكر الشروق لقوله : ((**لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ**)) يعنـي لا يمكن للشمس أن تطلع في الليل ((**ولا الليل سـابق النهـار**)) لا يمكن لليل أن يأتي في زمن النهـار طيـب إذا قـدرنا أن الشـمس تغـرب الساعة الثانية عشرة فلا يمكن أن تغرب الساعة التاسـعة مثلاً لأنهـا لـو غربت الساعة التاسعة لسبق الليل النهـار ولـو فـي بعـض أجزائـه وقيـل المعنـى ((**لا الليل سـابق النهـار**)) أي لا الليـل يحـل محـل النهـار فيتوالى ليلتان سواءً ، والمعنى صحيح على كلا القولين فلا يمكن لليل أن يأتي وقد بقي شيء من النهار ولا يمكـن أن يـأتي الليـل كلـه فـي مكـان النهار لأن هذا ينافي تقدير الله عز وجل الذي وصف نفسه بأنه العزيز بل سمى نفسه بأنه العزيز العليم ، قال : ((**وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْـبَحُونَ**)) ((**كل**)) تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر والنجـوم ، النجوم هنا غيـر مـذكورة والصـواب مـن الشـمس والقمـر لأنـه مـا ذكـر النجـوم هنـا ، ((**فِـي فَلَـكٍ يَسْـبَحُونَ**)) ((**فـي فلـك**)) مسـتدير ((**يسبحون**)) يسيرون يعني كل من الشمس والقمـر والليـل والنهـار كل يسبح في الفلك , والفلك هو الشيء المستدير ومنه فلكـة المغـزل ، فلكة المغزل في الشيء المستدير في أعلاه ولعلكم قد رأيتم المغـزل ، الذي تغزل بـه النسـاء الصـوف لـه شـيء مـن شـبه الطـارف فـي أعلاه مستدير هذا فلكة المغزل ، الفلك مسـتدير تـدور فيـه الشـمس والقمـر والليل والنهار وقوله : ((**يسبحون**)) أي يسـيرون ولكـن المعنـى أدق مما قال المؤلف لأن السبح هو العوم فـي المـاء فكـأن هـذه عائمـة فـي

الفلك الواسع تدور ليست تسير على أرض مسطحة أو على ماء بل هـي تعوم في هذا الأفق .
ومن فوائد الآية الكريمة : هذه الآية العظيمة في الليل حيث يسلخه اللـه تعالى يسلخ منه النهار سلخاً كما يسلخ منه جلد الشاة وهذا يدل على أنه يأتي شيئاً فشيئاً .
ومن فوائد الآية الكريمة أيضاً : أن الأصل هـو الظلام لقـوله : ((**نسلخ منه النهار**)) فهذا يـدل علـى أن الأصـل هـو الظلام وأن النهـار طـارئ عليه ولهذا يسلخ منه وهو كذلك فإن أصل الضوء من الشمس والشمس حادثة وواردة على الليل فيكون الأصل الظلام ويأتي النور بعده .
ومن فوائد الآية الكريمة : تذكير الخلق بهذه النعمة لقوله : ((**فإذا هم مظلمون**)) وأنه لولا نعمة الله علينا بهذا النهار الذي يسـلخ مـن الليـل لكنا دائماً في ظلمة وهذا بلا شك متعب للناس وضار بهم قال الله تعالى :
((**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَـلَ اللَّـهُ عَلَيْكُـمُ اللَّيْـلَ سَـرْمَدًا إِلَـى يَـوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ**))[القصص: 71].
ثم قال : ((**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا**)) إلى آخـر الآيـات فمـن فوائدها : أن الشمس تجري أي تسـير وهـذا هـو الواقـع وظـاهر القـرآن الكريم أن سيرها ذاتي وليس المراد أنهـا تجـري بـرأي العيـن وأن الـذي يدور هو الأرض والواجب إجـراء القـرآن علـى ظـاهره حـتى يقـوم دليـل صريح يكون لنا حجة أمام الله عز وجل إذا خرجنا عن ظـاهر القـرآن لأن الذي يتكلم بالقرآن هو الخالق عز وجل وهو العليـم بخلقـه فـإذا قـال إن الشمس تجري وجب أن نقول أن الشمس تجري ولا يجوز أن نقـول إننـا نحن الذين نجري ولكن هي التي تجري ...
ومن فوائدها : أن هذه الشمس التي هي دائماً ودائبة لابد لها من منتهـى لقوله : ((**لمستقر لهـا**)) ويتفـرع علـى هـذا أن جميـع الخلائـق لهـا منتهى كل ما في الدنيا من الخلائق فلـه منتهـى وسـوف يـزول ((**يَـوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّـارِ**))[إبراهيم:48].
ومن فوائد الآية الكريمة : أن هذه الشمس مقدرة تقـديراً بالغـاً منظمـاً لقوله : ((**ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**)) ويشهد لهذا الواقع فـإن هـذه الشمس منذ خلقها الله إلى أن تزول وهي في فلكهـا لا تتقـدم ولا تتـأخر

عن السنة التي أمرها الله عز وجل أن تكون عليها ولا ترتفع ولا تنخفض حتى قيل : إنها لو تنخفض مقدرا شعرة لأحرقت الأرض ولو ارتفعت مقدرا شعرة لجمدت الأرض ولكن الله عز وجل جعلها على هذا التقدير البديع المحكم الذي لا يتغير .

ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات اسمين من أسماء الله وهما العزيز العليم ويؤخذ منهما إثبات صفتين تضمناهما وهما العزة والعلم ويؤخذ منهما أيضاً إثبات الأثر أو الحكم وهو غالب لكل أحد وعليم بكل شيء .

ومن فوائد الآية في قوله تعالى : **((والقمر قدرناه منازل))** من فوائدها أيضاً أن هذا القمر آية من آيات الله عز وجل حيث هو موضوع في فلكه ومع ذلك له منازل ينزلها كل ليلة ليس مطلقاً ولكنه مقدر بمنازل ينزلها كل ليلة والحكمة من هذه المنازل هي أن يعرف الناس عدد السنين والحساب كما قال الله تعالى : **((هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ))** لماذا ؟ **((لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ))**[يونس:5]حتى إن العالمين بمنازل القمر يعرفون الليلة من الشهر وإن كانوا لم يحسبوا من أول الأمر بناء على معرفة المنازل لأن هذه المنازل لا تتغير وحلول القمر فيها أيضاً لا يتغير فهو منظم من عند الله عز وجل .

ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات القياس لقوله : **((حتى عاد كالعرجون القديم))** وكل تشبيه أو مثل في القرآن فإنه يدل على القياس لأن التشبيه أو المثل إلحاق شيء بشيء لعلة التي تسمى في البلاغة وجه الشبه .

ومن فوائد الآية الكريمة : إطلاق القديم على غير الله خلافاً للمتفلسفة أو الفلاسفة الذين يقولون : إن أخص وصف الله هو القدم وهذا خطأ لو كان هذا أخص وصف الله لم يوصف به سوى الله والقدم لا يدل على الأزلية فهذا العرجون وصفه الله بأنه قديم ومع ذلك فليس إيش ؟ فليس أزلياً إذ أنه حادث بعد أن لم يكن وبه يتبين بطلان قول هؤلاء الذين يقولون : إن أخص وصف الله عز وجل هو القدم فيقال : أخص وصف الله هو الأولية فكنا نوافقهم على ما قالوا لأن الله هو الأول ليس قبله شيء وأما أن نقول : إن القدم أخص وصف الله مع أنه يوصف به الحادث فهذا لا يكون ولا يصح .

ثم قال : **((لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ))** إلى آخره فيه أيضاً الآية التي قبلها : فيه دليل على

قدرة الله من حيث نور القمر حيث يبتدئ ضعيفاً ثم يزداد بقوة ثم يرجع إلى الضعف فإن هذا من قدرة الله عز وجل إذ لوشاء لجعله كاملاً ممتلأً دائماً أو ناقصاً دائماً .

وفيه أيضاً من الفوائد : الإشارة إلى حال الإنسان فإن الإنسان إذا تدبر القمر وجد أنه مطابق لحال الإنسان كما قال الله تعالى : **((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً))**[الروم:54]فحال الإنسان مساوية تماماً لحال القمر فالقمر يبدو ضعيفاً ثم يزداد في القوة حتى إذا تكاملت القوة أخذ في النقص وهكذا الإنسان بالنسبة لحياته .

قال الله تعالى : **((لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ))** في هذه الآية دليل على أن سنة الله عز وجل لا تتغير هذا هو الأصل كما قال الله تعالى : **((فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا))**[فاطر:43]فسنة الله سبحانه وتعالى لا تتغير في الكون ولكن هل هي سنة لازمة بحيث يمتنع على الله أن يغيرها ؟ الجواب لا و لكن الله تعالى أخبرنا بأن هذه السنة لا تتغير لكنها تتغير بتغييرها ولهذا حبست الشمس ليوشع بن نون كما جاء في الأحاديث الصحيحة ولهذا أيضاً إذا كان قرب الساعة فإنها تخرج من أين ؟ من مغربها ولهذا انشق القمر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصار فلقتين فهذه السنن الكونية لا تتبدل ولا تتغير لكن الله قادر على أن يبدلها أو يغيرها ويكون هذا لسبب .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن الشمس لا يمكن أن تخرج ليلاً لا يمكن بحسب السنة الإلهية أما بحسب قدرة الله فإنه إيش ؟ يمكن أن تخرج ليلاً لأن الله يقول : **((كن فيكون))** .

ومن فوائد الآية الكريمة أيضاً : أن الليل لا يسبق النهار فلا يدخل عليه ولا يتقدمه بحيث تتوالى ليلتان جميعاً

((ولا الليل سابق النهار)) هذا هو ما أثرنا من هذه الآية الكريمة وقد يكون لها معنى غير ما نفهمه من ظاهرها ولهذا ربما يكون الليل عند...اهل علم الفلك يتبين لهم من هذا التعبير أكثر مما تبين لنا .

ومن فوائد الآية الكريمة أيضاً : أن الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يعني في شيء مستدير كفلكة المغزل وأنها تدور لقوله : **((وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ))** .

ومن فوائدها : ضعف قول من يقول : إن الشمس فـي السـماء الرابعـة والقمر في السماء الدنيا ويجعلون الكـواكب والشـمس والقمـر كـواكب معينة في كل سماء كوكب على هذا الترتيب من الأعلى إلى الأدنى

"**زحل شرى مريخه من شمسه فتزاهرت بعطارد الأقمار** "

هذه سبعة تكون كل واحد في سماء زحل هو أعلاها في السماء السـابعة هذا كلام السابقين من علماء الفلك ، شرى يعني المشتري فـي السـماء السادسة ، مريخه المريخ في السماء الخامسة من شمسه الشمس في السماء الرابعة فتزاهرت الزهرة في السماء الثالثة بعطارد فـي السـماء الثانية ، الأقمار القمر فـي السـماء الـدنيا فهـذا الـبيت فيـه ترتيـب هـذه الكواكب

"**زحل شرى مريخه من شمسه فتزاهرت بعطارد الأقمار**"

، من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن إنما نعرف أن هذه الكواكب بعضـها فـوق بعـض بالكسـوف فـإذا كـان القمـر يكسف الشمس عرفنا أنه تحتها كما نعرف أن الغيم تحت الشـمس لأنـه يحجبها وإذا كسف القمر شيئاً من النجوم عرفنا أنه هو القمر تحتها ولهذا القمر يكسف كل النجوم والشمس ولا يكسف هو شيء منهـا لا يكسـفه إلا الأرض لأن الأرض تحته فتحجب نور الشمس عنه فحينئذ ينكسف وقد شاهدت أنا وغيري أن القمر يكسف بعض النجوم تجري يسير حولهـا ثـم يغطيها وهذا يدل على أن القمر نازل عن منزلة أو عن علو هذه الكواكب .

ومن فوائد الآية الكريمة : الرد على قول من يقـول : إن الشـمس ثابتـة وأنها لا تـدور والعجـب أنهـم يقولـون : إنهـا ثابتـة وأن القمـر يـدور علـى الأرض وهذا غلـط لأن اللـه سـبحانه وتعـالى جعـل الحكـم واحـداً قـال : ((**كل في فلك يسبحون**)) فإذا فسرنا السبح بالدوران وأثبتنـا ذلـك للقمر فلنثبته أيضاً للشمس .

ثم قال الله تعالى ، عندي كلمة ما شرحناها من تفسير المؤلف قـال : " **يسيرون نزلوا منزلة العقلاء** " نزلوا من ؟ الشمس والقمـر والليـل والنهار منزلة العقلاء وذلك بأن أتي بالواو التي هي للعقلاء ، الواو ضـمير الجمع لا تأتي إلا لضمير العقلاء ، غير العقلاء يؤتي لهم بنون النسوة فغير العقلاء إذا أردنـا أن نضـيف إليهـم شـيئاً علـى سـبيل الجمـع نـأتي بنـون النسوة ، والعقلاء نأتي بالواو أو بالميم فتقول مثلاً : الإبل ركبهن أربابهم ولا تقل الإبل ركبهن أربابهن لأن الميم للعاقـل وتقـول : الإبـل قـدمن أو

الإبل شربن ولا تقول : شربوا لأن الواو للعاقل هنا ((**يسبحون**)) أتـي بـالواو الـتي للعاقـل يقـول : " **إنها نزلت منزلـة العاقـل** " بإضـافة السبح والجريان إليها والجريان إنما يكون من ذي الإرادة والعقل .
ثـم قـال تعـالى ((**وَآيَـةٌ لَهُـمْ أَنَّـا حَمَلْنَـا ذُرِّيَّتَهُـمْ**)) وفـي قـراءة ((**ذرياتهم**)) أي آباءهم الأصـول ((**فِـي الْفُلْـكِ**)) أي سـفينة نـوح ((**الْمَشْحُونِ**)) المملوء ، ((**وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ**)) أي مثل فلك نوح وهو ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكبار لتعليم الله عـز وجل ((**مَا يَرْكَبُونَ**)) ((**آية لهم**)) أي للناس جميعاً على أي شـيء ؟ يقول المؤلف : " **على قدرتنا ونحن نسلم بذلك** " لكن فيـه أيضـاً آية على شيء آخر وهو رحمة الله عز وجل بالخلق ونعمه عليهم فآية لنـا دالة على قدرة الله ورحمته وفضله علينا هذا الفلك الذي سخره الله عز وجل يجري في البحر يحمل الأرزاق من جهـة إلـى جهـة ويحمـل النـاس ويحمل المواشي ويحمل كل ما فيه مصلحتنا فهذا من الآيات الدالة على قدرة الرب عز وجل وعلـى رحمتـه وقـوله : ((**أنا حملنـا ذريتهـم**)) هذه الجملة في تأويل مصدر هي المبتـدأ يعنـي وآيـة لهـم حملنـا ذريتهـم ((**ذريتهم**)) و ((**ذرياتهم**)) قال المؤلـف : " أي آبـاءهم الأصـول " فجعل المراد الذرية هنا الأصول يعني الآباء مـع أن المعـروف فـي اللغـة العربيـة أن الذريـة هـم الفـروع وليسـوا الآبـاء كمـا قـال اللـه تعـالى : ((**وَلَقَدْ أَرْسَـلْنَا نُوحًـا وَإِبْرَاهِيـمَ وَجَعَلْنَـا فِـي ذُرِّيَّتِهِمَـا النُّبُـوَّةَ وَالْكِتَابَ**))[الحديد:26]والمؤلف ومـن ذهـب مـذهبه فـي تفسـير الآيـة يقول : " إن الذرية لفظ مشترك بين الأصول والفروع لأنها مـأخوذة مـن ذرأ والذرء كائن للأصول والفروع " ثم يقولون : إن سياق الآية يدل على ذلك ، ((**وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَـا ذُرِّيَّتَهُـمْ فِـي الْفُلْـكِ الْمَشْـحُونِ**)) ((**ذريتهم**)) الصغار الموجودون معهـم إذا حملـوا فسـيحملون معهـم هم وإن كان المراد بالذرية فيمن ياتي بعد فكيف يكون ذلك آية وهي غير مشهودة لهم ؟ إذاً يتعين أن يكـون المـراد بالذريـة الأصـول لأن الصـغار المشهودين حملهـم حمـل لآبـائهم لأن الغـالب لا يحملـون إلا مـع آبـائهم والصغار غير المشهودين الذين يأتون فيما بعد لا يكونون آية لمن إيـش ؟ لمن لم يشاهدها فتعين أن يكون المراد بالذرية الآباء وهـذه الـذي ذهـب إليها المؤلف يوافق ظاهر الآية لكنه يخالف ما كان معهوداً في اللغة مـن أن الذرية هم الفروع ولهذا ذهب بعض العلمـاء إلـى أن المـراد بالضـمير هنا الجنس لا العين والمعنى ((**ذريتهم**)) أي ذرية جنسـهم كنـوح مثلاً

نوح عليه الصلاة والسلام من جنسنا آدمي بشر فحمل الله ذريته في الفلك المشحون قالوا : وهذا لا يمتنع في اللغة العربية ((**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ**))[المؤمنون 12:13]((**جعلناه**)) أي جنس الإنسان وليس عينه لأن الذي جعل نطفة هل هو آدم الذي خلق من السلالة أو غيره ؟ غيره بلا شك إذاً فالضمير عاد إلى آدم باعتبار الجنس فليعد الضمير في قوله : ((**ذريتهم**)) إلى الموجودين باعتبار إيش ؟ نعم باعتبار الجنس فمن هو الجنس ؟ قالوا : هو نوح لأنه بشر آدمي وذريته هي المحمولة فيكون المعنى أنا خلقنا ذريتهم أي ذرية جنسهم وهو نوح عليه الصلاة والسلام حملت ذريته في الفلك المشحون وخلق لهم من مثله ما يركبون وهذا قريب جداً ولا يخالف ظاهر الآية ويشير إلى هذا إلى أن هذه السفينة جعلت آية لمن بعد نوح يعتبرون بها ويصنعون منها قوله تعالى في سورة القمر : ((**وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**)) [القمر:15]فيه رأي ثالث إن شاء الله نتكلم عليه غداً نعم .

الطالب : ...

الشيخ : نعم ، غير صحيح ، أي نعم هذا ليس بصحيح الذين قالوا : إن الكسوف والخسوف يقع في كل وقت والله على كل شيء قدير نقول هذا ليس بصحيح لأن الله تعالى أجرى العادة ألا كسوف للشمس إلا في ليالي الاستسراء في آخر الشهر وألا خسوف للقمر إلا في ليالي الإبدار ويكون قول من قال من الأئمة إذا وقع الكسوف في عرفة بعد أن غربت الشمس إذا وقع فإنه يصلي ثم يدفع يقال هذا أمر فرضي وليس بواقع ولا يمكن أن يقع هذا .

الطالب : يحتجون بأن الشمس تكسف في يوم موت الحسين ...

الشيخ : الحسين ، ما هو صحيح هذا ...هذا إما أن الكسوف غير صحيح أو التاريخ غير صحيح ويحتجون أيضاً بأن كسفت يوم مات إبراهيم هذا صحيح كسفت يوم مات إبراهيم ، هم يقولون إن إبراهيم مات في عاشر ربيع الأول وهذا غير صحيح أيضاً والصحيح أنها كسفت الشمس في تسع وعشرين شوال وعلى هذا فلا إشكال في الموضوع نعم هذا غير ممكن لأن هذا سنة مطردة لا يمكن تختلف إلا أن تكون آية إذا كانت آية لا بأس مثل انشقاق القمر ولهذا نحن نقر .

انشقاق القمر ولهذا نحن نقر بأن القمر قد انشق حقيقة خلافاً لبعض المعاصرين أيضاً الذي أنكروا انشقاق القمر وقالوا : إن القمر من الأفلاك السماوية ولا يمكن أن تتغير أبداً وأن المراد بانشقاق القمر ظهور رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى اتضاح القمر أي نور الرسالة ويستدلون أيضاً بأن هذه الحادثة لو كانت حقيقة لكانت مشهورة عالمياً بالتاريخ يعني ما هي بالأمر الهين أن ينشق القمر ولا يعلم الناس به إلا أهل مكة أو من حولهم وكل هذا تعليلات عليلة باطلة لأن انشقاق القمر مما هو مشهور بل متواتر عن النبي عليه الصلاة والسلام والقرآن دل عليه ((**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا**))[القمر 1:2]وكونه لم يشتهر عالمياً في التاريخ ليس هذا بمانع من وجود حقيقة لأنه قد يكون صادف النهار هذا على من حولهم ثم قد يكون هناك غيوم وموانع تمنع ثم قد يكون بالليل وهم نائمون المهم أن هناك موانع ثم انشقاقه أيضاً ليس هو انشق كل الليل انشق حتى أراهم النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم التأم وهذا قد لا يكون خلال خمس دقائق أو نحوها أي نعم .

((**وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ**)) قوله تعالى : ((**وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا**)) أين المبتدأ في هذه الآية ؟ خالد .

الطالب : ...

الشيخ : نعم المصدر المؤول ما التقدير ؟

الطالب : حملهم

الشيخ : ...فإنا نقول : المراد بالذرية هنا ذرية نوح وأضيفت إلى هؤلاء باعتبار الجنس يعني حملنا الذرية من جنسهم في الفلك المشحون وذكرنا لهذا نظيراً وهو قوله تعالى : ((**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً**))[المؤمنون 12:13]ما جعلنا الإنسان الذي خلق من السلالة لأن الإنسان الذي خلق من السلالة هو آدم ولا يمكن أن يكون نطفة في قرار مكين وإنما الذي يكون نطفة في قرار مكين ما كان من جنسه طيب هذا القول هو الذي تطمئن إليه النفس ولا يأباه السياق .

قوله تعالى : ((**في الفلك المشحون**)) هذا مبتدأ الدرس الآن ((**في الفلك**)) أي سفينة نوح فأل هنا للعهد الذهني لأنه لا يسبق لها ذكر وليست للاستغراق لأن المراد بها فلك واحد فتكون أل هنا للعهد

إيش ؟ الذهني يعني في الفلك المعهود في أذهانكم وهو الذي قـال اللـه تعالى لنـوح : ((**أن اصنع الفلـك بأعيننـا**)) والفلـك كمـا مـر علينـا يطلق على الجمع ويطلق على المفرد فمن إطلاقـه علـى المفـرد كهـذه الآية وعلى الجمع مثل قـوله تعـالى : ((**حَتَّى إِذَا كُنْتُـمْ فِـي الْفُلْـكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ**))[يونس:22]((**جرين**)) أي الفلـك ، وهـذا الضمير ضـمير جمـع ولا يعـود علـى المفـرد ، ولهـذا قـال بعـض الفقهـاء رحمهم الله : إن الأحدب الذين حدب دروك الركوع ينـوي الركـوع قـال : وهذا كفلك في العربية لا يدرى هل هو جمع ولا مفرد إلا بالنيـة فالأحـدب المقوس الظهر كيف يركع بالنية ينوي الركوع لأنه ما يقـدر يركـع أحـدب نعم ، ((**وآية لهم أنها حملنا ذريتهم في الفلك**)) أي سفينة نـوح ((**المشحون**)) المملوء ، مملوء بمن ؟ مملوء بأناس من البشر الذين آمنوا مع نوح ((**وما آمن معه إلى قليل**)) مملـوء ببقيـة الحيوانـات لأن الله قال : ((**قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْـنِ اثْنَيْـنِ**))[هـود: 40]

وقوله : ((**وخلقنا لهم من مثل**)) أي مثل فلك نوح وهو مـا عملـوه على شكله من السفن الصغار والكبار يذكرهم الله عز وجل أولاً : بحمل آبائهم السابقين الذين هم ذرية نوح

وثانياً : أن الله تعالى خلق من مثل هذه الفلك ما يركبون كما قال تعالى : ((**وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**))[القمر:15]فالناس تعلمـوا كيف يصنعون السفن فصاروا يصـنعون مثـل هـذه السـفينة ولعـل قـوله تعالى فـي سـورة القمـر : ((**وَحَمَلْنَاهُ عَلَـى ذَاتِ أَلْـوَاحٍ وَدُسُـرٍ**)) [القمر:13]فيها الإشارة إلى مواد هذه السـفينة أو هـذا الفلـك لأجـل أن يتعلم الناس لأنه لـم يقـل حملنـاه علـى فلـك بـل قـال : ((**على ذات ألـواح ودسـر**)) كـأنه يقـول : إن هـذا الفلـك مصـنوع مـن الألـواح والمسـامير حـتى يتعلـم النـاس مـواد هـذا الفلـك ، ثـم قـال عـز وجـل : ((**وخلقنا لهم من مثلـه مـا يركبـون**)) ((**مـن مثلـه**)) المـراد بالمثل هنا الجنس وليس المراد المماثلة من كل وجه وذلك لأن المماثلة من كل وجه قـد تكـون متعـذرة لكـن نفـس الجنـس أمـا النـوع فيختلـف باختلاف الأعصار فلكل عصر نوع سـفنه ومـا زالـت تـترقى السـفن فـي البحار ووصلت إلى مـا وصـلت إليـه فـي عهـدنا الحاضـر ، قـال المؤلـف رحمه الله تعالى : " **بتعليم الله تعالى إشارة إلى سؤال مقــدر** " كأنه قال : كيف قال الله تعالى :

((وخلقنا له من مثله)) وهذه السفن مصنوعة بأيدي البشر وليست بخلق الله كخلق البعير التي تركب والفـرس وشـبهها فأجـاب المؤلـف : بأن الله تعالى أضاف خلقها إليه لأنها كانت بتعليمه ،

في هذه الآية من الفوائد :

أولاً : بيان ما في إنقاذ البشرية من الغرق في زمن نوح فإنه لولا أن الله أبقى هؤلاء لزالت البشرية من الأرض لكن الله تعـالى أبقـى نوحـاً ومـن معه ومع هذا فلم يبق من نسل الذين معه أحد وأما الذين بقوا هـم نسـل نوح فقط كما قال تعالى : **((وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ))**[الصافات: 77]أما غيرهم فلم يبق منهم أحد ولهذا يسمى نوحاً أبا البشر الثاني .

ثانياً من فوائد هذه الآية : بيان نعمة الله عز وجل بمـا أنعـم علـى هـؤلاء بتعليم السفن التي يركبونها في البحر ولولا هذه السفن ما استطاع أحـد أن يعبر من يابسة إلى أخرى بينهما ماء ولكن الله أعلمهـم بصـناعة هـذه حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن السفينة التي كانت فيها نوح كانت مملـوءة من البشر وغيره لقوله : **((المشحون))** .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن المماثلة قـد لا تقتضـي المسـاواة مـن كـل وجه لقوله : **((من مثله))** وليست هذه السفن الموجود والـتي كـانت في عهد نزول القرآن ليست كمثل سفينة مـن كـل وجـه ويـدل علـى أن المماثلة قد لا تقتضي المساواة من كل وجه قوله تعالى : **((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ))**[الطلاق:12]فـإن المـراد بالمماثلة هنا المماثلة في العدد فقط وإلا فإن بيـن الأرض والسـماء مـن الفروق العظيمة ماهو ظاهر .

وفي قوله : **((ما يركبون))** إشارة إلى الراحة الحاصلة بهـذه السـفن وأن محل ركوبهم الاستقرار ففيها أيضـاً بيـان النعمـة مـن اللـه سـبحانه وتعالى في استقرار الراكبين على هذه السفن .

ثـم قـال تعـالى : **((وَإِنْ نَشَـأْ نُغْرِقْهُـمْ فَلا صَـرِيخَ لَهُـمْ وَلا هُـمْ يُنقَذُونَ * إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ))** في الآية جملة شرطية فعل الشرط فيها **((نشأ))** وجوابه **((نغرقهم))** وفيها أيضاً اسـتثناء مفرغ من أعم الأحوال وهو قوله : **((إلا رحمة منا))** فهي مفعول من أجله أي إلا لأجل الرحمة التي من الله عز وجل

يقول الله عـز وجـل : **((وإن نشأ نغرقهم))** يعنـي إذا ركبـوا فـي السفن والأمر كـذلك قـال اللـه تعـالى : **((وَمِنْ آيَـاتِهِ الْجَـوَارِ فِـي**

الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ * إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ))[الشورى 33:34]فحذر الله عز وجل من أمرين في هذه السفن إما اسكان الريح فتبقى راكدة على ظهرها وإما إغراقها وهنا يقول : **((وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ))** وهم في سفنهم **((فلا صريخ لهم))** الصريخ بمعنى المغيث وسمي المغيث صريخاً لأن العادة أن الإنسان إذا هاجمه أحد صرخ يستغيث ومنه حديث غزوة بدر أن أبا سفيان دعا صارخاً إلى أهل مكة يستغيثهم قال : **((ولا هم ينقذون))** ينجون أي لا أحد يغيثهم ولا أحد ينقذهم إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يغرقهم **((إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ))** أي لا ينجيهم أحد إلا رحمة الله عز وجل والاستثناء هنا قيل إنه منقطع لأن قوله : **((ولا هم ينقذون * إلا رحمة منا))** بمعنى لكن رحمة منا ينجون وينقذون وقوله :

((ومتاعاً إلى حين)) أي أنهم يمتعون إلى حين أجلهم لأن الله تعالى قد جعل لكل شيء قدراً أي لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتنفيعنا إياهم لذاتهم إلى انقضاء آجالهم ،

في الآية الكريمة فوائد :

منها : إثبات مشيئة الله عز وجل لقوله : **((وإن نشأ نغرقهم))** .

ومنها : أن الله إذا أراد بقوم سوءاً فلا مرد له لقوله : **((فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون))** .

ومنها : بيان نعمة الله سبحانه وتعالى بإنجائهم من الغرق وأن نجاتهم من الغرق ليس بكسبهم وعملهم ولكنها من رحمة الله عز وجل .

ومنها : أن الله تعالى قد ينقذ الإنسان من الهلاك إلى أن يأتي أجله لقوله : **((ومتاعاً إلى حين))** .

ومنها : أن الخلود في هذه الدنيا متعذر ومستحيل لقوله : **((إلى حين))** وما كان له غاية فلابد أن ينقضي .

ومنها : أنه يجب على الإنسان أن ينظر إلى نعم الله تعالى بالإنقاذ من الشدائد أو بحصول محبوب أن ينظر إلى النعم على أنها فضل من الله عز وجل ليست بكسبه ولكنها من الله لقوله : **((وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم))** .

ثم قال تعالى : **((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ))** من عذاب إيش ؟ هم الدنيا كذا ، من عذاب هم الدنيا عندي ، ما بهم عندكم .

الطالب : ...
الشيخ : ((**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ**)) من عـذاب الـدنيا لأن الهم ما هو العذاب فقط ، من عذاب الدنيا كغيركم ((**وَمَا خَلْفَكُـمْ**)) من عذاب الآخـرة ((**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُـونَ**)) أعرضـوا ، قـوله : ((**إذا قيل لهم**)) الجملة هذه شرطية فعل الشرط فيها ((**قيل**)) وجـوابه محذوف قدره المؤلف بقـوله : " **أعرضوا** " وهـذا التقـدير لاشـك أنـه التماس من المؤلف وإلا فقد يكون الأمر أوسع مما قال المؤلف وحـذف مثل هذا فيه من البلاغة أن الذهن يقدر كل ما يمكن أن يقدره مما يترتب على هذا القول هذا من جهة ، من جهة أخرى أن الناس إذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكـم تختلـف إجابـاتهم منهـم مـن يعـرض ويسـكت ومنهم من يستكبر ويسب ومنهم من يقاتل إلى غير ذلك من الأمور الـتي لا تخفى فكان في حذف هذا من البلاغة ما هو ظاهر ليـذهب الـذهن كـل مذهب في تقدير هذا المحذوف قـوله : ((**وَإِذَا قِيـلَ لَهُـمُ اتَّقُـوا مَـا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ**)) من القائل ؟ القائـل هنـا مبهـم لأن الفعـل مبنياً للمجهول ليشمل أي واحد يقول لهم هذا القول سواء كان من قول الله عز وجل في كتابه أو كان من قول الرسول صـلى اللـه عليـه وسـلم في سنته أو كان من قول الدعاة بعد ذلك فهؤلاء الكفار إذا قيل لهم : ((**إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَـا بَيْـنَ أَيْـدِيكُمْ وَمَـا خَلْفَكُـمْ**)) ((**مـا بيـن أيديكم**)) من عذاب الدنيا فإن الله سبحانه وتعالى قد يعذب الكافر في الدنيا كما عذب الأمم السابقة وكما عذب هـذه الأمـة أيضـاً لكـن عـذاب هذه الأمة يكون بابتلاء بعضهم ببعض ((**ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّـهُ لانتَصَـرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَـكُمْ بِبَعْـضٍ**))[محمـد:4] ((**يَـوْمَ نَبْطِـشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ**))[الدخان:16]كانت هـذه فـي غـزوة بدر حين قتل صناديد قريش فسماها الله تعالى بطشة كـبرى أمـا الأمـم السابقة فعقوباتهم معروفة فهنا ((**اتقوا ما بين أيديكم**)) من عذاب الدنيا العذاب المتنوع سواء كان بأيدي المؤمنين أو كان من فعل الله عز وجل كالقحط والزلازل والغرق وغير ذلك ((**وما خلفكـم**)) مـن أمـر الآخرة وعذاب الآخرة أشق وأشد وأبقى وهنا قال : ((**ما خلفكم**))

قد يقول قائل : لو كان الأمر بالعكس لكان أقرب إلى الصواب يقـول : ((**ما بين أيديكم**)) من عذاب الآخرة لأنه مستقبل ((**ومـا خلفكـم**)) من عذاب الدنيا لأن الدنيا هي التي يخلفها الإنسان وراءه

ولكن نجاوبه عن هذا بأن الذي بين أيديهم حقيقة هو الدنيا وما ما خلفهم فإن الخلف والوراء قد يطلق بمعنى الأمام ومنه قوله تعالى : ((**وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**))[الكهف:79]قال العلماء معناه : أمامهم ، وكقوله تعالى : ((**وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ**)) [إبراهيم:17]أي أمامه وقوله : ((**لعلكم ترحمون**)) لعل هنا للتعليل أي لأجل أن يرحمكم الله عز وجل إذا قيل لهم هذا الشيء فجمع لهم بين الترغيب والترهيب ، الترهيب يا خالد في قوله : ((**لعلم ترحمون**)) والترهيب في قوله : ((**اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم**)) هؤلاء جمع لهم بين الترغيب والترهيب ومع ذلك لا يستجيبون بل يعرضون ويستكبرون ويسخرون ويقولون هذا أساطير الأولين وما أشبه ذلك مما هو معروف عن هؤلاء إذا دعوا إلى الله نعم ،

في هذه الآية الكريمة أن هؤلاء الكفار قد أقيمت عليهم الحجة وبلغتهم الدعوة ووعظوا ولكن لم ينفعهم ذلك لقوله : ((**إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ**)) .

ومن فوائدها : أن الإنسان إذا أعرض عن دين الله واستكبر كان عرضة للعذاب إما في الدنيا أو في الآخرة أو في الدنيا والآخرة لقوله : ((**اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ**)) .

ومن فوائدها : أن الإقبال إلى الله عز وجل واجتناب معصيته سبب للرحمة لقوله : ((**لعلكم ترحمون**)) .

ومن فوائدها أيضاً : إثبات العلل والأسباب لقوله : ((**لعلكم**)) فإن لعل هذه للتعليل ولا أحد ينكر أن للأسباب تأثيراً إلا من صرف عن مقتضى الفطرة والناس اختلفوا في الأسباب والعلل على ثلاثة أقوال :

فمنهم من قال : إن الأسباب والعلل مؤثرة بذاتها وأنه لابد لكل سبب من تأثيره من مسببه ولابد في كل علة من تأثيرها في معلولها .

ومنهم من قال بالعكس وقال : إنه لا تأثير للعلل والأسباب وإنما هي علامات وأمارات فقط فإذا وجد المسبب أو المعلول لم يقولوا إن ذلك من أجل السبب أو العلة ولكن يقولون : إن ذلك حصل عنده لا به ولا ريب أن هؤلاء خالفوا المنقول والمعقول ولا أحد يوافقهم على ما ذهبوا إليه .

والقول الثالث وسط : يقولون إن للأسباب والعلل تأثيراً في معلولاتها ومسبباتها لكن بجعل الله ذلك فيها فهي ليست مؤثرة بنفسها بل بما أودعها الله تعالى فيها من الأمر الموجب للسبب أو للمعلول وهذا القول

هو المتعين وهو الصواب بدليل أن الله تعالى قد يسلب هذه العلة أو هذا السبب قد يسلبه التأثير ولا يبقى له تأثير إطلاقاً وما قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بغريبة حيث ألقي في نار تتأجج فقال الله لهذه النار : **((كوني برداً وسلاماً على إبراهيم))** فكانت برداً وسلاماً مع أنها سبب للإحراق ولكنها صارت برداً وسلاماً على إبراهيم وهذا يدل على أن الأسباب والعلل إنما تؤثر بماذا ؟ بإرادة الله عز وجل وجعل هذه العلة هو سبب مؤثراً .

طيب ومن فوائد الآية هذه والتي قبلها أيضاً : إثبات الرحمة لله عز وجل وهي من صفاته الذاتية الفعلية ، الذاتية لأن الله لم يزل رحيماً بعباده ولا يزال ، الفعلية باعتبار تعلقها بالمرحوم فإنها تتجدد باعتبار المرحوم لا باعتبار أنها صفة من صفات الله فهذا الذي رحمه الله من البشر حادث بعد أن لم يكن فتتعلق به الرحمة ولا يخفى عليكم ما ذهب إليه الأشاعرة من إنكارهم الرحمة على وجه الحقيقة وادعائهم أنه يراد بها الإحسان أو إرادة الإحسان ففسروها بالإرادة لأنهم يثبتون لله الإرادة أو بالإحسان لأنه مخلوق منفصل ليس من صفات الله وهذا بلا شك قول باطل وضعيف وقد مر علينا بيان تعليلهم لإنكاره والرد عليهم قالوا : إن الرحمة تقتضي إيش ؟ رقة ولينا وضعفاً وهذا لا يليق بالله عز وجل وقالوا أيضاً : إن الرحمة لا يدل عليها العقل ونحن لا نثبت من صفاته إلا ما دل عليه العقل وقد بينا أن هذا القول ليس بصواب

أولاً : أن الرحمة قد تقع من إنسان قوي وذي سلطان ويوصف بالرحمة حتى من البشر

وثانياً : ادعاؤهم أن العقل لا يدل عليها باطل فإن العقل يدل عليها أكثر دلالة وأوضح دلالة من دلالة التخصيص على الإرادة وقد مر علينا هذا كثيراً .

قال الله تعالى ، ما يحتاج إلى ...بسيط رأي ثالث نذكره وهو أن المراد بـ **((ما بين أيديهم))** المعاصي التي في مستقبلهم ويخشى أن يفعلوها **((وما خلفهم))** المعاصي الماضية فيجعلون المراد بما بين أيديهم وما خلفهم من الأعمال لا من عذاب الله وسبق أن قلنا إن الآية إذا كانت تحتمل المعاني المذكورة فيها بدون تعارض فإنها تحمل على الجميع طيب ، في الآية ، أنا ما أظن أخذنا فوائد هذه الآية .

الطالب : ...

الشيخ : ...عندي .

الطالب : ...
الشيخ : إثبات الرحمة وإثبات الأسباب أخذنا كل هذا طيب .
قال الله تعالى ، بداية الدرس الجديد ، ((**وما تأتيهم من آيـة**)) قبـل أن أبدأ في الدرس رأيت الأخ ياسر أخذ من المناديل ، أخذ منديل وحطه في ...
قال الله عز وجل : ((**وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَـانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ**)) أيضاً سبق لنا الكلام على الآية هذه ،
طيب قال الله تعالى : ((**وَمَا تَأْتِيهِمْ مِـنْ آيَـةٍ مِـنْ آيَـاتِ رَبِّهِـمْ**)) الضمير هنا يعود علـى المكـذبين للرسـل يقـول اللـه عـز وجـل : ((**مَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ**)) ((**من**)) هنا زائدة ، زائدة ، زائدة لفظاً لكنها تزيد في المعنى فهي زائدة في اللفظ وزائدة في المعنى أي تعطيه معنى جديداً ، ما هو المعنى الجديد ؟ المعنى الجديد تأكيـد النفـي والتنصيص على عمومه أي ، أي آية تأتيهم فإنهم لا يقبلونها بـل يعرضـون عنها ويستكبرون والآيات التي تأتي من الله عز وجل تنقسم إلى قسمين : آيات كونية وآيات شرعية ، فالآيات الشرعية ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام والإعـراض عنهـا يكـون بالتكـذيب والاسـتكبار بالتكـذيب بالأخبار والاستكبار عن الأحكام ، وأما الآيات الكونية فـالإعراض عنهـا ألا يهتم الإنسان بها وألا تحرك منـه سـاكناً وألا يوجـل منهـا قلبـه وأن يقـول كالذين رأوا العذاب ينزل من السماء ((**وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ**))[الطور:44]أو كالذين يقولون : إن الكسوف ليس أمراً مخيفاً لأنه شيء طبيعي ولا ينبغي أن يخيـف نسـأل الله العافية أو كالذين يرون الزلازل والغرق والدمار من الرياح العاتية ثم يقولون هذا أمر طبيعي لا يحـرك لـه سـاكناً ولا ريـب أن هـذا يـدل علـى قسوة القلـوب وموتهـا وإلا فـإن الـواجب علـى الإنسـان أن يتعـظ بهـذه الآيات فالإعراض عن الآية الكونية معناه إيش ؟ عدم المبـالاة بهـا وعـدم الاكـتراث بهـا وألا تحـرك مـن الإنسـان سـاكناً ولا تهـز لـه عاطفـة هـذا الإعراض عن الآيات الكونية فيقول الله عز وجـل : ((**ما تـأتيهم مـن آية من آيات ربهـم إلا كـانوا عنهـا معرضـين**)) يعنـي إلا قابلوهـا بالإعراض ولا يتأملوها ولا يتفكرون فيها فإذا جاءت الآيات الشرعية بخـبر كذبوه على طول وقـالوا هـذا كـذب هـذا سـحر هـذا شـعر وإذا جـاء فـي الأحكام الشرعية استكبروا عنها ولم يذعنوا لها ولم ينقادوا لهـا بـدون أن

يتأملوا فيها وما فيها من المصالح وكذلك في الآيـات الكونيـة لا يكـترثون بها ولا يهتمون ((**إلا كانوا عنها معرضين**)) نعم
ففي هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يذكر أو يبين لعباده من الآيات ما يؤمن على مثله البشر وجه ذلك أنه لولا هذا لم يكن في الآيات فائدة .
ومن فوائدها : أن بني آدم قد يعتون عـن الآيـات فيعرضـون عنهـا بـدون نظر والواجب على الإنسان أن ينظـر أولاً ثـم يحكـم ثانيـاً ولهـذا يقـال : الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، فأنت انظر الأول في الآيات شوف هل هي آيات مقنعة موجبة للصـلاح فلتكـن صـالحاً بهـا هـل هـي لا تنفـع فحينئذ تعذر بالإعراض عنها .
ومن فوائد هذا الآية : بيان قسوة قلوب هؤلاء فـإنهم لـم يقبلـوا آيـة مـن الآيات دليله ((**وما تأتيهم من آية من آيات ربهم**)) .
ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات الربوبية العامـة لقـوله : ((**مـن آيـات ربهم**)) فأثبت الله تعالى أنه رب هـؤلاء وهـو سـبحانه وتعـالى رب كـل شيء ((**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ**))[النمل:91]كل شيء فالله ربه حتى الكفار أي نعم حتى الكفار لكن نقول أحياناً تكون ربوبية خاصة أي أن يـراد بهـا ربوبيـة خاصـة فيهـا مزيد عناية واعتناء مثل قوله تعالى : ((**رب موسى وهارون**)) فـان هذه الربوبية غير الربوبية العامة .
ومن فوائد الآية الكريمة : تقبيح حال هؤلاء والتحذير من فعلهـم لقـوله : ((**إلا كانوا عنه معرضين**)) مع أنها جاءت ممن ؟ من ربهم الذي هـو مالكهم وخالقهم و أمرهم إليه ومع ذلك يعرضون .
قال الله تعالى : ((**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّـا رَزَقَكُـمُ اللَّـهُ قَـالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَـاءُ اللَّـهُ أَطْعَمَـهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**))
((**إذا قيل لهـم**)) قـال المؤلـف : " **أي قـال فقـراء الصـحابة** " ((**أنفقوا**)) علينا ((**مما رزقكـم اللـه**)) مـن الأمـوال هكـذا سـار المؤلف في تفسير الآية فجعل القائل هم الفقراء وعلى هذا فتكون الآية في سؤال الفقراء من الأغنياء أي ينفقوا يعنـي إذا جـاء الفقـراء يسـألون الأغنياء أن ينفقوا تهكموا بهم وقالوا : كيف نطعمكم والله تعالى لم يشـأ أن نطعمكم ؟ ولو شاء أن نطعمكم لأعطيناكم بـدون سـؤال هـذا تـوجيه الآية على ما مشى عليه المؤلف ولكن الذي ينبغي أن نجعـل الآيـة عامـة لأنه أبهم فيها الفاعل وإبهام الفاعل يراد به بعض الأحيان يراد به التعميم

فـ((**إذا قيل لهم**)) أي إذا قال لهم أحد من الناس سواء كانوا الفقراء يسألونهم الإنفاق أو كانوا الأغنياء يحثونهم على الإنفـاق لأن الأغنيـاء مـن الصحابة مثلاً ينفقون فيحثون الأغنياء مـن الكفـار علـى أن ينفقـوا أيضـاً فالصواب أن نبقي الآية على إبهامها ليكون أعـم وقـوله : ((**وَإِذَا قِيـلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ**)) الإنفاق بمعنى البذل والإعطاء وقوله : ((**مما رزقكم**)) أي مما أعطاكم اللـه ، وفـي قـولهم : ((**أنفِقُـوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ**)) دون قولهم أنفقوا من أموالكم فيها تنـبيه علـى أن هذا الذي بين أيديكم ليس من كسبكم فـي الواقـع ولكنـه مـن رزق اللـه فكان عليكم أن تنفقوا من هـذا الـذي رزقكـم اللـه لأن اللـه يـأمركم بـه فالذي أمركم بالإنفاق هو الذي أعطاكم هذا المال فكيف تنكرون فضـله وتستكبروا عن أمره فلا تنفقـون فهـذا هـو الفائـدة فـي قـوله : ((**مما رزقكم الله**)) الجواب ((**قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِـمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ**)) قوله : ((**قَالَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا لِلَّـذِينَ آمَنُوا**)) اللام هذه الأصح أنها على بابها وأن المراد بها الصلة يعني قالوا قـولاً يصـل للـذين آمنـوا ، مـن الـذين آمنـوا ؟ هـم الـذين قـالوا لهـم : ((**أنفقـوا ممـا رزقكـم اللـه**)) ((**قـالوا**)) قـال المؤلـف : " **استهزاء بهم** " يحتمل ما ذكر المؤلف أنـه اسـتهزاء ويحتمـل أنـه مـن باب الاحتجاج بالقدر عناداً وتحججاً يقولون : ((**أَنُطْعِمُ مَنْ لَـوْ يَشَـاءُ اللَّهُ أَطْعَمَـهُ**)) ((**مـن**)) هنـا بمعنـى الـذي ويجـوز أن تكـون نكـرة موصوفة أي نطعم أحداً لو يشاء الله أطعمه من دوننا أو أنطعم الذي لـو يشاء الله أطعمه و ((**لو**)) هنا حـرف امتنـاع لامتنـاع وشـرطها قـوله : ((**يشاء**)) وجوابها ((**أطعمه**)) وقـد أتـت علـى خلاف الأكـثر حيـث حذفت اللام من الجواب والأصل من لو يشاء الله لأطعمه فإن جواب لـو كان مثبتاً فالأكثر فيه إثبات اللام وقد تحذف اللام وقد اجتمع الأمران في قوله تعـالى : ((**أَفَرَأَيْتُمْ مَـا تَحْرُثُـونَ * أَأَنْتُـمْ تَزْرَعُـونَهُ أَمْ نَحْـنُ الزَّارِعُـونَ * لَـوْ نَشَـاءُ لَجَعَلْنَـاهُ حُطَامًـا فَظَلْتُـمْ تَفَكَّهُـونَ**)) [الواقعة 46:65]ثم قال : ((**أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُـمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًـا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ**))[الواقعة 69:70]فأتت اللام في جواب ((**لو**)) في الآية السابقة وحـذفت مـن الآيـة الثانيـة هـذه الآيـة الـتي معنـا مـن بـاب محذوف اللام ((**أنطعم من لو يشاء الله أطعمه**)) قـال المؤلـف :

" **إنهم يقولون ذلك استهزاءً وتهكماً** " يعني أنطعم قوماً لـو شـاء الله لأطعمهم فإطعامهم لنا أي إلينا وإلا إلى الله ؟ إلى الله
ويحتمل أنه من باب إيش ؟ الاحتجاج بالقدر فراراً من اللوم يعني أنطعم قوماً لو يشاء اللـه أطعمهـم فأطعمنـاهم ولكـن اللـه تعـالى لـم يشـأ أن نطعمهم فلا نطعمهم هذا وجهين
الـوجه الثـالث يحتمـل أنـه قـالوا هـذا اعتراضـاً علـى القـدر كمـا يقـوله الاشتراكيون والشيوعيون ليش أن يجعل أن الله هـذا فقيـر ولا يعطيـه ؟ فكأنهم يقولون في جوابهم هذا كأنهم فـي جـوابهم هـذا يعترضـون علـى الله والذي يطعمهم من ؟ الله ما إحنا المسئولين عنهم ، المسئول عنهم الله وكان على الله أن يطعمهم لكن لم يشأ ذلك فيكون هذا فيه نوع من الاعتراض على القدر فهذه ثلاثـة أوجـه : الاسـتهزاء والثـاني : الاحتجـاج بالقدر والثالث : الاعتراض على القدر
ثم قالوا : **((إِنْ أَنْتُمْ))** أي ما أنتم في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا **((إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِيـنٍ))** بيـن يعنـي هـؤلاء الكفـار الـذين أمـروا أن ينفقوا على الفقراء يقولـون للـذي أمرهـم أنـت تعتقـد أن اللـه لـو شـاء لأطعمهم فيقول نعم أعتقد ذلك يقولـون : إذاً كيـف تأمرنـا أن نطعمهـم والأمر بمشيئة الله ما أنت إلا فـي ضـلال مـبين وقـوله : **((إن أنتم))** **((إن))** هنا نافية وإلا شرطية ؟ بمعنى ما ، ما الدليل على أنهـا نافيـة ؟ لوجود إلا بعدها وإذا جاءت إلا بعد إن فهـي دليـل علـى أن إن نافيـة ومـر علينا قبل أيام قليلة أن إن ترد في اللغة العربية على أربعة أوجه :
الأول:
الطالب : ...
الشيخ : طيب ومثاله بني غدانة ما إن أنتم ذهـب ولا صـريف ولكـن أنتـم الخزف ، طيب تأتي أيضاً خالد ؟
الطالب : شرطية .
الشيخ : شرطية مثاله .
الطالب : ...
الشيخ : ولا تأتي بشاهد من القرآن أو من السنة أو من كلام العرب نعـم ، **((إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا))**[النساء:135] هـذه شرطية طيب ثالثاً فوزي .
الطالب : ...
الشيخ : وتأتي نافية مثاله .

الطالب : ...
الشيخ : طيب مخففة من الثقيلة مثاله .
الطالب : ...
الشيخ : قول الشاعر : " **وإن مالك كانت كرام المعادن** "
طيب وقوله المؤلف : **((مبين))** قال : " أي بين " فهي من أبان الناقص أو من أبان المتعدي ؟ أبان تأتي متعدية ولازمة فيقال : أبان الشيء بمعنى أظهره ويقال : أبان الصبح بمعنى ظهر إذا مبين من الرباعي من أبان يبين فهو مبين يحتمل أن تكون بمعنى بين على أنها من القاصر ولا من المتعدي ؟ من القاصر ويحتمل في غير هذا السياق أن تكون بمعنى أبان مثل **((والقرآن المبين))** ليس المعنى هو القرآن البين بل هو قرآن مبين للحق نعم ، قال المؤلف : " **وللتصريح بكفرهم موقع عظيم** " وين ؟ **((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا))** ولم يقل : قالوا قال الذين كفروا ، **((قال الذين كفروا))** فله موقع عظيم ما هذا الموقع العظيم ؟ هذا الموقع العظيم
أولاً : التصريح بكفر هؤلاء لو قال : قالوا لقلنا لعلهم قالوا ذلك ليس بسبب الكفر ولكن بسبب البخل هذه فائدة أن هذا الإظهار في موضع الإضمار في هذه الآية للتصريح بكفرهم
الفائدة الثانية : أن مثل هذه المقالة لا تصدر إلا من كافر فيكون الكفر عاماً لكل من قال هذه المقالة وقد مر علينا فيما سبق أن الإضمار له ثلاث فوائد :
الفائدة الأولى : التصريح بالحكم على هؤلاء الذي يرجع إليهم الضمير والثاني .

قال الله تعالى : ((**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**))

((**إذا قيل لهم**)) قال المؤلف : " **أي قال فقراء الصحابة** " ((**أنفقوا**)) علينا ((**مما رزقكم الله**)) من الأموال هكذا سار المؤلف في تفسير الآية فجعل القائل هم الفقراء وعلى هذا فتكون الآية في سؤال الفقراء من الأغنياء أي ينفقوا يعني إذا جاء الفقراء يسألون الأغنياء أن ينفقوا تهكموا بهم وقالوا : كيف نطعمكم والله تعالى لم يشأ أن نطعمكم ؟ ولو شاء أن نطعمكم لأعطيناكم بدون سؤال هذا توجيه الآية على ما مشى عليه المؤلف ولكن الذي ينبغي أن نجعل الآية عامة لأنه أبهم فيها الفاعل وإبهام الفاعل يراد به بعض الأحيان يراد به التعميم فـ((**إذا قيل لهم**)) أي إذا قال لهم أحد من الناس سواء كانوا الفقراء يسألونهم الإنفاق أو كانوا الأغنياء يحثونهم على الإنفاق لأن الأغنياء من الصحابة مثلاً ينفقون فيحثون الأغنياء من الكفار على أن ينفقوا أيضاً فالصواب أن نبقي الآية على إبهامها ليكون أعم وقوله : ((**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ**)) الإنفاق بمعنى البذل والإعطاء وقوله : ((**مما رزقكم**)) أي مما أعطاكم الله ، وفي قولهم : ((**أنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ**)) دون قولهم أنفقوا من أموالكم فيها تنبيه على أن هذا الذي بين أيديكم ليس من كسبكم في الواقع ولكنه من رزق الله فكان عليكم أن تنفقوا من هذا الذي رزقكم الله لأن الله يأمركم به فالذي أمركم بالإنفاق هو الذي أعطاكم هذا المال فكيف تنكرون فضله وتستكبروا عن أمره فلا تنفقون فهذا هو الفائدة في قوله : ((**مما رزقكم الله**)) الجواب ((**قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ**)) قوله : ((**قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا**)) اللام هذه الأصح أنها على بابها وأن المراد بها الصلة يعني قالوا قولاً يصل للذين آمنوا ، من الذين آمنوا ؟ هم الذين قالوا لهم : ((**أنفقوا مما رزقكم الله**)) ((**قالوا**)) قال المؤلف : " **استهزاء بهم** " يحتمل ما ذكر المؤلف أنه استهزاء ويحتمل أنه من باب الاحتجاج بالقدر عناداً وتحججاً يقولون : ((**أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ**)) ((**من**)) هنا بمعنى الذي ويجوز أن تكون نكرة موصوفة أي نطعم أحداً لو يشاء الله أطعمه من دوننا أو أنطعم الذي لو يشاء الله أطعمه و ((**لو**)) هنا حرف امتناع لامتناع وشرطها قوله :

((**يشاء**)) وجوابها ((**أطعمه**)) وقد أتت على خلاف الأكثر حيث حذفت اللام من الجواب والأصل من لو يشاء الله لأطعمه فإن جواب لو كان مثبتاً فالأكثر فيه إثبات اللام وقد تحذف اللام وقد اجتمع الأمران في قوله تعالى : ((**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ**))[الواقعة 46:65]ثم قال : ((**أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ**))[الواقعة 69:70]فأتت اللام في جواب ((**لو**)) في الآية السابقة وحذفت من الآية الثانية هذه الآية التي معنا من باب محذوف اللام ((**أنطعم من لو يشاء الله أطعمه**)) قال المؤلف : " **إنهم يقولون ذلك استهزاءً وتهكماً** " يعني أنطعم قوماً لو شاء الله لأطعمهم فإطعامهم لنا أي إلينا وإلا إلى الله ؟ إلى الله

ويحتمل أنه من باب إيش ؟ الاحتجاج بالقدر فراراً من اللوم يعني أنطعم قوماً لو يشاء الله أطعمهم فأطعمناهم ولكن الله تعالى لم يشأ أن نطعمهم فلا نطعمهم هذا وجهين

الوجه الثالث يحتمل أنه قالوا هذا اعتراضاً على القدر كما يقوله الاشتراكيون والشيوعيون ليش أن يجعل أن الله هذا فقير ولا يعطيه ؟ فكأنهم يقولون في جوابهم هذا كأنهم في جوابهم هذا يعترضون على الله والذي يطعمهم من ؟ الله ما إحنا المسئولين عنهم ، المسئول عنهم الله وكان على الله أن يطعمهم لكن لم يشأ ذلك فيكون هذا فيه نوع من الاعتراض على القدر فهذه ثلاثة أوجه : الاستهزاء والثاني : الاحتجاج بالقدر والثالث : الاعتراض على القدر

ثم قالوا : ((**إِنْ أَنْتُمْ**)) أي ما أنتم في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا ((**إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**)) بين يعني هؤلاء الكفار الذين أمروا أن ينفقوا على الفقراء يقولون للذي أمرهم أنت تعتقد أن الله لو شاء لأطعمهم فيقول نعم أعتقد ذلك يقولون : إذاً كيف تأمرنا أن نطعمهم والأمر بمشيئة الله ما أنت إلا في ضلال مبين وقوله : ((**إن أنتم**)) ((**إن**)) هنا نافية وإلا شرطية ؟ بمعنى ما ، ما الدليل على أنها نافية ؟ لوجود إلا بعدها وإذا جاءت إلا بعد إن فهي دليل على أن إن نافية ومر علينا قبل أيام قليلة أن إن ترد في اللغة العربية على أربعة أوجه :

الأول:

الطالب : ...

الشيخ : طيب ومثاله بني غدانة ما إن أنتم ذهب ولا صريف ولكن أنتم الخزف ، طيب تأتي أيضاً خالد ؟
الطالب : شرطية .
الشيخ : شرطية مثاله .
الطالب : ...
الشيخ : ولا تأتي بشاهد من القرآن أو من السنة أو من كلام العرب نعم ، **((إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا))**[النساء:135] هذه شرطية طيب ثالثاً فوزي .
الطالب : ...
الشيخ : وتأتي نافية مثاله .
الطالب : ...
الشيخ : طيب مخففة من الثقيلة مثاله .
الطالب : ...
الشيخ : قول الشاعر : " **وإن مالك كانت كرام المعادن** "
طيب وقوله المؤلف : **((مبين))** قال : " أي بين " فهي من أبان الناقص أو من أبان المتعدي ؟ أبان تأتي متعدية ولازمة فيقال : أبان الشيء بمعنى أظهره ويقال : أبان الصبح بمعنى ظهر إذا مبين من الرباعي من أبان يبين فهو مبين يحتمل أن تكون بمعنى بين على أنها من القاصر ولا من المتعدي ؟ من القاصر ويحتمل في غير هذا السياق أن تكون بمعنى أبان مثل **((والقرآن المبين))** ليس المعنى هو القرآن البين بل هو قرآن مبين للحق نعم ، قال المؤلف : " **وللتصريح بكفرهم موقع عظيم** " وين ؟ **((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا))** ولم يقل : قالوا قال الذين كفروا ، **((قال الذين كفروا))** فله موقع عظيم ما هذا الموقع العظيم ؟ هذا الموقع العظيم
أولاً : التصريح بكفر هؤلاء لو قال : قالوا لقلنا لعلهم قالوا ذلك ليس بسبب الكفر ولكن بسبب البخل هذه فائدة أن هذا الإظهار في موضع الإضمار في هذه الآية للتصريح بكفرهم
الفائدة الثانية : أن مثل هذه المقالة لا تصدر إلا من كافر فيكون الكفر عاماً لكل من قال هذه المقالة وقد مر علينا فيما سبق أن الإضمار له ثلاث فوائد :
الفائدة الأولى : التصريح بالحكم على هؤلاء الذي يرجع إليهم الضمير .

والثاني أن من قال بمثل هذا فهو كافر أو ظالم حسب السياق .
والثالث : العلة وأن هذا القول سببه كذا وكذا حسب ما يوصف .
إن اللام بمعنى عن يعني قال الذين كفروا عن الذين آمنوا يعني قالوا في حق الذين أمروا بالإنفاق عليهم وهم المؤمنون ((**أنطعم من لو يشاء الله أطعمه**)) .
الطالب : .....
الشيخ : معناه أنها للصلة يعني أن هذا القول واصل للذين قالوا ((**وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله**)) هذا القول ((**قال الذين كفروا**)) الذين قيل لهم للذين آمنوا للقائلين فتكون اللام للصلة أي أنها تصل هذا القول بالقائل الذي أورد على هؤلاء قوله : ((**أنفقوا مما رزقكم الله**)) نعم .
الطالب : .....
الشيخ : أي نعم .
الطالب : .....
الشيخ : لأنهم يقولون : إذا كنتم تعتقدون أن الأمور بيد الله فكيف تأمروننا أن ننفق على هؤلاء ولو شاء الله لأطعمهم من دوننا فأنتم بأمركم إيانا مع اعتقادكم أن الأمر بيد الله يعتبر هذا ضلالاً منكم .
يقول الله سبحانه وتعالى : ((**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ**)) إلى آخره يستفاد من هذه الآية الكريمة : أن هؤلاء الذين كفروا يوعظون وينبهون ولكنهم يستكبرون ((**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ**)) الحجة قائمة عليهم .
ومن فوائد الآية الكريمة : أن الإنسان إذا أنفق بأمر الله فلا منة له على الله لأن الله تعالى هو الذي أعطاه لقوله : ((**أنفقوا مما رزقكم الله**)) .
ومن فوائد الآية الكريمة : أنه ينبغي للمتكلم الواعظ أن يبين الأسباب التي تحثه على فعل ما وعظ به لقوله :
((**ما رزقكم الله**)) .
ومن فوائد الآية الكريمة : أن هؤلاء الذين قالوا هذا الكلام ((**أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ**)) أنهم كفار لقوله : ((**قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**)) .
ومن فوائدها : أن البخل من صفات الكافرين لقوله : ((**قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**)) وإذا كان من صفات الكافرين فإنه لا ينبغي للمؤمن أن يتصف

به كل ما كان من صفات الكافرين مـن اليهـود والنصـارى وغيرهـم فـإن اللائق بالمسلم ألا يفعله لأنه إذا فعله صار متشـبهاً بالكـافرين فـي هـذه الخصلة .

ومن فوائد الآية الكريمـة : أن الإنسـان قـد يقـول كلمـة الحـق يريـد بهـا الباطل ((**أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ**)) فنحـن نـؤمن بـأنه لـو شاء الله لأطعم هـؤلاء لكـن حكمتـه عـز وجـل اقتضـت أن يجعـل هـؤلاء فقراء وهؤلاء أغنياء .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن المشركين يقرون بمشيئة الله وأنها نافـذة في كل شيء لقوله : ((**من لو يشاء الله أطعمه**)) والمشـركون أو الكافرون لا ينكرون الربوبية أي لا ينكرون ربوبية الله عـز وجـل بـل هـم يقرون بها حتى الذين تظـاهروا بإنكارهـا إنمـا ينكرونهـا بألسـنتهم لقـوله تعالى عن آل فرعـون : ((**وَجَحَـدُوا بِهَـا وَاسْـتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُـهُمْ**)) [النمل:14]ولقول موسى لفرعـون : ((**قَالَ لَقَـدْ عَلِمْـتَ مَـا أَنـزَلَ هَـؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَـائِرَ**))[الإسـراء:102]لكـن ينكرون الربوبية استكباراً ومكابرة وإلا فإن قرارة نفوسهم تشهد بها .

ومن فوائد الآية الكريمة : الأساليب الدعائية التي يستعملها المشـركون مـن قـديم الزمـان حيـث قـالوا لهـؤلاء المـؤمنين أو لهـؤلاء القـائلين : ((**أنفقوا ممـا رزقكـم اللـه**)) قـالوا لهـم : ((**إن أنتـم إلا فـي ضلال مبين**)) وهذا الوصف المشين للمؤمنين مـن الكـافرين هـذا لـم يزل ولا يزال موجوداً إلى يومنا هذا فهم يصـفون أهـل الخيـر بالأوصـاف العديدة المنفرة منهم أو التي يقصدون بها استعداء الحكـام علـى هـؤلاء المؤمنين يقولون : هؤلاء رجعيون هؤلاء متخلفون هؤلاء متشددون هؤلاء متزمتون .

الطالب : .....

الشيخ : نعم وما أشبه ذلك من الكلمات التي يسـبوا بهـا أوليـاء اللـه عـز وجل ونحن لا ننكر أنه يوجد في أهل الخير وأهل الـدين مـن يغلـو ويبـالغ في عمله أو في وصفه لغيره من التكفير والتفسيق حـتى يكفـر مـن لـم يكفره الله ويفسق من لم يفسقه الله نحن لا ننكر أن هذا موجـود ولكـن يبدوا لي والله أعلـم أن وجـود مثـل هـؤلاء المتشـددين إنمـا جـاء نتيجـة لتفرق الآخريـن فـي المعاصـي والفسـوق فيريـدون أن يحـدثوا رد فعـل بالنسبة لهؤلاء ولو استقام الناس كلهم على الدين ما حصل هذا التطرف لكن إذا رأوا جانباً ....من الفسوق والعصيان وأنه مستمر عل ذلك ومقـر

مع ذلك من بعض ولاة الأمور حصل رد فعل يقابـل لهـؤلاء فتشـدد هـؤلاء في مقابل تراخي هؤلاء ولكن التوسط هو الخير ، التوسط هو الخير ومع هـذا فـإن المتوسـطين المعتـدلين لا يسـلمون مـن ألسـنة المتطرفيـن الضالين ولا من ألسنة المتطرفين الغالين فالغـالين مثلاً يقولـون لهـؤلاء المتوسطين أنتم مفرطون أنتم مداهنون أنتم تقرون أهل الشـر وأولئـك يقولون أهل الشر : هؤلاء متشددون هؤلاء يريدون من الناس أن يكونـوا عل شاكلتهم وإلا فهم كافرون وما أشبه ذلـك ، المهـم أن ألقـاب السـوء التي يلقب بها أعداء الله لأولياء الله لم تزل موجـودة ولا تـزال موجـودة إلى يومنا هذا

حتى أهل البدع يلقبون أهل السنة بألقاب السوء يقولون : هؤلاء مشـبهة إذا أثبتوا الصفات على الحقيقة ، وهؤلاء حشوية وهؤلاء نوابت وما أشـبه ذلك من الكلمات التي تستوجب النفور منهم والحط والنيل مـن قـدرهم ولكن هل هذا يضر أهل الخير ؟ هو لا يضـرهم لكـن يـؤذيهم والأذيـة غيـر الضرر قد يتأذى الإنسان بالشيء ولكن لا يتضرر به فها هو الإنسان يتأذى من رائحة البصل والكراث والشيء المستقذر ومع ذلك لا يتضرر به وقـد أثبت الله لنفسـه أنـه يـؤذى مـن المنـافقين وغيرهـم ونفـى عـن نفسـه التضرر فقال الله تعالى : **((إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُـمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ))**[الأحزاب:57]وقال في الحديث القدسي : **(يؤذيني ابن آدم يسب الدهر)** وقال في الحديث القدسي : **(يـا عبادي إنكم لـن تبلغـوا ضـري فتضـروني)** المهـم أن مثـل هـذه الألقاب لا شك أنها تـؤذي المـؤمنين ويتـأذوا منهـا وتضـيق بهـا صـدورهم لكنها لا تضرهم بل هـي نافعـة لهـم لأنهـم إذا صـبروا عليهـا أجـروا علـى الصبر وإذا تأذوا بدون صبر صارت كفارة لهم لأنه لا يصـيب المـؤمن مـن هم ولا أذى ولا غم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها لا سيما وأنــه يؤذى هنا في ذات الله عز وجل فيكون هذا منقبة له ويكون هذا الإنســان الذي أوذي في اللـه قـد نـاله مـا نـال أوليـاء اللـه عـز وجـل مـن الأنبيـاء والصـديقين والشـهداء وقـد أخـبر النـبي عليـه الصـلاة والسـلام : **(أنه يبتلى الصالحون الأمثل فالأمثل)** فإذا كان فيه قوة في دينـه فـإنه يؤذى أكثر ليكون أبلغ في الامتحان وإذا كان دينه أقل فإن الله قد يرحمه فلا يحصل له من الأذية ما يحصل للآخر وقد يبتليه الله عز وجل **((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِـهِ وَإِنْ**

أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِـهِ))[الحـج:11]نسـأل اللـه السـلامة طيب .
ومن فوائد الآية الكريمة : المبالغة من أعداء الله بمـا يصـفون بـه أوليـاء الله لقولهم : **((إن أنتم إلا في ضلال مبين))** المهم كأنهم حصـروا حالهم من كل وجه في إيش ؟ فـي الضـلال المـبين كـأنه لا هدايـة فيهـم إطلاقاً ما أنتم إلا في ضلال وهذا غاية ما يكون من العدوان من هؤلاء .
ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات مشيئة الله وهي كثيرة في القرآن ولكن كل مـا ذكـر اللـه تعـالى مـن المشـيئة فهـي مقرونـة أو مقيـدة بـإيش ؟ بالحكمة إذ ليست مشيئة اللـه مجـرد مشـيئة بـل هـي مقرونـة بالحكمـة طيب القاعدة التي ذكرنا يا أخ ؟
الطالب : .....
الشيخ : أحسنت .
قال الله سبحانه وتعالى : **((وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ))** هـذا مبتـدأ الدرس الجديد **((وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْد إِنْ كُنتُـمْ صَـادِقِينَ))** يقول من ؟ يقول الكفار المكذبون بوعد الله عز وجـل ومنـه القيامـة ، و **((متى))** هنا استفهام استبعاد وتحـدي يعنـي يقولـون مسـتبعدين هـذا الأمر متحدين من يقولونه ، يقولـون : **((مَتَـى هَـذَا الْوَعْـد إِنْ كُنتُـمْ صَادِقِينَ))** و **((متى))** هذه خبر مقدم و **((هذا))** مبتدأ مؤخر وذلك لأن متى واقعة موقـع النكـرة وهـذا الوعـد معرفـة و **((هذا الوعـد))** معرفة والمعروف أن المعرفة هو المبتدأ والخبر يكون نكـرة وقـد يكـون معرفة لكن إذا وجد نكرة ومعرفة وأمكن أن تكون المعرفة هـي المبتـدأ فهي المبتـدأ لمـاذا ؟ لأن المبتـدأ محكـوم عليـه فلابـد أن يكـون معرفـة والمعرفة كما تعلمون تعين المدلول وتخصصه فلابد أن يكـون المحكـوم عليه معلوماً ولهذا قال العلماء فيـه هـذه القاعـدة هـي إذا وجـد كلمتـان إحداهما معرفة والأخـرى نكـرة وأمكـن أن تكـون المعرفـة هـي المبتـدأ فلتكن هي المبتدأ ، وتعليل ذلك أن المبتدأ محكوم عليـه فلابـد أن يكـون معلوماً متعيناً
يقول : **((متى هذا الوعد إن كنتـم صـادقين))** قـال : " **الوعـد بالبعث** " **((إن كنتم صادقين))** يكون هذا إيش ؟ اسـتبعاداً وتحـدياً ولهذا قال : **((إن كنتم صادقين))** بأننا نبعث فمتى يكـون ؟ ولاشـك أن هذا شبهة داحضة لأن الذين قالوا بالبعث لم يعينوه بيـوم معيـن حـتى يقول يالا أعطونا البعث وانظر إلـى حجتهـم فـي آيـة أخـرى يكـون أبيـن

((**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَـاتٍ مَـا كَـانَ حُجَّتَهُـمْ إِلَّا أَنْ قَـالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**))[الجاثية:25]وهل الذين قالوا : إنهم يبعثون قالوا إنكم تبعثون في الدنيا حتى يقولوا ائتوا بآبائنا ؟ أبداً ما قالوا هذا إنما قالوا ستبعثون يوم القيامة فقولهم : ائتوا بآبائنا يعني ابعثوهم لنا هذا تحد في غير محله لأنه ما قيل لهم إنك ستبعثون في الدنيا بل في يوم القيامة ، هم يقولون : ((**متى هذا الوعد إن كنتم صـادقين**)) إيش الجواب ؟ ذكر الله هذا في القرآن ((**قُلِ اللَّـهُ يُحْيِيكُـمْ ثُـمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَـى يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ لا رَيْـبَ فِيـهِ**))[الجاثية: 26]فالوعد لم يحن وقته بعد انتظروا وسوف يأتي هذا الوعد

قال الله تعالى : ((**مَا يَنظُرُونَ**)) هذا الجواب أيضاً في هذه الآية أجاب قال : ((**مَا يَنظُرُونَ**)) أي ينتظرون إلا صيحة واحدة وهي نفخة إسرافيل نظر تستعمل متعدية بنفسها وإذا كانت متعدية بنفسها فهي بمعنى الانتظار مثل ((**مَا يَنظُـرُونَ إِلَّا صَـيْحَةً وَاحِـدَةً**)) ((**فَهَـلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ**))[فاطر:43]ولها أمثلة وإن تعدت بفي صار المراد بها نظر الفكر تقول : نظر في كذا أي فكر فيه وتأمله وإذا تعدت بإلى فهي النظر بالعين تقول : نظرت إليه ومنه قوله تعالى : ((**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إلى ربها ناظرة**))[القيامة 21:22]ما ينتظر هؤلاء ((**إلا صيحة واحدة**)) وهي نفخة إسرافيل الأولى ((**صيحة**)) يعني يصاح بهم وذلك في النفخة الأولى والصور لأن هذه النفخة يكون لها صوت عظيم مزعج يفزع الخلائق قال الله تعالى : ((**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِـي السَّـمَوَاتِ وَمَـنْ فِـي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**))[النمل:87]كل الخلائق تفزع إلا من شاء الله عز وجل فيفزعون فزعاً شديداً يؤدي إلى الصعق الموت وحينئذ تكون نفخة واحدة فيها فزع وفيها صعق قال الله تعالى : ((**مَـا يَنظُرُونَ إِلَّا صَـيْحَةً وَاحِـدَةً تَأْخُـذُهُمْ**)) ((**تأخـذهم**)) كما يأخذ العدو عدوه بحيث لا تمهلهم ولا تنظرهم

((**وَهُمْ يَخِصِّمُونَ**)) بالتشديد أصله يختصمون نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد أي وهم في غفلة عنها بتخاصم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك ، أصله ((**يخصـمون**)) أصلها يختصمون يقولون : نقلت حركة التاء إلى الخاء والخاء في الأصل ساكنة فصارت يخَصمون نعم وهذا قد ذكر .. معك مصحف اللي فيه القراءات .....في الفتح لأنه قال : نقلت حركة التاء إلى الخاء والتاء مفتوحة ولم يذكر شيئاً آخر

والقـراءة الـتي فـي المصـحف ((**يخصمون**)) وكأنهـا كسـرت الخـاء مراعاة لكسر الصاد ((**يخصمون**)) فيها قراءة ثالثة ((**يخْصمون**)) فيضربون فتكون القراءة الآن ثلاثا ذكر ((**يخْصمون**)) .

الطالب : .....

الشيخ : ..... الله يهديكم هذا ((**يخصمون**)) عنـدنا ثلاث قـراءات الآن هو ذكر قراءتين فقط .

الطالب : .....

الشيخ : سبحان الله العظيم أنتم ما تستعجلون بس ، فيه قراءتين فقـط عندي و.....إيش يقول ؟

الطالب : .....وحذفت همزة الوصل للاسـتغناء عنهـا .....كمـا وقـع فـي مضارعه .....بقوله .....فقوله : نقلت حركة التاء أي بتمامهـا أو بعضـها ، فتحت هذا قراءتان فتح الخاء فتحة ثانية... وقوله : وأدغمت أي بعد قلبها صاداً وقوله : وفي قراءة إلى آخره تلخص من.. أن القراءات ثلاثة وبقي رابعة وهي فتح الياء وكسـر الخـاء وكسـر الصـاد المشـددة وعلـى هـذه القراءة حركة الخاء ليست حركة .....وإنمـا هـو لمـا حـذفت حركـة التـاء صارت ساكنة فالتقت ساكنة مع الخاء .....التقاء السـاكنين فتلخـص أن قراءتها أربعة وكلها سبعية ....مع فتح الياء وليس لنا قراءة سبعية بضمها .

الشيخ : زين اذن ...على ذلك وأنتم تحاولون أن تقولون قراءتـان فقـط نعم ولهذا أنا أنصحكم بعدم التسرع ..... وأنا أرى كما تـرون اللـي معنـا الآن القراءات التي ذكرها المؤلف قراءتان فقط وانتبهوا لها حتى تعرفوا ...قال : " **بالتشديد أصله يختصمون نقلت حركة التاء إلى الخاء وحركة التاء هي الفتحة وأدغمت في الصاد** " ما التي أدغمـت ؟ التاء فصـارت علـى هـذه القـراءة ((**يخَصمون**)) القـراءة اللـي فـي المصحف

((**يخِصمون**)) بكسر الخاء هذه قراءتان

القراءة الثالثة ((**يخْصمون فيضربون**))

القراءة الرابعة التي أشار إليها المؤلف المحشي هو أن نجعـل الخـاء لا مفتوحة خالصة ولا مكسورة خالصة نختلس الفتحـة فتكـون بيـن الفتحـة والكسرة هذه قراءة رابعة ما أشـار إليهـا المفسـر نعـم القـراءة الثالثـة أيضاً ما أشار إليها وهي قراءة موجودة في المصـحف ((**يخِصـمون**)) والقراءة الموجودة في المصحف وجهها المحشي لأن الحركة من الصـاد

أزيلت من التاء فصارت ساكنة فلما صارت ساكنة حركت الخـاء بالكسـر للالتقاء الساكنين على الأصح ، فالمهم اللي عندنا المؤلـف يقـول رحمـه الله : " **وهم في غفلة عنها بتخاصم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك** " فالصيحة إذاً أخذتهم على غرة وهم غافلون عنها لاهون بـأمورهم ودنياهم يتخاصم بعضهم مع بعض وهذا يدل على عدم ائتلاف قلوبهم في تلك الساعة وأنهم من جنس البهائم ولهذا لا تقوم الساعة إلا على شـرار الخلق نعم طيب ولم ينقل الله عز وجل سوى التخاصم كأن أكثر مـا هـم عليه في ذلك الوقت هو التخاصـم والتبـاغض والتـدابر لأنهـم مـا عنـدهم إيمان هم شرار الخلق في معاملة الله وشرار الخلق فـي التعامـل فيمـا بينهم

وفـي قـراءة ((**يخْصمون فيضـربون**)) أي يخصـم بعضـهم بعضـاً فيكون الظهور للغالب في الخصومة لا للحق لأنهم في هرج ومرج وليس عندهم إيمان ولا مروءة ولا خلق هم شـرار الخلـق فكـانت هـذه والعيـاذ بالله حالهم عند قيام الساعة ، وإن شاء الله بقي فيه كلام .

تعنت هؤلاء ومكابرتهم ويقولون : ((**متى هذا الوعد**)) فيسـتفاد مـن ذلك أن بني آدم يصل إلى حد التحدي لرب العـالمين ولمـن بلـغ رسـالته لقولهم : ((**ويقولون متى هذا الوعد**)) .

ومن فوائدها : أن الرسل بلغوا البلاغ المبين وبينوا للناس أنهم سـيبعثون ويجازون وأنهم وعدوا بذلك لقوله :

((**ويقولون متى هذا الوعد**)) .

ومن فوائدها : أن هـؤلاء الـذين قـالوا هـذا القـول تحـدياً واسـتبعاداً لـم يصدقوا الرسل بل كذبوهم وليتهم نظروا في الأمر وفكـروا لقـوله هنـا : ((**إن كنتم صادقين**)) .

ومن فوائد الآية التي بعدها : ((**ما ينظرون إلا صيحة**)) : إثبات علم الله عز وجل وسمعه لأن قوله : ((**ما ينظرون**)) جواب قولهم نعـم : ((**متى هذا الوعد**)) .

ومن فوائدها : تهديد هؤلاء المكذبين بهذه الصيحة التي تأخذهم .

ومن فوائدها : بيان قدرة الله عز وجل حيـث يؤخـذ هـؤلاء كلهـم بصـيحة واحدة لقوله : ((**إلا صيحة واحدة**)) وهنا أكد الصـيحة بواحـدة ليـبين أنه لا يعيدها مرة ثانية بل بأول مرة يؤخذون طيب .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن هذه الصيحة تأتيهم بغتة لقـوله : ((**وهـم يخصمون**)) غافلون عنها .

ومن فوائد الآيـة الكريمـة أيضـاً : بيـان حـال هـؤلاء الـذين تقـوم عليهـم القيامة وتأخذهم الصيحة وهـي الخصـوم والتنـازع ممـا يـدل علـى سـوء أحـوالهم وسـوء أخلاقهـم وأنـه لا هـم لهـم إلا هـذا الأمـر إلا المخاصـمة والمنازعة شحاً وطمعـاً فـي الـدنيا وغفلـة عـن الآخـرة ولهـذا جـاء فـي الحديث الصحيح (**أن الساعة لا تقوم إلا على شـرار المخلـوق**) وهؤلاء من المعلوم أنهـم يـأكلون ويشـربون لكـن لـم يـذكر اللـه إلا هـذا التخاصم لبيان سوء حالهم في ذلك الزمن .

ثم قال الله عز وجل ، هـذا مبتـدأ الـدرس الجديـد ((**فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَـى أَهْلِهِـمْ يَرْجِعُـونَ**)) يعنـي إذا أخـذتهم لـم يتجـازوا مكـانهم بـل ولا يسـتطيعون الكلام لشـدة مـا هـم فيـه مـن الفـزع ((**لا يستطيعون توصية**)) يعني لا يستطيعون أن يوصوا إلى أهليهم وإلـى صغارهم وإلى سفهائهم لأن الأمر عظيم لا يتكلمون فيه

((**ولا إلى أهلهم يرجعون**)) لأنه لا يتجاوزون مكانهم فلا هـم الـذين وصلوا إلى أهليهم وشاهدوهم ولا هم الـذين اسـتطاعوا أن يوصـوا فيهـم أحداً وهذا يدل على أن الأمر الذي يأخذهم أمر عظيم وهو كذلك لأن الله تعالى يقول : ((**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّـمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَـوْهُ دَاخِرِيـنَ**))[النمـل: 87].

ثـم قـال عـز وجـل : ((**ولا إلى أهلهـم يرجعـون**)) مـن أسـواقهم وأشغالهم بل يموتون فيها

((**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ**)) وهو قرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين أربعون سنة ((**ونفخ في الصور**)) النفخ في الصور يـذكره اللـه عـز وجـل دائمـاً بالبنـاء لمجهـول ((**نفخ**)) لأن الإبهـام أبلـغ فـي التهويـل والتعظيـم ممـا إذا ذكـر الفاعـل ولهـذا تجـدون قـول اللـه تعـالى : ((**فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ**))[طه:78]أبلغ مما لو بين هـذا الـذي غشيهم فالإبهام أحياناً يفيد التهويل والتعظيم هنا أبهـم النافـخ وفـي كـل الآيات مبهمة النافخ مبهم لبيان عظم هذا الأمر وقد ثبت عن النبي صـلى الله عليه وسلم أن الذي وكل بالنفخ في الصور هو إسـرافيل أحـد حملـة العرش قـال المؤلـف : " **النفخة الثانيـة للبعـث وبيـن النفخـتين أربعون سنة** " ((**فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ**)) إلى آخره ((**نفخ فـي الصور**)) للبعث وقد ذكر الله تعالى النفـخ فـي الصـور فـي هـذه الآيـة وفي سورة الزمر وفي سورة النمل وكذلك في سورة الأنعـام وغيرهـا ،

المهم أن العلماء اختلفوا في النفخة هل هن ثلاث أو هما اثنتين ؟ منهم من قال : إنها اثنتان ، ومنهم من قال : إنها ثلاث ، والظاهر أنهما اثنتان فقط لكن الأولى منهما فيها فزع وصعق والثانية فيها بعث وهذا ظاهر ما ذهب إليه المؤلف حيث قال : " **النفخة الثانية للبعث** " فتكون نفختان لكن الأولى منهما يحصل فيها فزع عظيم ثم موت

وقال بعض العلماء : إنها ثلاث النفخة الأولى فزع والنفخة الثانية صعق وموت والنفخة الثالثة بعث ، في سورة الزمر قال تعالى : ((**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**))[الزمر: 68]فذكر اثنتين ، في سورة النمل ((**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**)) ثم ذكر يوم القيامة وطوى ذكر الثانية ، فيكون هذا الفزع قبل الموت ثم الموت ثم البعث ، قال : ((**نفخ في الصور**)) والصور قرن عظيم واسع ورد في الحديث أن سعته كما بين السماء والأرض ينفخ فيه للبعث فتخرج الأرواح منه وتأوي كل روح إلى جسدها الذي تعمره في الدنيا لا تخطئه على كثرة الأرواح الخارجة من هذا الصور لا تخطئ روح جسدها الذي كانت تعمره في الدنيا حتى لو قدر أن عشرات الناس دفنوا في مكان واحد فإن روح كل واحد لا تأوي إلا إلى جسده تقدير العزيز العليم جل وعلا قال الله تعالى : ((**فإذا هم**)) أي المقبورون

((**من الأجداث**)) القبور ((**إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ**)) يخرجون بسرعة قوله : ((**فإذا هم**)) الفاء عاطفة و

((**إذا**)) حرف دال على المفاجئة و ((**هم**)) مبتدأ الجملة فيها استئناف خبره و ((**من الأجداث**)) وإلى ربهم متعلقة بـــ((**ينسلون**)) يقول الله تعالى : ((**فإذا هم**)) يعني بمجرد ما يحصل النفخ لا يحصل لوقت بينهما أي بين النفخ في الصور والخروج من القبور ، ((**فإذا هم من الأجداث**)) من القبور يخرجون إلى الله تعالى مسرعين وقوله : ((**فإذا هم من الأجداث**)) الضمير في ((**هم**)) قال المؤلف : " **أي المقبورون** " من أين علمنا أن المراد المقبورين ؟ لقوله : ((**من الأجداث**)) لأن ((**الأجداث**)) هي القبور وقوله : ((**فإذا هم من الأجداث**)) هذا بناء على الأغلب الكثير لأن من الناس من لا يكون في جدث بل يلقى في اليم أو يلقى في الأرض على

ظاهرها أو تأكله السباع أو يحترق وتذروه الرياح لكن الغالب والأكثر أنهم في القبور وقوله : **((إلى ربهم))** فيها تقدير المعمول لإفـادة الحصـر يعني لا ينسلون إلى دنيا أو إلى قريب أو إلى صديق وإنمـا ينسـلون إلـى الله عز وجل والنسلان معناه السـير بسـرعة كمـا قـال اللـه تعـالى : **((وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ))**[الأنبياء:96]أي يخرجون بسرعة .

ومن فوائد الآية الكريمة التي قبل هذه وهذه أيضاً : أن النفخ في الصـور إذا وقع .

ومن فوائد الآية الكريمة توبيخ هؤلاء فيقال لهم ...
ومن فوائد الآية الكريمة : أن الله تعالى صادق الوعد لا يخلفه وذلك لأن إخلاص الموعد يكون من أحد أمرين إما الكذب وإما العجز وكلاهما منتف عنه عز وجل فلا كذب في وعده ولا عجز...ولهذا فهو عز وجل لا يخلف الميعاد لكمال صدقه وقدرته .
ومن فوائد الآية الكريمة : صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام فيما أخبروا به من البعث وغيره لقوله :
((وصدق المرسلون)) .
ومن فوائدها : أن المشركين كانوا يقرون بالحق لكن متى ؟ والإقرار بالحق بعد مشاهدته لا ينفع لأن الإقرار بالحق إذا لم يكن غيباً لم يكن الإنسان مؤمنا بالغيب بل كان مؤمناً بالشهادة فإن قلت قال الله تعالى : **((ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ))** [الأنعام:23]^فهنا أنكروا الشرك مع أنهم كانوا مشركين بل إنهم يقرون بشركهم كما قال تعالى : **((يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا))**[النساء: 42]^فكيف الجمع ؟ الجمع بينهما أن يقال : إن يوم القيامة ليس لحظة ولا ساعة قليلة بل هو خمسون ألف سنة فهم يتقلبون أحياناً يقرون بكل ما عملوا وأحياناً ينكرون إذا رأوا نجاة المؤمنين قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين لعلهم ينجون كما نجا غيرهم ولكن يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وحينئذ يقرون ولا ينكرون ...نعم .
الطالب : ...
الشيخ : قراءتان لا مثل يقال صدّق ويقال صدَق لا ، لا ما هي قراءة نعم .
الطالب : ...
الشيخ : الراجح أنها اثنان
الطالب : طيب والنفخة التي قال عنها عليه الصلاة والسلام أنه يرى موسى .
الشيخ : هذه نفخة الصعق .
الطالب : الصعق .
الشيخ : أي نعم .
الطالب : ...
الشيخ : لا ، أبو هريرة قال : " أربعون " بينهما أربعون فسئل أبي هريرة فقال : " أبيت " لكن لعل المؤلف أخذها من دليل آخر وإلا أبا هريرة قال الحديث أبى أن يفصح بشيء يعني أنه سمع الرسول لكن ذكر ابن القيم في النونية أن بينهما أربعون سنة نعم أو أربعون يوماً ...أنا نسيت في النونية ذكر أربعمائة وإلا أربعون سنة نعم .

الطالب : بسم الله الرحمن الرحيم .
الشيخ : ((**نفس شيئاً**)) هـذا مبتـدأ الـدرس ، لأن الآيـات الـتي قبلهـا تكلمنا عليها العام الماضي نعم .
الطالب : ...
الشيخ : الفوائد من أين ؟
الطالب : ...
الشيخ : طيب ما نخليها مع الفائدة هذه أحسن شويه
قال الله تعالى : ((**فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**)) ((**اليوم**)) يعنـي يـوم القيامـة حيـن يحضـر النـاس للفصل والقضاء فأل هنـا للعهـد الحضـوري يعنـي ففـي حضـرتهم لـذلك اليوم حينما يحضرون لا تظلم نفس شيئاً
وقوله : ((**لا تظلم نفس شيئاً**)) أي لا تنقـص والنقـص يكـون بأحـد أمرين... إما بزيادة السيئات وإما بنقـص الحسـنات وكلا الأمريـن منتـفٍ كما قال الله تعالى : ((**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُـؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا**))[طـه:112]^أي لا يخـاف هضـماً مـن حقـه في الحسنات ولا ظلمـاً بزيـادة السـيئات ، يقـول : ((**لا تظلم نفـس شيئاً**)) ((**نفس**)) نكرة في سـياق النفـي فتشـمل كـل نفـس حـتى الكافر يكون عذابه على حسب عمله ولهذا قال : ((**وَلا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**)) يعني لا تكافئون على أعمالكم إلا ما كنتم تعملون
قال المؤلف رحمه الله : " **إلا جزاء مـا كنتـم تعملـون** " وإنمـا قـدر جزاء لئلا يتسلط الفعل على نفـس العمـل والعمـل قـد مضـى وانقضـى والذي يوجد في يوم القيامة هو الجزاء ولهذا قال : " إلا جزاء مـا كنتـم " لا نصف العمل فإن العمل كـان فـي يـوم الـدنيا ليـس فـي يـوم القيامـة والذي في يوم القيامة هو الجزاء ولهذا قدر المؤلف : " إلا جزاء ما كنتـم تعملـون " فـإن قـال قائـل : كلام المؤلـف هنـا أفلا يكـون منتقضـاً لأنـه كالاستدراك على كلام الله عز وجل
فالجواب على هذا أن يقال لا ليس بمنتقض وليس مقتضـاه الاسـتدراك على كلام الله لأن المؤلف أراد أن يفسر المعنى المراد ولم يـرد أن فـي الكلام نقصاً وقد علم في البلاغة أن الإيجاز نوعان : إيجاز حـذف وإيجـاز قصر ، إيجاز الحذف معناه أن تكون الجملة فيها شيء محذوف يعلم مـن السياق ، وإيجاز قصر أن تكون الجملـة ذات كلمـات يسـيرة ولهـا معـان كثيرة فعلى كلام المؤلف يكون في الكلام إيجاز حذف
طيب فإذا قال قائل : إن هذا التركيب الذي ذكره المؤلف فيه شيء مـن الركاكة لا تجزون إلا جزاء ما كنتم ما تعملون ، إذا قـورن بقـوله : ((**وَلا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**)) فالجواب نعـم القـرآن أفصـح بلا شـك وأبين وأسد لأن التعبير عن الجزاء بالعمل أبلغ فـي التـأثير علـى النفـس فإذا علم الإنسان أنه لا يجزى يوم القيامة إلا عمله فإنه سوف يزدجر عن

المحرمات وسوف يقوى على فعل المأمورات لأنـه يعلـم أن عملـه هـذا نفسه هو الذي سيجزاه يوم القيامة فالذي يظهـر لـي أن الكلام لا يحتـاج لهذا التقدير الذي ذكره المؤلف لأن جعـل الشـيء الـذي هـو العمـل هـو الذي يجزى به الإنسان أبلغ في إثارة النفس كما قررنـاه وقـوله : **((إلا مـا كنتـم تعملـون))** **((كنتـم تعملـون))** مـتى ؟ فـي الـدنيا و**((تعملون))** هذه خبر كان وتحتاج إلى الجملة تحتاج إلى عائـد علـى الموصوف علـى **((ما))** لأنـه قـد تقـرر فـي علـم النحـو أن كـل اسـم موصول يحتاج إلى عائد يربطه بصلته كما أن كل خبر للمبتدأ يكون جملة يحتاج إلى رابط يربط بين الجملة الخبرية وبين المبتدأ التي هي خبر عنه هنا نقول : إن العائد محذوف أي ما كنتم تعملونه ، العمل يطلق بلا شـك على الفعل ويطلق أيضـاً علـى القـول ويطلـق علـى عمـل القلـب وهـو الركون إلى الشيء والاطمئنان به فإذا أطلق العمـل شـمل هـذه الثلاثـة هي :

يطلق على الثلاثة كلمة عمل تكون للثلاثة نعم : عمل القلب وهو ركونه إلى الشيء ورضاه به وطمأنينته به هذا يسمى عمل القلب ، قـول يعنـي عمل اللسان ، فعل عمل الجوارح هذا إذا أطلق العمل أما إذا قيل عمـل وقول أو قول واعتقاد وعمل فإن العمل يفسر هنا بمـاذا ؟ بالفعـل الـذي هو عمل الجوارح وهذا يكون كثيراً في اللغة العربية وفي القرآن وهو أن الشيء إذا أفرد يكون شاملاً وإذا قـرن بغيـره صـار خاصـاً لأنـه إذا قـرن بغيره صار الكلام على جهـة التقسـيم والتقسـيم لابـد فيـه م ن مقسـم ، المقسم يكـون كـل قسـيم منـه ضـداً للقسـيم الآخـر والخلاصـة الآن أن المراد بالعمل هنا إيش ؟ عمل القلب والجوارح واللسان الذي هو القول يشمل كل هذا لأن هذا كله يجازى عليه الإنسان يوم القيامـة طيـب فـإذا قال قائل هل يشمل العمل الكـف ؟ أي إذا تـرك الإنسـان المعصـية هـل يقال : إن هذا عمل يجزى عليه ؟ الجـواب نعـم يقـال : إنـه عمـل يجـزى عليه ، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام : **(من هم بالسيئة فلـم يعملها كتبها الله حسنة كاملة)** لأنه تركها لله فما وجه الترك عملاً ؟ لأن الترك كف النفس عن جماحها وإقدامها فهو عمـل وحينئـذ نقـول : الكلمة أعني يعملون تشمل أربعة أشياء هي : فـإنه عمـل ويجـزى عليـه الإنسان **((إلا ما كنتم تعملون))** .

ثم قال تعالى : **((إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُـغُلٍ فَـاكِهُونَ))** ثم قال : **((وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ))** لما ذكر الله عز وجل أن ذلك اليوم يجازى فيه العامل بعمله ذكر أصناف العاملين وهم صنفان :

الصنف الأول : أصحاب الجنة .

والصنف الثاني : المجرمون ، المجرم هو مقـترف الـذنب كمـا سـيأتي ، أصحاب الجنة لم يذكر عملهم لكنه ذكر فـي آيـات كـثيرة عملهـم الـذين

يكون سبباً لدخولهم الجنـة قـال : **((إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّـةِ الْيَـوْمَ فِـي شُغُلٍ فَـاكِهُونَ))** **((أصـحاب))** جمـع صـحب وصـحب اسـم جمـع صاحب والصاحب هو الملازم لمصحوبه ولا يسمى الشيء صاحباً للشيء إلا بعد الملازمة حسب ما يقتضيه العرف إلا شيئاً واحداً اسـتثناه العلمـاء وهو صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فـإن صـحبته تثبـت بمجـرد اللقاء ولو لحظة فكل من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسـلم مؤمنـاً بـه ومات على ذلك ولو لحظة فهو صحابي له طيب

((الجنة)) مـر علينـا أنهـا فـي اللغـة العربيـة اسـم للبسـتان الكـثير الأشجار وسمي بذلك لأنه لكثرة أشجاره يجن من فيه وما فيه أيضـاً مـن فيه وما فيه ، يجن بمعنـى إيـش ؟ بمعنـى يسـتر لأن هـذه المـادة الجيـم والنون كلها تدور علـى هـذا المعنـى وهـو الاسـتتار ومنـه سـمي الجنيـن لاستتاره في بطن أمره وسمي الجـن لاسـتتارهم عـن الأعيـن ,وسـميت الجنة لأن المقاتل يستتر بها عن السهام فالجنة إذاً في اللغة كل بســتان كثير الأشجار سمي بذلك لأنه يجن من فيه وما فيه ، من فيه من الساكن وما فيه من الأشجار الصغيرة التي تكون تحت الأشجار الكـبيرة هـذا هـو أصل معنى هذه الكلمة في اللغة لكن معناها شرعاً هي الدار التي أعدها الله سبحانه وتعالى للمتقيـن **((وَسَارِعُوا إِلَـى مَغْفِـرَةٍ مِـنْ رَبِّكُـمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِيــنَ))**[آل عمــران: 133]^الجنة هي الدار التي أعدها الله تعـالى للمتقيـن فيهـا مـا لا عيـن رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يصح أن نقول إن الجنـة في الآخرة هي البستان الكثير الأشجار لو قلت هكذا لنزلـت مـن قيمتهـا في نفوس الناس لكن إذا قلت هي الدار التي أعـدها اللـه للمتقيـن فيهـا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر عل قلب بشـر صـار ذلـك حـافزاً للعمل لهـا وقـوله : **((اليوم))** يعنـي يـوم القيامـة وأل هنـا للعهـد أي العهود ؟ للعهد الذكري لأن سبق ذكره وأل تكون العهد الذكري إذا سـبق مدخولها أو إذا سبق ذكر مدخولها ، ومنه قوله تعالى : **((كَمَـا أَرْسَـلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ))**[المزمــل 15:1 6]^فـإذا كـان المـدخول أل سـبق ذكـره فهـي للعهـد الـذكري **((إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ))** الجار والمجرور هو خبر إن

((في شغل)) يقول المؤلف : " بسكون الغين وضـمها " **((شغْل))** و **((شغُل))** القراءتان سـبعيتان أو أحـداهما شـاذة ؟ سـبعيتان لأن المؤلف رحمه الله من طريقه أنه إذا قال في قـراءة وفـي قـراءة فهمـا متساويتان أي كلاهما قراءة أو كلتاهما قراءة سبعية أما إذا قال : وقــرئ فإن هذه القراءة تكون شاذة فليعلم اصـطلاحه حـتى لا يشـتبه نعـم ، مـا رأيك في كلام المؤلف هذا وفي قـراءة ؟ تعلـم أن هـذه القـراءة سـبعية يعني أنها من القـراءات الصـحيحة الـتي إن شـئت فـاقرأ بهـا وإن شـئت فاقرأ القراءة الثانية فيجوز لنا أن نقول : **((إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَــوْمَ**

فِي شُغْلٍ فـاكهون)) ((إِنَّ أَصْـحَابَ الْجَنَّـةِ الْيَـوْمَ فِـي شُـغُلٍ فاكهون)) وهل الأفضل أن نقتصر على قراءة واحدة أو أن نقـرأ تـارة بهذه وتارة بهذه ؟ الصحيح أن الأفضل أن نقرأ بهذه تارة وبهـذه تـارة لأن الكل ثبت عن النبي صلى الله عليـه وسـلم ونحـن إذا بقينـا علـى قـراءة واحدة هجرنا بقية القـراءات مـع أنهـا شـرعية ثابتـة عـن الرسـول عليـه الصلاة والسلام فالأولى أن تقرأ مرة بهذه ومرة بهذه إلا أمام العامــة فلا تفعل لأنـك إذا قـرأت بقـراءة مخالفـة عمـا بيـن أيـديهم مـن المصـاحف فسوف يكون في ذلك فتنة ويكون في ذلك زعزعة للثقة في كتـاب اللـه عز وجل لكن إذا كنت تقرأ لنفسك أو تقرأ بيـن طلبـة علـم فالأفضـل أن تقـرأ أحيانـاً بهـذا وأحيانـاً بهـذا ، قـال المؤلـف : **((فـي شـغل))** " **بسكون الغين وضمها عما فيه أهل النار مما يتلذذون بــه** " إذاً هم منشغلون عما فيـه أهـل النـار ولـو أن المؤلـف جعلهـا مطلقـة علـى إطلاقها لكان أولى هم في شغل عن كل شـيء بمـا يتلـذذون بـه ، يعنـي كأنهم لا يفكرون في أي شيء آخر لأن هذا الـذي هـم فيـه مـن نعيـم قـد إيش ؟ شغلهم وانشغلوا به عن غيره وهــذا كقــوله تعــالى : **((خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَـا حِـوَلًا))**[الكهـف:108]^أي لا يبغـون تحـولاً أو نزولاً عما هم فيه حتى النازل منهم يرى أنه أكمل الناس نعيمـاً فـالأولى أن نطلق ونقول في شغل أي أنهم مشتغلون بما هم فيه من النعيـم عـن كل شيء لا ينظر أحدهم أو لا ينتظـر أحـدهم نعيمـاً أرقـى ممـا هـو فيـه بحيث يرى أن نعيمه ناقص ولا يلتفت إلى شـيء أبـداً **((في شـغل))** قـال المؤلـف : " **كافتضاض الأبكار** " الكـاف هنـا للتشـبيه وليسـت للحصر يعني من جملة مـا ينشـغلون بـه التلـذذ بافتضـاض الأبكـار يعنـي النساء من نساء الدنيا وكذلك الحور العين وإنما مثل المؤلف بذلك لقوله : **((هم وأزواجهم فـي ظلال))** قـال : " **كافتضـاض الأبكـار لا شغل يتعبون فيه** " لأن الجنة لا نصب فيها نعم معلوم أن هذا الشــغل ليس شغلاً يتعبون فيه ولكنه شغل يستريحون فيه لأنه شـغل فيمـا يسـر وفيما يحصل به التنعم قال : **((فاكهون))** ناعمون خـبر ثـانٍ لـ**((إن))** والأول **((في شغل))** **((فاكهون))** خـبر ثـان لــ**((إن))** أيــن الأول ؟ **((فــي شــغل))** الجـار والمجـرور فتكـون **((إن))** هنـا لهـا خبران وهل يجوز أن يتعدد الخبر ؟ الجواب نعم يجوز أن يتعدد الخبر قال الله تعالى : **((وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذو العرش المجيـد * فعـال لما يريد))**[البروج 13:14]^هذا خمس خبرات فالخبر يجـوز أن يتعـدد لكن تعدد الخبر قد يكون لكل كلمة منه معنى مستقل وقد تكون كلمتـان في معنى كلمة واحدة فمثلاً إذا قلت : هذا البرتقال حلو حـامض ، هاتـان كلمتــان لكنهــا بمعنــى كلمــة واحــدة أي مــز يعنــي جــامع بيــن الحلاوة والحموضة لكن لو قلت : فلان قـائم مسـرور هـل الخـبران بمعنـى خـبر واحد ؟ لا كل واحد منهما له معنى مستقل بـدليل أن أحـدهما ينفـرد عـن

الآخر بمعنىً مستقل ، الخلاصة الآن أننا فهمنا من كلام المؤلف أن الخبر يجوز أن يتعدد سواء كان منسوخاً كما في الآية أو غير منسوخ

قال : ((**هم**)) مبتدأ و ((**أزواجهم**)) معطوفة عليه ((**في ظلال**)) خبر المبتدأ ((**هم**)) أي أصحاب الجنة و ((**أزواجهم**)) أي أصحاب الجنة جمع زوج وتطلق على الذكر والأنثى فيقال هذا زوج فلانة ويقال هذه زوج فلان لكن أهل العلم قالوا : يجب التفريق وإن كان لغة ضعيفة في باب الفرائض فيقال زوجة للأنثى ويقال زوج للرجل لماذا ؟ لئلا يشتبه على المتعلم كون المسألة المتوفى فيها زوج ذكر أو زوج أنثى وإلا فاللغة العربية الفصحى حذف التاء من زوج سواء كان للأنثى أو للذكر

((**هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ**)) جمع ظلة أو ظل خبر يعني أن ((**في ظلال**)) خبر لمبتدأ ((**هم**)) و ((**ظلال**)) جمع ظلة أو جمع ظل والمعنى لا يختلف كثيراً فهم في ظلال ليس عندهم شمس تصهرهم أو تسخن الجو وإنما هو أنوار قال بعض العلم : " **كالنور الذي يكون بين طلوع الفجر وطلوع الشمس** " ، نور ساطع ولكنه لطيف لأن ألطف ما يكون هو مثل ذلك الوقت فهو ظل ظليل ((**عَلَى الأَرَائِكِ**)) جمع أريكة وهو السرير في الحجلة أو الفرش فيها ((**على الأرائك**)) خبر مقدم و ((**مُتَّكِئُونَ**)) مبتدأ مؤخر ويجوز ما ذكر المؤلف فيما بعد قال : ((**على الأرائك**)) " **جمع أريكة** " الأريكة هي السرير في الحجلة أو الفراش فيها ولكن الأكثر أنها السرير والحجلة عبارة عن بيت صغير في وسط البيت الكبير يعني أنها بمنزلة الحجرة الخاصة للمنام فيما نعرفه بيننا فالدار مثلاً تشمل حجراً كثيرة متعددة والحجرة الخاصة بالنوم هي مثل الحجلة خيمة صغيرة تكون خاصة بالرجل وأهله أو بالرجل وحده أو بالمرأة وحدها ((**متكئون**)) خبر ثانٍ إيش ؟ متعلق على يعني على الأرائك متعلقة بـ ((**متكئون**)) وعلى كلام المؤلف يكون المبتدأ ((**هم**)) و ((**في ظلال**)) خبر و ((**متكئون**)) خبر ثانٍ فالجملة على كلامه واحدة ولا متعدية ؟ الجملة واحدة ((**هم في ظلال متكئون**)) الجملة واحدة لكنها متعددة الخبر طيب و ((**على الأرائك**)) على كلام المؤلف متعلقة بإيش ؟ بـ((**متكئون**)) وفائدة أو مناسبة تقديمها على عاملها مراعاة الفواصل ، فواصل الآية وأنتم تعلمون أن القرآن الكريم يكون فيه مراعاة الفواصل حتى وإن أدى إلى تقديم المفضول على الفاضل كما في قوله تعالى في سورة طه ((**رب هارون وموسى**)) فقدم هارون على موسى مع أن موسى أفضل مراعاة للفواصل لأن الفواصل إذا كانت متفقة كان لها تأثير في الاستماع والإصغاء ، والقرآن أبلغ الكلام

هذا ما ذهب إليه المؤلف ولنا رأي ثاني في المسألة في الإعراب أن تكون ((**على الأرائك**)) خبر مقدم و ((**متكئون**)) مبتدأ مؤخر

وعلى هذا فيكون لدينا جملتان جملة ((**هم وأزواجهم في ظلال**)) نعم والثانية : متكئون على الأرائك وما ذكرناه أعم لأن ماذكرناه يشمل أن يكون متكئين على الأرائك مع زوجاتهم أو بدون زوجاتهم وعلى كلام المؤلف يقتضي أن يكون متكئين على الأرائك مع الزوجات .
ثم قال عز وجل ((**لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ**)) ما يتمنون .
الطالب : ...
الشيخ : متعلق على يعني أن ((**متكئون**)) تعلقت به ((**على الأرائك**)) .
((**لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ**)) .
الطالب : ...
الشيخ : تفصيل ، تفصيل ، ((**لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ**)) إلى آخره ((**لهم**)) أي لأصحاب الجنة ((**فيها**)) أي في الجنة ((**فاكهة**)) أي ما يتفكهون به وكل أكل أهل الجنة فاكهة لأنهم يأكلونه على سبيل التفكه لا على سبيل الحاجة والضرورة ، نحن في الدنيا نأكل أحياناً تفكه وأحياناً للحاجة وأحياناً إيش ؟ للضرورة أما في الجنة فكل ما نأكله للتفكه لأنه ليس هناك حاجة ولا ضرورة ولهذا يأكل الإنسان الأكل ويخرج هذا الأكل رشحاً يعني مثل العرق أطيب من ريح المسك وليس فيها بول وليس فيها غائط فإذا قال قائل : أنت إذا جعلت الفاكهة اسماً لكل ما يأكلون لأنهم يأكلونه على سبيل التفكه فكيف تجيب على قوله تعالى : ((**فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ**))[الرحمن:68]^؟ والأصل في العطف أن يكون للمغايرة ، والنخل والرمان يؤكل ولا لا ؟ يؤكل والجواب يعلم مما ذكرنا آنفاً وهو أن الشيء إذا أفرد صار له معنى عام وإذا قرن بغيره صار له معنى خاصا مقابلاً لما قرن معه لأن التقسيم يقتضي هكذا أن يكون المقسم إليه من طرف غير المقسم إليه من الطرف الآخر فنقول : النخل والرمان نص عليهما بخصوصهما لخاصية فيهما وإلا فهما من الفاكهة ويكون هذا من جنس عطف الخاص على العام ، وعطف الخاص على العام في اللغة العربية كثير مثل أحمد .
الطالب : ...
الشيخ : إي وغير الآية يعني ما يمكن أن تستشهد بما تحكم به .
الطالب : ...
الشيخ : لا هذه من باب عطف العام على الخاص ، نريد عطف الخاص على العام ، عادل .
الطالب : ...
الشيخ : ((**تنزل الملائكة والروح فيها**)) والروح جبريل وهو من الملائكة طيب قال : ((**لهم فيها فاكهة**)) ((**ولهم**)) قال المفسر : ((**فيها ما يدعون**)) " **يتمنون** " كل ما يتمنونه فإنه حاصل بل إن الله يعطيهم أكثر مما يتمنوه لأن أمنية الإنسان محدودة قد يرى أن هذا

أكبر شيء وفيه شيء آخر أكـبر منـه ولكنـه لا يـدركه ، كنـا نقـول ونحـن صغار المليـون أكـثر شـيء ، أكـثر شـيء ويـن اللـي عنـده مليـون صـار المليون أكثر شيء ففوقه أشياء فوقه بلايين وفـوق البلاييـن بعـد أشـياء ثانياً فالمهم أن الإنسان في الآخرة يعطى كل ما يتمنى بل يزاد علـى مـا تمنى فإذا قال قائل : هل .

أن هذا أمر محتمل يحتمل أن الإنسان إذا اشتهى شيئاً حصل له ويحتمل أنه لا بد أن يدعيه والدعوى بمعنى الطلب لابد أن يطلبه وفائـدة الطلـب إظهار صدق الإرادة كما أن الفعل يدل علـى صـدق الإرادة فلـو أن أحـداً من الناس قال : أنا أريد أن أزور فلانـاً هـذه الإرادة ، فـإن هـذا الإرادة لا تظهر إلا إذا زاره بالفعل وإلا فما دام لم يقم بالفعل فإن الإرادة قد تكون غير صادقة على كل حال يكفينا أن الله عز وجـل يقـول : **((وَفِيهَا مَـا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ))**[الزخرف:71] فإن ظـاهر الآيـة أن كل ما تشتهيه وإن لم تطلبه يحصل لك .

قال الله عز وجل **((سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ))** **((سلام))** قال المؤلف : " مبتدأ " **((قولاً))** أي بالقول خبره **((مـن رب رحيـم))** بهم أن يقـول لهـم : سـلام عليكـم ، يعنـي معنـى كلام المؤلـف أن اللـه سبحانه وتعالى يقول لهم : سلام ، و**((قول))** هنا منصوب على كلامـه بنزع الخافض لأنه قال : " **أي بالقول** " والنصب بنزع الخافض في غير أنّ وأنْ ليس بمطرد بل هو سماعي يعني إن سـمع عـن العـرب النصـب عمل به وإن لم يسمع فإنه لا يعمل به وقاعدة ذلك أنه قـد يحـذف الجـار يعني حرف الجر فإذا حذف حرف الجر صار مدخوله منصوباً ويقال فيه : منصوب بإيش ؟ بنزع الخافض ولكنه كما قال ابن مالك :

" **بأن وأن يطرد مع أمن لبس كعجبت أن يدي** "

أظنكم وجدتم هذا فيما سـبق ، بـأن وأن يطـرد لكـن بشـرط أن يـؤمن اللبس كعجبت أن يد على كل حال المؤلف مشـى علـى أن **((قـولاً))** منصوب بنزع الخافض أي يقال لهم : سلام عليكم وهذا القول صادر مـن رب رحيم وسيأتي إن شاء الله الكلام على الآية في الدرس القادم نعم .

الطالب : ...

الشيخ : الجنة الـتي فيهـا آدم مختلـف فيهـا هـل هـي جنـة الخلـد أو جنـة بستان جنة دنيا ؟ وعلى القول أنها على جنة الخلد وهو الذي أوردت فيـه الاشكال يقال : إن هذا مستثنى وربما يحـدث اللـه أنواعـاً وأصـنافاً مـن النعيم لم تكن موجودة في عهد آدم ، نعم يا عبد الوهاب .

الطالب : ...؟

الشيخ : بلى .

الطالب : ...

الشيخ : لا يرى أنه أعلى منه لكنه لا يطمع في ذلك ولا يتحسر ويندم أنــه لم يكن في مرتبته ، نحن إذا مررنا بالقصور كل واحد يقول والله بيتي ما هو شيء عند هذا القصر ويتمنى أن له هذا إذا كان مـن أهـل الـدنيا وامـا الذي من أهل الآخرة ما يهمه ، لكنه هناك لا يحصل بمثل هذا أبداً نعم .

الطالب : ...؟

الشيخ : نعم ، نعم ، نحن ذكرنا مثل هذا تماماً لقوله : **((فيهـا فاكهـة ونخل ورمان))** وأجبنا عنه .

الطالب : ...

الشيخ : أبداً اللحم أيضاً نتفكه به أنت الآن عندما يقدم لك لحم جمل قـد بلغ في السن عتياً ولحم طير صغير مـن ... مـا يكـون إيـش يكـون لحـم الطير بالنسبة للحـم الجمـال ؟ نعـم فاكهـة تتفكـه بـه لأن لحـم الجمـال تمضغه بالساعتين ما فتته فضلاً عن أن تسيغ ابتلاعه ، أما هذا بمجرد مـا يقبل على فمك يتفتت ويدوب بينهما فرق نعم.

الطالب : ...

الشيخ : الشك إذا ركن إليه أما إذا طرده ولم يركـن إليـه واسـتعاذ بـالله من الشيطان الرجيم فهذا لا يضره يعنـي مثلاً أنـا شـككت فـي أن فلانـاً قدم نعم صحيح ما عندي علم هذا شك ركنـت إليـه لكـن رجـل قـادم ثـم شككت في قدومه هذا لا أركن إليه ويمكن قد يرد على النفـس فـالأمور التي يؤمن بها المؤمن هي عنده بمثابة المشاهد فإذا طرأ على نفسه مـا يوجب الشك طرده لكن إذا كان مرتابا والعياذ بالله تجده أنه يطمئن لهذا الشك ويكون حقيقة حكمية في قلبه .

الطالب : ...

الشيخ : إي نعم إذا طردها ، الصحابة شكوا إلى الرسول أنهم يجدون في أنفسهم ما يحبون أن يخروا من السماء ولا يتكلمـون بـه فقـال : **(هـذا صريح الإيمان)** نعم .

فيما سبق من الآية الكريمة ذكـر اللـه سـبحانه وتعـالى أنـه إذا نفـخ فـي الصور قام الناس من الأجداث أي من القبور أظن هذه ما أخذناها طيب يقومون إلى ربهم ينسلون فيقول الكفار : **((يا ويلنا مـن بعثنـا مـن مرقدنا))** ففي هذا دليل أو يؤخذ من هذه الآية فوائد :

منها : دعاء هؤلاء الكفار على أنفسهم بالويل إذا شـاهدوا الحسـاب يـوم القيامة لقولهم : **((يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا))** .

ومن فوائدها : أن البقاء في القبور ما هو إلا كنوم النائم ينام ثم يستيقظ ويغادر المكان لقولهم : **((من مرقدنا))** .
ومن فوائد الآية : أن الله عـز وجـل يـبين لهـم توبيخـاً بـأن هـذا مـا وعـد الرحمن به من البعث والجزاء .
وفيها أيضاً : أنهم يقرون على الاحتمال الثاني يقرون بأن ما وعد الله بـه فسيقع بناء على أن قوله : **((هذا ما وعد الرحمن))** من كلامه .
ومن فوائدها أيضاً : أن الرسـل عليهـم الصـلاة والسـلام صـادقون فيمـا يخبرون بـه عـن اللـه سـبحانه وتعـالى وعـن غيـره لقـوله : **((وصدق المرسلون))** .
ثم قـال : **((إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَـيْحَةً وَاحِـدَةً فَـإِذَا هُـمْ جَمِيـعٌ لَـدَيْنَا مُحْضَرُونَ))** في هذه الآية دليل على كمال قدرة الله سـبحانه وتعـالى وأنه عز وجل يصيح بأصحاب القبـور صـيحة واحـدة فيقـول مثلاً اخرجـوا فيخرجوا جميعاً لا يتخلف منهم أحـد ولهـذا قـال : **((فإذا هـم جميـع لدينا محضرون))** .
ومن فوائدها أيضاً : أن الله سبحانه وتعالى إذا أمر بشـيء لا يعيـد الأمـر مرة ثانية بل يكون الشيء بأول أمر ونظيـر ذلـك قـوله تعـالى : **((وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر))** الذي يعيد الأمر أو الكلام هو العـاجز وأما القادر فلا يعيده .
ومن فوائدها أيضاً : الإشارة إلى أن الله تعالى ينزل للقضـاء بيـن عبـاده تؤخذ مـن قـوله : **((لدينا محضـرون))** أي عنـدنا والعنـد يـدل علـى القرب وقد ثبتت النصوص أو وقد ثبت بالنصوص أن الله عز وجـل ينـزل للقضاء بين عباده فيقضي بينهم .
ثم قال عز وجل : **((فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))** من فوائد الآية الكريمة : انتفاء الظلم مطلقاً في يوم القيامـة لأنـه هـو يـوم العـدل كمـا قـال تعـالى : **((وَنَضَعُ الْمَـوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ))**[الأنبياء:47]^.
ومن فوائـد الآيـة الكريمـة : أن الإنسـان لا يظلـم لا بقليـل ولا بكـثير لأن **((شيئاً))** نكرة في سياق النفي فتكون للعموم فإذا قـال قائـل : فـي غير هذا اليوم هل يظلم أحد ؟ فالجواب لا ، لا يظلم لكن ذكـر هـذا اليـوم لبيان الواقع لأن هذا اليوم هو يوم الجزاء فكأنه قال : هذا اليوم الذي هـو يوم الجزاء ليس فيه ظلم ونظير ذلك قوله تعالى : **((لا ظلم اليوم))** طيب .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن الجـزاء مـن جنـس العمـل لقـوله : ((**ولا تجزون إلا ما كنت تعملون**)) فيستفاد منها كمال عدل الله عز وجل وهذه فائدة متفرعة على الفائدة التي قبلها

فإن قال قائل : أليس الإنسان العامل الحسنة يجزى بعشـر حسـنات ؟ الجواب بلى لكن هذا من الجزاء الذي وعـد بـه فلا يكـون منافيـاً لظـاهر الآية لأن الله تعالى وعـد مـن جـاء بالحسـنة أن يجعـل لـه عشـر أمثالهـا فتكون داخلة في قوله : ((**إلا ما كنتم تعملون**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة : جواز التعبير بالسـبب عـن المسـبب مـن أيـن تؤخذ يا عمر ؟

الطالب : ...

الشيخ : كيف ذلك ؟

الطالب : ...

الشـيخ : نعـم والعمـل سـبب للجـزاء فيكـون فيـه التعـبير بالسـبب عـن المسبب .

ثم قال عز وجل : ((**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**)) من فوائد الآية الكريمـة : أن النـاس ينقسـمون فـي ذلـك اليـوم إلـى قسمين : قسم هم أصحاب الجنـة وقسـم هـم أصـحاب النـار ، أصـحاب الجنة هـذا جزاؤهـم ((**في شـغل فـاكهون**)) ويسـتفاد مـن قـوله : ((**فاكهون**)) كمال نعيمهم لأن كلما كمـل النعيـم كمـل التفكـه بهـذه النعمة التي يتنعم بها الإنسان .

ومـن فوائـد الآيـة الكريمـة : أن لأهـل الجنـة زوجـات لقـوله : ((**هـم وأزواجهم في ظلال**)) وقـد وصـف اللـه هـؤلاء الزوجـات بصـفات كثيرة فقال عز وجل في سورة الرحمن : ((**فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَـمْ يَطْمِثْهُـنَّ إِنْـسٌ قَبْلَهُـمْ وَلا جَـانٌّ**))[الرحمـن:56]^وقـال : ((**فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ**))[الرحمن:70]^فقاصـرات الطـرف يعنـي أنها تقصر طرفها على زوجها لا تنظر إلى غيره لأنها ترى أن زوجها أكمل الأزواج فلا يمتد نظرها إلى غيرهـا وهـي أيضـاً قاصـرات لطـرف زوجهـا عليها فزوجهـا لا يتعـدى أو لا يمتـد بصـره إلـى غيرهـا فكـل منهمـا راض بصـاحبه ، وهـن أيضـاً خيـرات حسـان ، خيـرات الطبـاع حسـان الوجـوه والأجسام وصفاتهن كثيرة في القرآن الكريم .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن الجنة ليـس فيهـا شـمس لقـوله : ((**هم وأزواجهم في ظلال**)) .

ومـن فوائـدها : كمـال راحـة أهـل الجنـة لقـوله : ((**علـى الأرائـك متكئون**)) فإن المتكئ عادة يكون مستريحاً مطمئناً وكـل مـا اطمئـن الإنسان ازدادت راحته والإتكاء على الأرائك لاشك أنـه دليـل علـى راحـة البال وعدم الانشغال .
ومن فوائد الآية الكريمة : أن لأهل الجنة فيها فاكهة وهي كل ما يتفكه به وقد ذكرنا أن جميع طعامهم فاكهة يتفكهون به .
ومن فوائدها أيضاً : أن لأهل الجنة كل ما يتمنونه بـل يعطـون أكـثر ممـا يتمنون وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .
ومن فوائد الآية الكريمة : أن هذا القرآن سمي مثاني تثنى فيـه المعـاني فيذكر الشيء ويذكر ضده لأنه لو ذكر ما يكون به الرجاء دون ما يكون به الخوف لغلب جانب الرجاء على جانب الخوف وووقع الإنسان في الأمـن مـن مكـر اللـه ، ولـو ذكـر فيـه جـانب الخـوف دون جـانب الرجـاء لوقـع الإنسان في القنوت من رحمة الله فكان اللـه عـز وجـل إذا ذكـر النعيـم ذكر ضده وإذا ذكر أصحاب الجنـة ذكـر أصـحاب النـار وهكـذا وهـذا أحـد معاني قوله تعالى : ((**اللَّهُ نَـزَّلَ أَحْسَـنَ الْحَـدِيثِ كِتَابًـا مُتَشَـابِهًا مَثَانِيَ**))[الزمر:23]^يعني أنه تثنى فيـه المعـاني حـتى يسـهل السـير إلى الله سبحانه وتعالى على وجه مطلوب .
ثم قـال عـز وجـل : ((**سَلامٌ قَـوْلًا مِـنْ رَبٍّ رَحِيـمٍ**)) سـبق لنـا أن المؤلف أعرب ((**سلام**)) على أنها مبتدأ وأن خبره ((**قـولاً**)) علـى أنه منصوب بنـزع الخـافض أي سـلام بـالقول مـن رب رحيـم وهـذا أحـد الوجـوه فـي الآيـة الكريمـة ، فيجـوز أن يكـون ((**سلام**)) خـبر مبتـدأ محذوف أي هي سلام يعني الجنة سلام كما قال اللـه تعـالى : ((**وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلامِ**))[يونس:25]^ويجـوز أيضـاً أن يكـون الخـبر قوله : ((**من رب رحيم**)) أي سلام بالقول من الله واقع من الله عــز وجل وهذه الوجوه لا ينافي بعضها بعضاً من حيـث المعنـى فـإن المعنـى كله واحد وهو أن الله تعالى يسلم عليهم بالقول ويقول : سلام عليكم يـا أهل الجنة ، وقوله : ((**من رب رحيم**)) الرب في اللغة العربية يطلق على عدة معاني فيطلق على رب العالمين عز وجـل وهـو كهـذا المعنـى يشمل الخلق والملك والتدبير فالرب هو الخالق المالـك المـدبر ويطلـق الرب على الصاحب مثل قولهم : رب البيت أي صاحب البيت ومثل قوله عليه الصلاة والسلام في اللقطة : **(معها سـقاؤها وحـذاؤها)** فـي الضالة في الضالة ضـالة الإبـل **(معها سـقاؤها وحـذاؤها تخـزن**

الماء وتأكل الشجر حتى يجدها ربها) أي صاحبها وقـوله : **((مـن رب))** المراد به المعنى الأول يعني الله عز وجل فالله تعالى هـو الـرب يعني الخالق المالك المدبر و **((رحيم))** من الرحمة وهي صـفة ذاتيـة لم يزل اللـه سـبحانه وتعالى ولا يـزال متصـفاً بهـا لكـن أفرادهـا تتجـدد باعتبار المرحوم فالله عز وجـل يرحـم مـن يشـاء ومعلـوم أن المرحـوم يتجدد فرحمة الله لهذا المرحوم تتجدد أما أصل المعنى فإن الله لم يزل ولا يزال رحيماً ، أهل السنة والجماعـة وهـم السـلف يفسـرون الرحمـة بمعنىً يليق بالله عز وجل وأهل التحريف يفسرون الرحمة إما بالإحسان وإما بإرادة الإحسان فيقولون : معنى رحيم أي محسن أو مريد للإحسان لماذا ؟ قالوا : لأن الله لا يمكن أن يتصف بالرحمة فإن الرحمة تدل على الضعف وعلى الرقة واللين وهذا لا يليق بالله سبحانه وتعـالى وفسـروها بالإرادة لأنهم يثبتون الإرادة أو بالإحسان لأن الإحسان منفصـل عـن اللـه عز وجل فهو مخلوق ولا شـك أن هـذا تحريـف ، والرحمـة إن كـان يلـزم منها الرقة واللين فهذا باعتبار رحمة المخلوق أما باعتبـار رحمـة الخـالق فلا يلزم منها هذا المعنى على أننا نمنع أن يكون للـه منهـا الرقـة واللـين لماذا ؟ لأننا نجد الملك القوي الشجاع يكون فيه رحمة ولا ينقص ذلك من قوته وسلطانه شيئاً لكن لو سلمنا جدلاً أنها تستلزم الرقة واللـين فإنمـا ذلك باعتبار رحمة المخلوق

((سلام قولاً مـن رب رحيـم)) بهـم أي يقـول لهـم سـلام عليكـم ويقول : **((وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَـا الْمُجْرِمُـونَ))** قـوله : " ويقـول " يعني الله عز وجل وفي الجزم في ذلك نظر فقد يكون الله عز وجل هـو الذي يقول للمجرمين امتازوا وقد يكون القائل ملكاً من الملائكة ، المهم أنه يقال للمجرمين امتازوا اليوم ولهذا لو قال المؤلف ويقال لكان أولـى لأن الجزم بأن القائـل هـو اللـه يحتـاج إلـى توقيـف يعنـي إلـى نـص من الشـارع يقـول : **((وَامْتَـازُوا الْيَـوْمَ أَيُّهَـا الْمُجْرِمُـونَ))** المـراد بـ**((اليـوم))** يـوم القيامـة فـأل هنـا فيـه للعهـد الـذكري **((أيهـا المجرمون))** قـال المؤلـف : " **أي انفـردوا عـن المـؤمنين عنـد اختلاطهـم بهـم** " يعنـي يقـال يـوم القيامـة : **((امتـازوا أيهـا المجرمون))** تميزوا عن المؤمنين انفردوا عنهم لأن طريق المجرمين غير طريق الأبرار فالأبرار طريقهم إلى الجنة وهؤلاء طريقهم إلـى النـار كما قال الله تعالى : **((يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَـنِ وَفْـدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا))**[مريم 76:86]^فيمتاز هؤلاء

عن هـؤلاء يقـال لهـم هـذا علـى سـبيل التوبيـخ والإهانـة لأنـك إذا رأيـت مجتمعاً تقول مثلاً : أيها الطائفة الفلانية امتازوا ابتعدوا صار في هذا من إذلالهم وإهانتهم ما هو ظاهر وقـوله : **((أيها المجرمـون))** مـن هـو المجرم ؟ المجرم فاعـل الإجـرام ، والإجـرام هـو الـذنب والإثـم أي أيهـا المذنبون الآثمون امتازوا عن المؤمنين المطيعين ، ثم قال :

((أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ)) آمركم **((يَا بَنِي آدَمَ))** على لسان رسلي **((أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ))** لا تطيعوه

((إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)) بين العداوة ، **((وَأَنِ اعْبُدُونِي))** وحدوني وأطيعون **((هَذَا صِرَاطٌ))** طريق

((مُسْتَقِيمٌ)) ، **((ألم أعهد إليكم يا بني آدم))** الاسـتفهام هنـا للتقرير والغالب أنه إذا وقع بعد الاستفهام ما يدل على النفي فالاستفهام للتقرير مثل **((ألم نشرح لك صدرك))** هـذا للتقريـر **((ألم أعهـد إليكم يا بني آدم))** للتقرير ، **((ألم يأتكم رسل منكم))** للتقرير ، **((أليـس اللـه بكـاف عبـده))** للتقريـر **(أليـس اللـه بـأحكم الحاكمين))** للتقريـر وهكـذا كلمـا جـاء مـا يـدل علـى النفـي بعـد أداة الاستفهام فإن الاستفهام يكون غالباً لإيـش ؟ للتقريـر طيـب هنـا تقريـر يقرر الله عز وجل أنه عهد إلينا ولهذا يصح أن يحول في غير القرآن إلـى فعل ماض فيقال : قد عهدت إليكـم ، فـإذا قـال قائـل : مـا المـراد بهـذا التقرير ؟ المراد به التوبيخ يعني يقرر الله هذا الأمر توبيخـاً لهـم وإقامـة للحجة عليهم أن الله عهد إليهم ألا يعبدوا الشيطان ،

والعهد إلى الشيء فسره المؤلف : " **بأنه الأمر** " يعنـي ألـم آمركـم ولكنه في الحقيقـة أبلـغ مـن الأمـر لأن العهـد إليـه كـأنه متضـمن للعهـد والميثاق وهو كذلك فإن الله قد أخذ علينا الميثاق ألا نعبد إلا إياه وألا نعبد الشيطان لأنه عدو

وقوله : **((يا بني آدم))** بني آدم هذه تشمل الذكر والأنـثى وإن كـان الابن يقال في الأصل للذكر والبنون يقال في الأصل للذكور لكن إذا كان مرادا به القبيلة أو الجنس فـإنه يشـمل الـذكر والأنـثى حـتى إن الفقهـاء رحمهم الله قالوا إذا وقف على بني تميم شمل ذكورهم وإناثهم لكـن إذا وقف على بني فلان واحد من النـاس مـا هـو قبيلـة فـإنه يختـص بمـن ؟ بالذكور فقط فبنوا آدم هنا قبيلة بل شامل لكل القبائـل فيشـمل الـذكور والإناث وقوله : **((ألا تعبدوا الشيطان))** فسر المؤلـف العبـادة هنـا بالطاعة لأن طاعة الغير في محارم الله نوع مـن العبـادة كمـا قـال اللـه

تعـالى : **((اتَّخَـذُوا أَحْبَـارَهُمْ وَرُهْبَـانَهُمْ أَرْبَابًـا مِـنْ دُونِ اللَّـهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًـا وَاحِـدًا))**[التوبـة: 31]^لا نعبد أرباباً كثيرة ، قال عدي بن حاتم : " يا رسول الله إنـا لسـنا نعبـدهم " يعنـي لسـنا نصـلي أو نركـع أو نسـجد لهـم ، قـال : **(أليس يحلـون مـا حـرم اللـه فتحلـونه ، ويحرمـون مـا أحـل اللـه فتحرمونه)** قال : " نعم " قال : **(فتلك عبادتهم)** ، وهذا الحـديث وإن كان ضعيفاً لكن الواقع أن هذا هو الحقيقـة أن طاعـة غيـر اللـه فـي مخالفة أمـر اللـه نـوع مـن العبـادة لأن العبـادة فـي الأصـل هـي التـذلل والخضوع وطاعة الأمر تذلل وخضوع

وقوله : **((الشيطان))** هل المراد بذلك الجنس أو المـراد الشـيطان المعين ؟ الظاهر أن المراد به الجنس فيشمل شياطين الإنس وشياطين الجن فكما أن للجن شياطين فللإنس أيضـاً شـياطين يوجـد مـن الإنـس شياطين يأمرون الناس بـالإثم والعـدوان وينهـونهم عـن الـبر والإحسـان وقوله : **((ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين))** بيـن العـداوة **((إنه))** أي الشيطان **((لكم عدو مـبين))** كـل إنسـان أو كـل أحـد يأمرك بمخالفة أمر الله فهـو عـدو لـك شـعر بـذلك أم لـم يشـعر وعلـى رأسهم الشيطان الأول الذي يقود كل شيطان ، قال : **((إنه لكم عـدو))** العدو ضد الولي والولي من يتولاك ويحوطك ويعتني بك فالعدو ضـده هو الذي لا يريد لك الخير وإنما يريد لك الشر وقوله : **((مبين))** قال : " **بين العداوة** " كيف فسـر **((مبين))** بـبين ؟ نقـول لأنـه مـن أبـان وأبان تأتي بمعنى أظهر وتأتي بمعنى ظهر فإن كانت بمعنى أظهـر فهـي متعدية وإن كانت بمعنى ظهر فهـي لازمـة ولا يمكـن أن نقـول إنهـا مـن المتعدي أو اللازم إلا بقرينـة مـن السـياق فهنـا نقـول : **((مبين))** إذا فسرناها بما فسـر بـه المؤلـف بيـن العـداوة صـارت مـن اللازم ولا مـن المتعـدي ؟ مـن اللازم مـع أنـه يمكـن أن نجعلهـا مـن المتعـدي ونقـول **((مبين))** مظهر للعداوة لأنه يأمرك بالشر لكن هذا ضعيف إذ لو أبـان عداوته ما تبعـه أحـد وإنمـا يغـر النـاس كمـا قـال تعـالى : **((فدلاهما بغرور))** طيـب إذاً نجعـل **((مبين))** هنـا مـن بـاب اللازم مـن أبـان بمعنى ظهر

((وأن اعبدوني هذا صراط مسـتقيم)) لا تعبـدوا الشـيطان وأن اعبدوني هذا نفي واثبات وهو حقيقة التوحيد **((وأن اعبدون))** **((أن))** هنا مصدرية ويصح أن تكون مفسرة لأن **((أعهد))** متضـمنة معنـى

القول وإذا سبق أن ما يتضمن معنى القول دون حروفه صارت تفسيرية مثل قوله تعالى : ((**وأوحينا أن اصنع الفلك**)) على كل حال ((**أن اعبدوني**)) أن الله عهد إلينا أن نعبده وحده أي تذللوا لي بالطاعة والمؤلف قال : " **وحدوني وأطيعون** " وهذا معنى صحيح فالعبادة توحيد الله عز وجل بالطاعة والتذلل له بامتثال أمره واجتناب نهيه

((**هذا صراط مستقيم**)) ((**هذا**)) المشار إليه ترك عبادة الشيطان وإفراد الله تعالى بالعبادة ((**صراط مستقيم**)) الصراط فسره المؤلف بالطريق ولكن الصحيح أنه ليس مطلق الطريق صراطاً بل الصراط هو الطريق الواسع المتساوي لأن مأخوذ من الصرط أو من الذرط والذرط كما نعلم هو ابتلاع الشيء بسرعة ولا يكون الطريق طريقاً ذا سرعة إلا إذا كان واسعاً وكان سهلاً وأما قوله : ((**مستقيم**)) فهذا وصف له والاستقامة تشمل اعتدال السير وتشمل أيضاً انبساط الأرض فإذا قدر أن الطريق يذهب يميناً وشمالاً لم يصح أن نقول : إنه مستقيم ، وإذا كان فيه مرتفعات ومنخفضات فليس بمستقيم لأن بعضه مرتفع وبعضه نازل فالاستقامة معناه أن خالٍ من الانحرف يميناً وشمالاً وخالٍ من الاختلاف في ارتفاعه وانخفاضه وقوله :

((**صراط مستقيم**)) إلى من ؟ إلى الله عز وجل والله سبحانه وتعالى أضاف الصراط إلى نفسه وأضاف الصراط إلى خلقه فقال سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة : ((**اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم**)) فأضاف الصراط إلى الذين أنعم الله عليهم وقال : ((**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**))[الشورى 52:5 3]^((**لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**)) أو والأرض ؟ ((**وما في الأرض**)) نعم ، فكيف نجمع بين الإضافتين ؟ نقول : أضاف الله الصراط إلى الذين أنعم الله عليهم لأنهم هم السالكون له ، هم سالكوه وأضافه إلى نفسه لأنه هو الذي وضعه لعباده وهو موصل إليه كما تقول هذا طريق مكة ما معنى طريق مكة ؟ أي الموصل إلى مكة وتقول هذا طريق فلان إذا كان هو الذي وضعه للناس وشقه لهم ، أو هو الذي سلكه ومشى عليه على كل حال إضافة الصراط إلى الذين أنعم الله عليهم لأنهم سالكوه ، إضافة الصراط إلى الله لأنه إيش ؟ هو الذي وضعه لعباده وسنه لهم وهو أي الصراط موصل إلى الله عز وجل

((وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ)) ((ولقد)) هذه الجملة مؤكـدة بثلاث مؤكدات ما هي عبد المنان ؟

الطالب : الواو

الشيخ : إيش ؟ وبالواو ، وين الواو ؟

الطالب : ...

الشيخ : إيش ؟ نعم اللام وقد .

الطالب : ...

الشيخ : لا ، القسم المقـدر لأن اللام هـذه موطئـة للقسـم فتكـون هـذه الجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات ، هداية الله .

الطالب : ...

الشيخ : القسم ، أين القسم ؟

الطالب : ...

الشيخ : أحسنت تقدير والله لقد أضل ، طيب إذا قال قائل : كيف يقسم الله عز وجل وهو الصادق القول بلا قسم ؟ نقول في الجواب على ذلـك وجوه :

الوجه الأول : الإشارة إلى أن هذا أمر هام يحتاج إلى إيش ؟ إلى القسـم عليه لأنه لولا أهميته ما أقسم عليه .

ثانيـاً : أن القـرآن نـزل باللغـة العربيـة ومـن أسـاليب اللغـة العربيـة أن الشيء إذا أريد إثباته وتحقيقه فإنه يقسم عليه والقـرآن كمـا نعلـم نـزل بلسان عربي مبين .

الثالث : أن المقسم به إذا كان صريحاً أي مصرحاً بـه فـإن الإقسـام بـه يدل على عظمته فإن الله لا يقسم بشيء إلا لعظمـة ذلـك الشـيء مثـل قوله : **((والشمس وضحاها * والقمر إذا تلاها))** إلى آخره أو ما أشبه ذلك مما أقسم الله به فإن يدل على عظمة المقسم به نعم .

الطالب : ...

الشيخ : نعم ، عنده طريق ، نعم .

الطالب : قوله تعالى ((**ألا تعبدوا الشيطان))** ... لانافية...

الشيخ : كيف ؟ يحتمل أن تكون نافية والفعل منصوب بأن أو أن لا ناهيـة .

الطالب : ...

الشيخ : المـراد بـه العمـوم ولهـذا قـال : ((**وَلَقَدْ أَضَـلَّ مِنْكُـمْ جِبِلًّا كَثِيرًا**)) .
الطالب : ... ألا يعبدوا الشيطان
الشيخ : أي نعم هو بين أنه عهد إلى الخلق كله ألا يعبـدوا الشـيطان وأن يعبدوه وحده ولكن أضل الشيطان منهم جبلاً كثيراً كمـا فـي الآيـة الـتي شرعنا فيها ، فالخطاب عام نعم .
الطالب : قال تعالى ((**وهم وازواجهم**)) الذين لم يتزوجوا ...
الشيخ : أي نعم ، هم لهم أزواج حتى الذين لم يتزوجوا يكـون لهـم أزواج الجنة من الحور العين ومن نساء الدنيا اللاتي لم يتزوجن .
الطالب : من ازواجهم؟
الشيخ : الحور العين .
الطالب : ...
الشيخ : الشابات لهم أزواج ، أولاً الظـاهر أن النسـاء مـن أهـل الـدنيا لا يزدن على الرجال لأن أكثر أهل النار النساء فالنساء هن أكثر أهـل النـار وإذا قدر أن عدد النساء من أهل الدنيا زاد على عدد الرجـال فـإنه يمكـن أن يجمع الانسان بين زوجـتين أو أكـثر ، علـى كـل حـال إذا وصـلت إلـى هناك إن شاء الله ما في ظلم والله المستعان نعم .
الطالب : قيل إنهم يخيرون أزواج الدنيا يعنـي نسـاء الـدنيا يخيـرون فـي أزواجهم في أهل الجنة .
الشيخ : هذا وإذا كانت المرأة قد تزوجت رجلين فإنها تخير بينهمـا يعنـي إذا تزوجت رجلين ودخلت الجنة معهما تخير بينهما عرفت .
الطالب : لو طلقت؟
الشيخ : حتى لو طلقت وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسـلام أنهـا تختـار أحسنهما خلقاً .
الطالب : ...النفخ في الصور...
الشيخ : نعم ...نعم ، نعم ، لأن الله قال في آية آخـرى : ((**فَإِنَّمَـا هِـيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فإذا هم بالساهرة**))[النازعات 12:13]^والزجر لا يكون من النفخ ، النفخ ...
الطالب : ...
الشيخ : لا يكون منصوب بأن .
الطالب : ...

الشيخ : أي نعم إن جعلنا لا نافية فهـو منصـوب بــ((**أن**)) وإن جعلناهـا ناهية فهو مجزوم بها نعم .

الطالب : ...

الشيخ : نعم ، ربما يقال ((**امتازوا اليـوم أيهـا المجرمـون**)) فـإذا امتازوا قال الله لهم : ((**ألم أعهد إليكم يا بني آدم**)) .

الطالب : ...

الشيخ : نعم فيه احتمال لكن ما نجزم به ، فيه احتمال أنها من قول اللــه ، أن الله يقول لهم : ((**امتازوا أيها المجرمون**)) وفيه احتمـال أنهـا من قول ملك من الملائكة فإذا امتازوا خوطبوا وهـذا ممـا يـدل علـى مـا ذهب إليه الأخ خالد أن قوله : ((**ألم أعهد إليكم يـا بنـي آدم**)) أنـه خاص بالكفار لكن قوله : ((**ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً**)) لأنهم لو كانوا هم الكفار لكان قد أضلهم كلهم .

الطالب : ...

الشيخ : أنا فاهم ، فاهم بارك الله فيـك ، فـاهم لكـن الجـزم يحتـاج إلـى توقيف .

((**كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ**))[يس:62]^عندكم هكذا ...، عندكم ... وصلنا إلى هذا

قوله تعالى : ((**وامتازوا اليوم أيها المجرمون**)) فيها من الفوائد .

((**سلام قولاً من رب رحيم**)) في هذه الآية الكريمة دليل على ما يتمتع به أهل الجنة من السلامة من كل الآفات لا من الأمراض ولا من التعب ولا من الموت ولا من غيره ((**سلام**)) لأن الله تعالى يقول لهم : سلام عليكم ، وهذا اللفظ الصادر من الله عز وجل ليس دعاء ولكنه خبر من الله ، إنما يكون مثل هذا دعاء إذا وقع من المخلوق أما إذا كان من الخالق فهو خبر ...أي أن الله تعالى يخبرهم بأنه سيسلمهم من كل آفة نعم .

ومن فوائدها : إثبات الربوبية وهي هنا فيما يظهر من الربوبية الخاصة والربوبية تنقسم إلى قسمين : خاصة وعامة ، فالعامة هي الشاملة لجميع الخلق فإن جميع الخلق مربوبون لله عز وجل هو خالقهم هو مالكهم مدبرهم ومنها قوله تعالى : ((**الحمد لله رب العالمين**)) ، أما الربوبية الخاصة فهي المختصة بعباد الله المخلصين من عباد الله المؤمنين من الرسل وأتباعهم وهي أخص من الأولى لأنها تقتضي عناية خاصة بالمربوب و توفيقاً له وإصلاحاً لحاله ومنها قوله تعالى : ((**رب موسى وهارون**)) فإن موسى وهارون من عباد الله المخلصين فكانت الربوبية في حقهما خاصة ومنه دعاء المؤمنين لله عز وجل بهذا الاسم ، مثل ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ، فإن المراد به الربوبية الخاصة لأن التوسل بالأخص أخص بالدعاء من التوسل بالأعم طيب وقد اجتمع القسمان في قوله تعالى : ((**قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون**)) الأولى عامة والثانية خاصة إذاً كم أقسام الربوبية ؟ سؤال خاص .

الطالب : ...

الشيخ : أي طيب عباد الله المخلصين الفرق بينهما أن هذه العامة للتدبير العام الشامل كالخلق والملك والتدبير وهذه ربوبية خاصة تقتضي عناية خاصة طيب ، هذه الآية : ((**سلام قولاً من رب رحيم**)) أقول إن الظاهر والله أعلم أنها من الربوبية الخاصة لأن الذي يخاطب به من القوم المخلصين ، وفي هذه الآية الكريمة إثبات الرحمة لله عز وجل لقوله : ((**رحيم**)) وإثبات الربوبية لقوله : ((**رب**)) وهل الرب من أسماء الله ؟ نعم الرب من أسماء الله دل ذلك قوله صلى الله عليه

وسلم : **(أما الركوع فعظموا فيه الرب)** وقـوله صـلى اللـه عليـه وسلم في السواك : **(مطهرة للفم مرضـاة للـرب)** وأمـا الرحيـم فكونه من أسماء الله لا يخفى .

وفي هذه الآية : إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه المنزلة برحمة الله لقوله : **((من رب رحيم))** وقد ثبت عن النبي صلى الله عليـه وسـلم أنـه قـال : **(لا يدخل أحد منكـم الجنـة بعملـه) (لا يـدخل أحـد الجنة بعمله)** قالوا : " **ولا أنت يا رسول اللـه** " قـال : **(ولا أنـا إلا أن يتغمدني الله برحمته)** اللهم تغمدنا برحمتك ، فالرسول عليه الصلاة والسلام أخبر أن أحداً لا يدخل الجنة إلا أن يتغمده اللـه برحمتـه ، أي يسبغ عليه الرحمة فحينئذ يدخل طيب .

ثم قال الله عز وجل : **((وامتازوا اليوم أيهـا المجرمـون))** فـي الآيـة الكريم ة مـن الفوائـد : أن المجرميـن يهـانون يـوم القيام ة بحيـث يميـزون مـن المـؤمنين بلفـظ الطـرد ، **((وامتـازوا اليـوم))** يعنـي انفردوا وأبعدوا .

ومن فوائدها : أن الله سبحانه وتعالى يميز بين المجرميـن والأبـرار يـوم القيامة كما ميز بينهم في الدنيا فإن طريق هؤلاء غير طريق هؤلاء .

ومن فوائد الآية الكريمة : أنه ينبغـي لمـن قـام بعمـل أن يـذكر الوصـف المناسب لهذا العمل فهنا لمـا أمـروا بـالإنفراد وطـردوا ناسـب أن يـذكر سـبب ذلـك حيـث قـال : **((أيها المجرمون))** كأنمـا قـال : امتـازوا لإجرامكم ولا شك أن ذكر سبب الحكم يزيل الشبهة واللبس والاعتراض فإذاً نقول : إن تعليق الحكم بوصف هذه فائدة مبنية علـى الفائـدة الـتي قلنا إن تعليق الحكم بوصف يدل على علية ذلك الوصف أي على أن هـذا الوصف هو علة هذا الحكم فإذا قلت مثلاً أكرم المجتهد من الطلبـة فهنـا علق الإكرام بالاجتهاد يفيد أن علـة الإكـرام هـو الاجتهـاد وهـذه القاعـدة مفيدة لطالب العلم وهو أن تعليق الحكم بوصف يدل على عليتـه أي أنـه علة ذلك الحكم

وقوله : **((أيها المجرمون))** حذفت منها ياء النـداء فلمـاذا ؟ يمكـن أن يدعي علماء البلاغة أنها حذفت مـن بـاب الإهانـة لهـم حـتى لا يطـول الكلام لأن طول الكلام مع المخاطب من بـاب التبسـط إليـه والانشـراح لمخاطبته فإذا اختصر فهو نوع من الإهانة وليـس علـى إطلاقـه بـل هـذا على حسب السياق قد يكون من الإكرام أن تختصر الكلام وقد يكون من

الإكرام أن تبسط الكلام لكن المقام في هذا لا يقتضي ذلـك بـل يقتضـي أن اختصار الكلام وعدم تطويله من باب الإهانة لهم .

ثم قال عز وجل : **((أَلَمْ أَعْهَـدْ إِلَيْكُـمْ يَـا بَنِـي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُـدُوا الشَّـيْطَانَ إِنَّـهُ لَكُـمْ عَـدُوٌّ مُبِيـنٌ * وَأَنِ اعْبُـدُونِي هَـذَا صِـرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ))**

من فوائد الآية الكريمة : أن الله سبحانه وتعالى يحب الإعذار من نفسه أي يحب أن يقيم العذر لنفسه لتقوم الحجة على خلقـه لقـوله : **((ألـم أعهد إليكم))** فإن من عهد إلينـا ألا نعبـد الشـيطان وأن نعبـد اللـه قـد أقام علينـا الحجـة وأقـام العـذر بنفسـه وهـذا كقـوله تعـالى : **((رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُـلِ))**[النساء:165]^طيب .

من فوائدها : إثبات رحمة الله عز وجل للخلق حيث لم يجعـل إخلاصـهم له موكولاً إلى عقولهم بل عهد بذلك إليهم على ألسـنة الرسـل لأن اللـه لو جعل الإخلاص موكولاً إلى العقول لاختلفت العقول فـي ذلـك اختلافـاً كثيراً لأن الأهواء لا تنضبط فجعل الله عز وجـل ذلـك ممـا تكفـل بـه هـو نفسه لعباده ففيه إثبات رحمة الله عز وجل بهذا العهد الذي عهد به إلـى عباده .

ومن فوائد الآية الكريمة : أنه ينبغي التصفية قبل التحلية أو أحـد يقـول : التخلية قبل التحلية لأنه قال : **((ألا تعبدوا الشيطان))** هـذا إيـش ؟ تخلية **((وأن اعبدوني))** تحلية يعني نفي وإثبات وهـذا هـو التوحيـد ، التوحيد مبني على نفي وإثبات لأن النفي المجـرد تعطيـل محـض وعـدم والإثبات المجرد لا يمنع المشاركة إذاً لا يكـون التوحيـد إلا بنفـي وإثبـات وأضرب مثلاً لهذا لو فرض لا قائم في البيت هذا نفي مجرد معناه العـدم هذا الموجود قائم في البيت وإذا قلـت زيـد قـائم فـي الـبيت هـذا إثبـات مجرد لا يمنع المشاركة أي قد يكون رجل آخر في البيت قائم فـإذا قلـت لا قائم في البيت إلا زيد حينئـذ تحقـق الإنفـراد وتحقـق التوحيـد وصـار لا يوجد قائم في هذا البيت إلا زيد إذاً التوحيد لابد فيـه مـن هـذين الأمريـن النفي والإثبات ولكن بماذا يبدأ ؟ يبدأ أولاً بالنفي ليرد الإثبات على مكـان خال من الشوائب ، خالص صالح لاستقرار الإثبات فيه ولهذا يبـدأ بـالنفي ثم بالإثبات كذا يا مهند طيب وهذا فـي القـرآن كـثير فاسـتمع إلـى قـوله تعالى : **((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُـدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي))**[الزخرف 26:27]^فتبرأ من كل معبود ثم أثبت

العبادة لله وحده الذي فطـره **((إلا الذي فطرنـي فـإنه سـيهدين))** .
من فوائد الآية الكريمة : أن طاعة الشيطان فـي معصـية اللـه ولا تكـون طاعـة الشـيطان إلا فـي معصـية اللـه نـوع مـن العبـادة لقـوله : **((ألا تعبدوا الشيطان))** لأن الطاعـة فيهـا نـوع مـن التـذلل والعبـادة هـي التذلل فمن أطاع الشيطان في معصية الله فقد عبده .
ومن فوائدها : أن العبادة لا تختص بالركوع والسجود والذبـح والنـذر وم ا أشبه ذلك بل هي عامة شاملة لكل طاعة يكون فيها كمـال التـذلل فهـي عبادة .
ومن فوائد الآية الكريمة : وجوب الحذر من طاعة الشيطان حيث سـمى الله تعالى طاعته عبادة وكـل إنسـان يحـذر مـن أن يعبـد مـع اللـه غيـره شديد التحذير من طاعة الشيطان في معصية الله عز وجل .
ومن فوائـد الآيـة الكريمـة : وجـوب عبـادة اللـه وحـده لقـوله : **((وأن اعبـدوني))** والعبـادة تطلـق علـى معنييـن : أحـدهما التعبـد والثـاني المتعبد به ، التعبد يعني التذلل لله عز وجل وهي بهذا المعنى فعل العبـد يعني صلاته صـيامه حجـه وزكـاته وم ا أشـبه ذلـك وتطلـق العبـادة علـى المتعبد به وهي بهذا المعنى كل اسم جـامع لمـا يحبـه اللـه ويرض اه مـن الأقوال والأفعال ، العبادة اسـم جـامع لكـل مـا يحبـه اللـه ويرضـاه مـن الأقـوال والأعمـال الباطنـة والظـاهرة القلبيـة والجوارحيـة ، إذاً تطلـق العبادة على الأول : التعبد وهو فعل العابـد ، والثـاني : المتعبـد بـه وهـي العبادات القائمة المشهورة .
ومن فوائد الآية الكريمـة : أن الصـراط المسـتقيم هـو التوحيـد لقـوله : **((هـذا صـراط مسـتقيم))** **((هـذا))** أي تـرك عبـادة الشـيطان والالتزام بعبادة الله صراط مستقيم أي طريق مستقيم لا عوج فيه وإنما كان كذلك لأنه موصل إلى رضا الله تعـالى وجنتـه فهـو صـراط مسـتقيم طيب .
ومن فوائد الآية الكريم ة : أن الصـراط قـد يك ون مسـتقيماً وقـد يك ون معوجاً قال الله تعالى : **((وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْـتَقِيمًا فَـاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَـنْ سَـبِيلِهِ))**[الأنعـام:153]^كـل واحد من البشر له طريق فإن كان على شرع الله فهو مستقيم وإن كان على خلافه فهو معوج .

ثم قال الله تعالى : ((**وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا**)) أقرؤها على قراءة المصحف أظن وقفنا على هذا الآية تكلمنا على أولها وهي قوله : ولقد أضل ، قال الله عز وجل : ((**وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا**)) ((**أضل**)) الإضلال بمعنى الإضاعة والفرق عن الصراط المستقيم قبل أن نبدأ إيش عندك يا غانم ماذا تفعل ؟

الطالب : ...

الشيخ : أي نعم فيها فائدة ((**سلام قولاً من رب رحيم**)) فيها إثبات أن الله يقول ويتكلم وهذا حق وقد اختلف أهل القبلة في كلام الله عز وجل

فمنهم من قال : إنه يتكلم بحرف وصوت على وجه يليق به ولا يشبه صوته أصوات المخلوقين

ومنهم من قال : إنه لا يتكلم ولكن يخلق كلاماً ينسبه إليه تشريفاً وتكريماً ، ومنهم من قال : إنه يتكلم لكن كلامه ما يقدره في نفسه وأما ما يسمع فهو مخلوق ، فالأول م ذهب أهل السنة والجماعة ، والثاني مذهب المعتزلة ومن وافقهم ، والثالث مذهب الأشاعرة وحقيقة الأمر أن مذهب الأشاعرة هو مذهب المعتزلة لأن كل منهم متفقون على ما بين أيدينا من المصحف مخلوق لكن الجهمية والمعتزلة قالوا : هو كلام الله وأولئك قالوا عبارة عن كلام الله فهم أسوأ منهم من هذه الناحية لأن المعتزلة والجهمية يقولون : إن القرآن كلام الله كما قال الله عنه إنه كلام الله ((**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**))[التوبة:6]^لكن هم يقولون : ((**حتى يسمع كلام الله**)) أي الكلام الذي هو عبارة عن كلام الله فأيهما أقرب إلى الحقيقة ؟ الجهمية والمعتزلة ولكن كل منهم في ضلال مبين ، الصواب أنه كلام الله تكلم به بنفسه وسمع منه سمعه جبريل وألقاه إلى محمد صلى الله عليه وسلم نعم هذه فائدة مهمة طيبة لكن أنا أريد منكم إذا كنت أستنبط الفوائد ألا تتكلموا بشيء لأنكم تعرفون الإنس ان إذا ترتب تفكيره على شيء ومشى فيه ثم جعل أمامه حجر يتعثر ويزول عنه ما في فكره .

الطالب : ...

الشيخ : مهما كان حتى تنتهي الفوائد مرة طيب .

ثم قال الله عز وجل : ((**ولقد أضل منكم**)) ((**أضل**)) بمعنى أضاع وأتاه يعني قادكم إلى ضلال ليس فيه هدى ((**أضل منكم جُبلاً**

)) قال المؤلف : " **خلقاً جمع جبيل كقبيل** " وفي قراءة بضم الباء ((**جبُلاً**)) والقراءة هذه سبعية وإلا شاذة ؟ وفي قراءة سبعية نعم ، إذا قال وفي قراءة أو قال مثلاً بضم الباء وسكونها فهي سبعية لكن إذا قال وقرئ فهي شاذة هذا اصطلاح المؤلف طيب إذاً فيها قراءتان سبعيتان ((**جُبْلاً**)) و ((**جُبُلاً**)) فيها قراءة ثالثة ما ذكرها المؤلف ((**جِبِلاًّ كثيراً**)) وفيها قراءة رابعة ((**جِبِلاً**)) بدون تشديد اللام ولكن المؤلف رحمه الله ليس تفسيره جمعاً للقراءات إنما يذكر ما رأى أن المصلحة تقتضي ذكره ولكن على كل حال لاشك أنه لو ذكرها لكان أحسن لأنه أحياناً يذكر قراءات متعددة في صفة الحرف كما يذكر قراءات متعددة التي تبلغ إلى ست قراءات في مثل ((**أأنذرتهم**)) من التسهيل والتحقيق والحذف وما أشبه ذلك ولكن الإنسان بشر أحياناً يغفل ويهمل ما ينبغي أن يذكر أو يذكر ما لا يحتاج أن يذكر

((**لقد أضل منكم جبلاً**)) أي خلقاً ((**كثيراً**)) ولا يعني ذلك أن الأكثر لم يضلل من قبل الشيطان بل هو أضل أكثر الخلق ، أكثر الخلق أضلهم الشيطان لأنه ثبت في الحديث الصحيح (**أن الله يوم القيامة يقول : يا آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول : أخرج من ذريتك بعثاً إلى النار يقول : يا رب وما بعث النار قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون**) هؤلاء كلهم في النار من بني آدم وواحد في الجنة فشق ذلك على الصحابة وعظم ذلك وقالوا : " **أينا ذلك الواحد يا رسول الله** " قال : (**أبشروا فإنكم في أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج**) وهو كذلك من شاهد الخلق الآن ونحن في جزء بسيط من العصور وجد أن تسعمائة وتسع وتسعين كلهم على ضلال حتى المنتسبين منهم إلى الدين الإسلامي عندهم ضلال عظيم يبلغ بهم الكفر وإن كانوا منتسبين إلى الإسلام طيب إذاً المراد بالكثير هنا الأكثر ؟ نعم المراد الأكثر ((**جبلاً كثيراً**)) قال : ((**أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ**)) الهمزة هنا للاستفهام والمراد بالاستفهام هنا التوبيخ يوبخهم على عدم العقل والفاء هنا عاطفة والمعطوف عليه إما ما سبق وإما جملة مقدرة مناسبة للمقام رأيان لأهل العلم فمنهم من يقول : إن حرف العطف يعطف ما بعده على ما قبله ولكن في الكلمة تقديم وتأخير بين حرف العطف والهمزة ولو جعل كل واحد مكانه لكان اللفظ فألم تكونوا تعقلون ، ومنهم من قال : إن الهمزة في محلها وإن الفاء عاطفة على مقدر يفهم من المقام أو من السياق هذا

في الحقيقة قد يكون أقعد يعني أقرب إلى القواعد لكنه أصعب إذا أنك في بعض المواضع لا تستطيع أن تقدر شيئاً ولا تعلم أي شيء مناسباً فحينئذ يكون الثاني الأيسر والقاعدة عندي فيما إذا اختلف النحويون في مسألة أن الراجح هو الأيسر ما لم يلزم منه اختلاف معنى ويكون المعنى التابع للأيسر غير صحيح فحينئذ لا نتبع الأيسر لأنه يخل بالمعنى ويؤدي إلى معنى غير صحيح لكن ما دام المعنى مستقيماً على الوجهين فالأيسر هو الراجح **(يسروا ولا تعسروا)**

((أفلم تكونوا تعقلون)) يعني أنه وبخهم على عدم عقلهم والعقل نوعان : عقل بمعنى الإدراك وهو الذي يترتب عليه التكليف ، وعقل بمعنى التصرف وهو الذي يترتب عليه المدح أو الذم ، العقل عقلان : عقل بمعنى الإدراك وهو الذي يترتب عليه التكليف وإن شئت فقل هو مناط التكليف والذي يقول فيه الفقهاء من شروط العبادة العقل ، عقل آخر بمعنى التصرف وهو الذي يترتب عليه المدح والذم ، أيهما المراد هنا ؟ المراد الثاني قطعاً ، لأنهم لو انتفى عنهم عقل الإدراك لم يكونوا مكلفين ولا يتوجه إليهم اللوم لكنهم انتفى عنه عقل التصرف فلم يحسنوا التصرف فصاروا عقلاء غير عقلاء ، عقلاء باعتبار الإدراك المترتب عليه التكليف ، غير عقلاء باعتبار التصرف المرتب عليه المدح أو الذم ، فهم في الحقيقة وإن أعطوا عقولاً أو بعبارة ثانية إن أعطوا ذكاءً لم يعطوا عقلاً وما أحسن عبارة شيخ الإسلام رحمه الله في المتكلمين حيث قال في وصفهم : " **إنهم أوتوا ذكاءً وما أوتوا ذكاءً وأوتوا فهوماً ولم يؤتوا علوماً وأوتوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذا كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا يستهزءون** " أوتوا ذكاءً وما أوتوا زكاءً نسأل الله العافية فكان ذكاؤهم حجة عليهم وأوتوا فهوماً عندهم فهم لكن ما عندهم علم والإنسان إذا تكلم بفهمه لا بعلمه ضل وضاع فلابد من علم تبني عليه عقيدته وعبادته ، المهم أن هؤلاء أوتوا عقولاً تقوم بهم عليهم الحجة ولكنهم حرموا من العقول التي يترتب عليها المدح والذم التي هي الرشد وحسن التصرف فما استعملوا عقولهم التي أنعم الله بها عليهم ما استعملوها فيما ينفعهم **((أفلم تكونوا تعقلون))** يقول رحمه الله : **((أفلم تكونوا تعقلون))** " **عداوته وإضلاله أو ما حل بهم من العذاب فتؤمنون** " يعني لو أنكم عقلتم عداوته وإضلاله أو عقلتم ما حل بالمتبعين له من العذاب

والنكال لكنتم تخالفونه ولا تعبدونه ولآمنتم بالله وحده ولكن الهوى غطى الهدى كما قال عز وجل : ((**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ**))[فصلت: 17]^

ثم قال سبحانه وتعالى : ((**هذه جهنم**)) قال المؤلف في تفسير الكلام : " **ويقال لهم في الآخرة هذه جهنم** " ((**هذه**))... الإشارة هنا إلى قريب لأن إشارة البعيد يا هداية الله .

الطالب : ...

الشيخ : بأولاء كذا ((**هذه جهنم**)) لكن إشارة البعيد بأولاء للجماعة وإشارة البعيد للواحد تلك مثلاً أو ذلك طيب هنا يقول : ((**هذه جهنم**)) إشارة إلى قربها منهم لأنه يؤتى بها يوم القيامة (**تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام يقوده سبعون ألف ملك**)، تقاد ويؤتى بها ويشاهدها الناس ويلحقهم من الرعب العظيم ما لا يقدر الواصفون على وصفه ويقال لهؤلاء المجرمين : ((**هذه جهنم التي كنتم توعدون**)) بها وفي آية آخرى قال الله فيها : ((**يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**))[الطور :15 16]^كانوا في الأول قبل أن يدعون إليها كانوا يقال لهم ((**التي كنتم توعدون**)) فإذا دعوا إليها والدع يدل على أنهم يتراجعون على أعقابهم خوفاً منها ولكنهم يدفعون دفعاً بقوة والعياذ بالله إليها ويقال : ((**هذه النار التي كنتم بها تكذبون**)) التكذيب عنف في رد الحق والدع عنف ولا لا ؟ عنف فصار الجزاء من جنس العمل أما حين عرضت عليهم وقربت منهم فقيل لهم : ((**هذه جهنم التي كنتم توعدون**)) وهنا إشكال وهو أنه قيل : إن الوعد في الخير والإيعاد في الشر وعليه قول الشاعر :

" **وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز الموعد** "

وهنا قال : ((**توعدون**)) نقول : نعم الأمر كما قال المفسر على حذف معلوم وهو قوله : ((**بها**)) توعدون بها لا توعدونها لو قال توعدونها لصار للإشكال محل فإن الجنة قال الله فيها : ((**جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ**))[الفرقان:15]^((**وعد الله الذين آمنوا**

وعملوا الصالحات جنات)) لكن هؤلاء وعدوا بها يعني أنه قيل لهـم : إنكم سوف تلاقونها وهذا هو الواقع ثم ذكر ...نعم عادل .

الطالب : ...

الشيخ : إيش ؟ قوله ولا قوله ؟

الطالب : ...

الشيخ : نعم ، نعم ، ...

الطالب : ...

الشيخ : عطف الإنشاء على الخبر هذا جائز ما في مانع ، فيه خلاف لكـن يصح جوازه ً ما دام أنه مستقيم قال : **((قَالَ يَا قَـوْمِ أَرَهْطِـي أَعَـزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّـهِ وَاتَّخَـذْتُمُوهُ وَرَاءَكُـمْ ظِهْرِيًّـا)**)[هـود:92]^ هـذا عطف خبر على إنشاء كذلك العكس ولا مانع نعم .

الطالب : ...

الشيخ : نعم ، نعم تقرير بمعنى أن هذا الشيء واقع فهـو تقريـر يتضـمن توبيخ ، أحياناً الإنسان يتضمن توبيـخ ، المهـم أن هـذا الشـيء يقـر يعنـي ثابت معنى التقرير أنه شيء ثابت ثم قد يكون منحة وقد يكون محنــة إذا كان محنة فهو توبيخ وتنويع إذا كان منحة فهو ثناء ، **((ألـم نشـرح لـك صدرك)**) ألم يقولوا إنها للتقرير ، طيب ، هل تفيـد التوبيـخ واللـوم وإلا الثناء والمدح ؟ الثناء والمدح لأن معنى التقرير أن هذا الشـيء ثـابت ثـم قد يكون المراد بهذا أو هذا حسب ما يقتضيه السياق نعم .

الطالب : ...الكافرين لئلا...

الشيخ : إن الله يحب إيش ؟

الطالب : ...

الشيخ : نعم ، لا هذا وهذا كله كما جاء في الحديث : **(ما من أحد أحب إلى أن يعذر من الله)** الله سبحانه وتعالى يحب أن يعـذر مـن نفسـه ويقيم الحجة على غيره كلاهما أو كلتاهما صحيح نعم .

الطالب : ...

الشـيخ : أي نعـم أبـو هريـرة مـا أطـاعه إلا حينمـا قـال لـه الرسـول : **(صدقك وهو كذوب)** أقره الرسول عليه الصلاة والسلام نعم .

الطالب : ...

الشيخ : ثم إنه أيضاً أمره –الشيطان- أمره بشيء يعلـم أبـو هريـرة أنـه خير وهو قراءة القرآن لكن ما علم أنها تحميه من الشيطان إلا بعد إقرار الرسول له .

الطالب : ...
الشيخ : أي نعم .
الطالب : ...
الشيخ : نعم ، ...أسئلة ، يأجوج ومـأجوج ...الـذين يرونهـم بعـض العامـة يقول : يأجوج ومأجوج هؤلاء ما هم من بني آدم وأنهم مختلفـون اختلافـاً عظيماً منهم من يترادف العشرة أو العشرين على المـد مـن الطعـام لا يبلغون أعلاه نعم ومنهم مـن هـو كبـار الأجسـام طـوال الآذان لـه أذنـان يفترش إحداها ويلتحف بالأخرى نعم يختلفون لكن الصحيح أنهم من بنـي آدم لا شك في ذلك .
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالى : **((هذه جهنـم الـتي كنتم توعدون))** أي توعدون بها ولكنهم كانوا بها مكذبون كما قال الله تعالى في سورة الطور : **((هذه النار الـتي كنتـم بهـا تكـذبون))** فهم وعدوا بها أي توعدوا بها ولكنهـم كـذبوا والعيـاذ بـالله ويـوم القيامـة يوبخـون علـى هـذا التكـذيب ويقـال : **((هـذه جهنـم الـتي كنتـم توعدون))** و **((هذه النار التي كنتم بها تكذبون))** طيب .
قال الله تعالى : **((اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ))** يعنـي يقـال لهم : **((اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون))** وهذا الأمـر أمـر كـوني أو شرعي ؟ هذا أمر كوني إن كان من الله وإن كان ممن أمرهم اللـه أن يقولوا ذلك من الملائكة فهو أيضاً أمر كوني والمـراد بـه الإهانـة والإذلال وإلا من المعلوم أنهم لن يستطيعوا أن يصلوها لكن يقال ذلك على سبيل الإهانة والإذلال ، **((اليوم))** أل هنا للعهد الـذكري وقـد يكـون بالنسـبة لمخاطبة هؤلاء الكفار للعهد الحضوري يعنـي هـذا اليـوم الحاضـر اصـلوا النار فيه يتردد علينا كثيراً العهـد الـذكري والحضـوري والـذهني فمـا هـو الفرق بين هذا يا عثمان أو أحمد عثمان ؟ إي نعم ، هداية الله .
الطالب : ...الذكري ...
الشيخ : الذكري الحضوري ، العهد الحضوري .
الطالب : العهد الحضوري ...
الشيخ : نعم ، طيب .
الطالب : والعهد الذكري أي سبق ذكره في الكلام مثل قوله تعالى ..
الشيخ : طيب لا غير أمثلة .
الطالب : يعني ...
الشيخ : الذهني .

الطالب : العهد الذهني أي أنه يعود إلى الذهن ...
الشيخ : نعرف بس خلاص كذا إذاً العهد الحضوري ما كان معهوداً لحضوره ، والذكري ما كان معهوداً لذكره ، والذهني ما كان معهوداً في الأذهان فمثلاً إذا قلنا اذهب إلى القاضي وأنت مثلاً في البلد إلى أي قاضي تذهب ؟ إلى قاضي البلد نفسها لأن هذا معلوم في الذهن ، الحضوري إذا قلت مثلاً : اليوم نكرمك هذا حضوري كقوله تعالى : **((اليوم أكملت لكم دينكم))** طيب ، العهد الذكري ما سبق عليكم مثل
((كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ))[المزمل:16]^ يعني الرسول المذكور ما هو رسول آخر هنا **((اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون))** الذي يظهر أنه عهد حضوري وقوله : **((بما كنتم تكفرون))** **((ما))** مصدرية أي بكونكم تكفرون والباء للسببية أي بسبب وقوله : **((بما كنتم تكفرون))** أي تكفرون به في الدنيا فقد كفروا بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وبكل ما أخبر الله به ولهذا لم يقوموا بطاعته لأنهم ليس عندهم إيمان قال الله تعالى : **((اليوم نختم على أفواههم))** نعم وإنما يقال لهم :
((بما كنتم تكفرون)) لإقامة الحجة عليهم وبيان أنهم لم يظلموا ولهذا **((كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ))**[الملك 8:9]^
((الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ)) ((اليوم)) يعني يوم القيامة **((نختم على أفواههم))** أي الكفار لقولهم :
((وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)) ((وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ)) وغيرها **((بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))** فلكل نعم فكل عضو ينطق بما صدر منه **((الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ))** الختم على الشيء بمعنى إغلاقه وعدم الوصول إليه ومنه ختمت الكيس إذا أحكمته سده وختمت عليه بالشمع ونحوه ، ومعنى **((نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ))** أي نسدها فلا تتكلم وذلك أن المشركين يوم القيامة إذا رأوا الموحدين قد نجوا تكلموا وتبرءوا من الشرك وقالوا **((والله ربنا ما كنا مشركين))** .

لأننا غير مشركين لعلنا ننجوا كما نجا أهـل التوحيـد وحينئـذ يختـم علـى أفواههم لأن أفواههم صارت تتكلم بماذا ؟ بالكذب فيختم علـى أفـواههم وتنطق الجوارح والجلود ، الجوارح بما عملـت والجلـود بمـا مسـت فـإن الجلد يمس المحرمات كمس المرأة بشهوة مثلاً فتشهد عليهم الجـوارح ولهذا قال عز وجل : **((وتكلمنا أيديهم))** نفس اليد تقول عملت كذا ، عملت كذا ، عملت كذا **((وتشهد أرجلهـم))** نفـس الأرجـل تشـهد تقول : أشهد أنه عمل كذا وكذا وتأمل الفرق بين اليد والرجل فاليد قـال : **((تكلمنا أيديهم))** في الأرجل قال :
((تشهد)) لأن اليد تخبر عما فعلت والرجـل تخـبر عمـا فعـل غيرهـا ، قالوا : لأن الأصل في المباشرة ما هي ؟ اليد ولهذا دائماً يعلـق الكسـب باليـد فيقـال : **((بمـا كسـبت أيـديكم))** أو **((بمـا كسـبت أيـدي الناس))** أو
((بما كسبت أيديهم)) فلهذا كانت الأيدي مباشرة ، والأرجل شاهدة لأن الشاهد هو الذي يخبر عما فعل غيره ، والفاعل هـو الـذي يخـبر عمـا فعل هو بنفسه هكذا قال بعض أهل العلـم وهـو فـرق لا بـأس بـه مـع أن الإنسان قد يشهد على نفسه كقوله تعـالى : **((يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ))**[النساء: 135] فإقرار الإنسان على نفسه شهادة عليها لكن الفـرق الـذي أشـار إليه بعض العلماء ونقلناه لكم فرق لا بأس به
((وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون)) كذا عندكم طيب **((بما كانوا يكسبون))** قال : **((وتشهد أرجلهم))** " وغيرهـا " المؤلـف قال : وغيرها ، ولا يعني ذلك أنه يسـتدرك علـى القـرآن لكنـه ينبـه علـى موضع آخر من القرآن ففي آية أخرى بين اللـه تعـالى أنـه تشـهد عليهـم الجلـود **((وَمَـا كُنْتُـمْ تَسْـتَتِرُونَ أَنْ يَشْـهَدَ عَلَيْكُـمْ سَـمْعُكُمْ وَلا أَبْصَـارُكُمْ وَلا جُلُـودُكُمْ))**[فصـلت:22] لا قبلهـا **((حَتَّـى إِذَا مَـا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـارُهُمْ وَجُلُـودُهُمْ بِمَـا كَـانُوا يَعْمَلُونَ))**[فصلت:20] السمع والبصر ذكروا هنا وإلا ما ذكر ؟ هنـا مـا ذكرت ، هنا ذكرت الأيدي والأرجل ، السـمع والبصـر والجلـود مـا ذكـرت ولهذا قال المؤلف : " وغيرها " إشارة إلى أن هنـاك أعضـاء تشـهد غيـر الأيـدي والأرجـل **((حَتَّـى إِذَا مَـا جَاءُوهَـا شَـهِدَ عَلَيْهِـمْ سَـمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ))** السمع بما سمع يا عـادل ، والبصـر بمـا رأى والجلـد بمـا مس ، **((وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا))** [فصـلت:21] ولـم

يقل وقالوا لأبصارهم وسمعهم لم شهدتم لأن عذاب الجلد عام يشمل الجسد كله لكن عذاب السمع والبصر خاص بالسمع والبصر ولهذا ((**وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا**)) لأن العذاب سيكون على الجلود كما قال تعالى : ((**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**))[النساء:56] الحاصل هنا أنه يشهد غير الأيدي والأرجل فتكون الشهداء كم ؟ خمسة الأيدي والأرجل والسمع والبصر والجلود

يقول : ((**بما كانوا يكسبون**)) قوله : ((**بما كانوا يكسبون**)) تنازعه عاملان : الأول : ((**تكلم**)) والثاني : ((**تشهد**)) والتنازع أن يتوارد عاملان على معمول واحد مثل أن تقول : أكرمت ورأيت زيداً فإن أكرمت ورأيت عاملان على معمول واحد وهو زيد ، أما أيهما يعمل هل هو الأول ولا الثاني ؟ فالعلماء اختلفوا في ذلك يقول ابن مالك :

" **وَالْثَّانِ أَوْلَى عِنْدَ أَهْلِ الْبَصْرَهْ وَاخْتَار عَكْسَاً غَيْرُهُمْ ذَا أسْرَهْ** "

العامل الثاني هو الذي عند البصريين وعند الكوفيين الذي يعمل هو الأول طيب ((**تشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**)) ولم يقل بما كانوا يعملون لأن العمل قد لا يكون من كسب الإنسان قد يكون العمل خطأ فلا يؤاخذ به الإنسان فلا يعاقب به الإنسان فلا يكون من كسبه بل الذي يكون من الكسب هو العمل الذي يترتب عليه الثواب إيش ؟ أو والعقاب ولهذا قال الله تعالى في سورة البقرة : ((**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**))[البقرة:286] ولم يقل لها عملت وعليها ما عملت فالكسب أخص من العمل لأنه لا يلزم من كل عمل أن يكون إيش ؟ كسباً قد يكون وقع عن سهو أو عن جهل فلا يؤاخذ به الإنسان وقد يكون عن غير قصد فلا يؤاخذ به الإنسان لكن مع ذلك أحياناً يطلق العمل ويراد به العمل الذي هو الكسب مثل قوله تعالى : ((**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا**))[فصلت:46] يقول : ((**بما كانوا يكسبون**)) فكل عضو ينطق بما صدر منه اليد تنطق بما بطشت ، والرجل بما مشت والعين بما رأت والأذن بما سمعت طيب والجلد بما مس ، في سورة النور ذكر الله أن الألسن تشهد نعم ((**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**))[النور: 24] إذاً نضيف هذا إلى الخمسة تكون ستة اللسان أيضاً يشهد عليهم لأن اللسان هو أعظم الجوارح خطراً لقول النبي صلى الله عليه وسلم

لمعاذ : **(ألا أدلك على ملاك ذلك كله)** قلت : **" بلى يا رسول الله فأخذ بلسان نفسه وقال : (كف عليك هذا) قلت يا رسول الله : " إنا لمؤاخذون بما نتكلم به "** قال : **(ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)** وكل صباح تكفر الجوارح اللسان يعني أنها تجعل الأمر منوطاً به ولهذا قال في سورة النور : **((يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ))** ونص على الألسن في سورة النور لأنه ذكر فيها ما يتعلق بذلك من الأمور العظيمة كالقذف مثلاً وأعظمه قذف عائشة رضي الله عنها ولهذا ذكرت في سورة النور الألسن لأن القذف قول فقال : **((يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))** قال الله سبحانه وتعالى : **((بما كانوا يكسبون))** وكل عضو ينطق بما صدر منه

قال : **((وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ))** لأعميناها طمساً **((فَاسْتَبَقُوا))** ابتدروا **((الصِّرَاطَ))** الطريق ذاهبين كعادتهم **((فَأَنَّى يُبْصِرُونَ))** فكيف يبصرون حينئذ أي لا يبصرون ، **((وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ))** قردة وخنازير أو حجارة **((عَلَى مَكَانَتِهِمْ))** وفي قراءة **((مكاناتهم))** جمع مكانة بمعنى مكان أي في منازلهم **((فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ))** أي لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء .

قوله : **((ولو نشاء))** **((لو))** هذه حرف إيش ؟ امتناع لوجود ما الذي امتنع ؟ الطمس امتنع ليش ؟ لامتناع المشيئة فإذا هي حرف امتناع لامتناع المشيئة لو جاء زيد لأكرمته امتنع المجيء والإكرام لكن لولا حرف امتناع لوجود ولما حرف وجود لوجود فهذه الثلاثة أدوات تنازعت الوجود والعدم

لو جاء زيد لأكرمته امتناع لامتناع

لولا زيد لأكرمتك امتناع لوجود نعم

فإن شئت قل لولا زيد مجيء لأكرمتك عشان ننتظر عندنا مثلين ، طيب هنا **((لو نشاء))** حرف امتناع لامتناع امتنع المسخ لامتناع المشيئة ، فقوله عز وجل : **((لو نشاء لطمسنا أعينهم))** **((نشاء))** هذه جمع ، **((نشاء))** الضمير ضمير جمع يعني لو نشاء نحن وهذا من المشتبه لأن النصراني ادعى تعدد الآلهة بمثل هذا الضمير قال الله عز وجل يعبر عن نفسه بنحن ونشاء ونريد وما أشبه ذلك إذاً هو متعدد

ولكننا نرد عليه بأن الجمع هنا للتعظيم وليس للتعـدد لأنـك عميـت عينـك وعميت بصيرتك عن الآيات الصريحة المحكمة الدالـة علـى أن اللـه إلـه واحد ((**إنما الله إله واحد**)) ولكن كما قال اللـه عـز وجـل ((**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْـهُ**))[آل عمـران:7] إذاً الضمير((**نشاء**)) وهو ضمير جمع نحن هذا للتعظيم وليـس للجمـع قطعاً لأن الله واحد

((**لطمسنا على أعينهم**)) قال : " **أعميناها طمساً** " والطمس أبلغ من الإعماء لأن الطمس إزالة العين مرة واحدة ليس له أثر والعمـى يكون مع بقاء العين لكن قد تكون قائمة في صورتها وقـد تختلـف المهـم أن الطمس إزالة العين ومعالمها نهائياً لـو شـاء اللـه تعـالى لفعـل ذلـك حتى بعد وجود العين وإلا لن يخلق فيهم أعيناً ...بعـد وجـود العيـن يعنـي وقال لطمسنا على أعينهم والله عز وجل على كل شيء قدير فكما كـان قادراً عل شق العين فهو قادر على طمس ذلك الشـق وإذا كـان البشـر ربما ... الشق حتى يتلائم فما بالك بالخالق عز وجل الذي يقول للشـيء ((**كن فيكون**)) ((**فاستبقوا الصراط فأنى يبصـرون**)) يعنـي طمس على أعينهـم فصـاروا يتسـابقون لعلهـم يـدركون الطريـق الـذي يوصلهم إلى مقصودهم نعم كأنك تتصورهم الآن يتنـافرون تنـافر الحمـر لعلهم يهتدون إلى الطريق وهل هذا ممكن ؟ هل يمكن للأعمى أن يضـل الطريق ؟ لا من حيث الدلالـة البصـرية لا يمكـن ولهـذا قـال : ((**فأنى يبصرون**)) يعنـي كيـف يبصـرون الطريـق وقـد طمـس اللـه أعينهـم والمقصود بهذه الآيـة المقصـود أن اللـه سـبحانه وتعـالى طمـس قلـوب هؤلاء ولو شاء لطمس على أعينهم فصار الطمس حسـياً معلومـاً وكمـا أن المطموسة عينه لا يبصر فكذلك المطموسة بصيرته لا يبصـر الحـق ، كيف يمكن لإنسان طمس الله بصيرته أن يبصر الحق ويهتدي هذا شـيء متعذر كما أن من طمس الله بصره لا يمكن أن يهتدي إلى الطريق

قـال : ((**وَلَـوْ نَشَـاءُ لَمَسَـخْنَاهُمْ عَلَـى مَكَـانَتِهِمْ**)) الأول ((**لطمسنا على أعينهم**)) انتفاء الدلالة ، والثاني انتفاء ... ((**وَلَـوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ**)) مسـخناهم قيـل المـراد بالمسـخ كما قال المؤلف : " **قردة وخنازير وحجارة** " وقيل : المراد بالمسخ الإبقاء على ما هم عليـه يعنـي يمسـخون علـى مكـانتهم فلا يسـتطيعون التحرك وهو آدمي لكن ممسوخ لا يستطيع الحراك فأياً كان فـالله علـى كل شيء قدير وقد قلب الله تعالى بني آدم قردة وخنازير .

الطالب : ...
الشيخ : بني إسرائيل ، أي نعم ((**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**))[البقرة:65] ((**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**)) [المائدة:60] فالله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير والنبي عليه الصلاة والسلام قال : (**أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار أو يجعل صورته صورة حمار**) والأمر هين على الله سبحانه وتعالى يقول : ((**كن فيكون**))
فيقول : ((**وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ**)) أي حولنا صورهم إلى صور أخرى من القردة والخنازير أو جعلناهم حجارة أو أننا أبقيناهم ماكثين كالجماد المهم أن الله سبحانه وتعالى لو شاء لمسخهم وأبقاهم في مكانهم ما يتحركون ولهذا قال : ((**فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ**)) يعني فما استطاعوا أن ينظروا لماذا ؟ لأنه مسخوا على مكانتهم وبقوا ثابتين ولا يستطيعون أن يرجعوا والذي لا يستطيع أن يمضي أو يرجع معناه ثابت كالعمود لا يتقدم أماماً ولا يتأخر خلفاً لو شاء الله عز وجل لمسخهم على هذا حتى ظهر أمرهم محسوساً ، أما بالنسبة للآخرين والتقدم معهم فهم لن يتقدموا إلى الخير معنى ولكن تأخروا عنه إلى الشر ولهذا كان سيرهم الذي يسيرون عليه في العمل عكس الاتجاه الصحيح بل مضاد له تماماً ((**فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون**)) قال الله تعالى : ((**وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ**)) نقف على هذا...إيش تقولون فيه ؟ حرف استفهام استفهام بمعنى النفي يعني فلا يدخلوا نعم .
انتهينا إلى قوله تعالى : ((**وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم**))
قال الله عز وجل ((**ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون**)) هذا مبتدأ الفوائد .
الطالب : ...
الشيخ : على هذا ، يستفاد من هذه الآية الكريمة فوائد :
أولاً : بيان عداوة الشيطان لبني آدم حيث أضل منهم جبلاً كثيراً أي خلقاً كثيراً عظيماً .
ومنها : الحذر بل التحذير من الشيطان وإغوائه لأنه لا يمكن أن يسعى لهداية الخلق أو لهداية بني آدم وإنما يسعى لإضلالهم .

ومنها : أن من اتبع الشيطان في إغوائه وإضلاله فهو غيـر عاقـل لقـوله : **((أفلم تكونوا تعقلون))** .
ومنها : أن من ساء تصرفه صح أن ينفى عنه العقل وإن كان عاقلاً عقـل إدراك لقوله هنا : **((أفلم تكونوا تعقلون))** وقد مر علينـا أن العقـل عقلان : عقل هو مناط التكليف وهـو عقـل الإدراك وعقـل منـاط المـدح والذم وهو عقل التصرف الذي يكون به الرشد .
ومنهـا : توبيـخ ولـوم مـن تبـع الشـيطان فـي إضـلاله لقـوله : **((أفلم تكونوا تعقلون))** .
ثم قال عز وجل : **((هذه جهنم الـتي كنتـم توعـدون))** فـي هـذا إثبـات نـار جهنـم وأنهـا تشـاهد عيانـاً يـوم القيامـة لقـوله : **((هذه))** والإشارة تكون إلى مشار إليه محسوس .
ومنها : بيان صفة النار وأنها والعياذ بالله كلها ظلمة وكلها سـواد لقـوله : **((جهنم))** لأنها من الجهمة أي الظلمة والسواد .
ومنها أيضاً : تقرير هؤلاء وإظهار خطئهم في تكذيبهم لقـوله : **((الـتي كنتم توعدون))** .
ومنها من فوائد الآية : صدق وعد الله سبحانه وتعالى حيث صـدق وعـده بما وعد به هؤلاء المكذبين حتى شاهدوا ما وعدوا به عياناً .
ثم قال عز وجل : **((اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون))** من فوائد هذه الآية الكريمة : بيان أن هـؤلاء المكـذبين يـؤمرون أمـر إهانـة وإذلال ليصلوا النار لقوله : **((اصلوها اليوم))** .
ومن فوائدها : إثبات الأسباب لقوله : **((بما كنتم تكفرون))** وإثبـات الأسباب أمر معلوم بالشرع والعقل والحس ولا ينكـر إثبـات الأسـباب إلا جاهل بحقيقـة الواقـع فـإنه لا أحـد ينكـر أنـك إذا رميـت الزجاجـة بحجـر انكسرت به وإذا ألقيت الورق في النار احترق بها لا ينكر هـذا إلا شـخص مكابر في الواقع ومع هذا فهل الأسباب تفعل بذاتها أو تؤثر بذاتها ؟ لا بل بخلق الله سبحانه وتعالى التأثير فيها وحينئذ لا يكون لإثبات الأسباب أو لا يكون في إثبات الأسباب شيء من الشرك خلافاً أن مـن زعـم أن إثبـات تأثير الأسباب نوع من الشرك لأن وقوع هذه الأسباب إنما تـؤثر بـإيش ؟ بخلق الله عز وجل التأثير فيها ولهذا إذا شاء اللـه ألا تـؤثر لـم تـؤثر فـإن النار طبيعتها الإحراق ومع ذلك لم تحرق إبراهيـم عليـه الصـلاة والسـلام بل كانت برداً وسـلاماً عليـه لأن اللـه قـال : **((كوني بـرداً وسـلاماً على إبراهيم))** .

ومنها : كمال عدل الله سبحانه وتعالى لقوله : **((اصلوها اليـوم بمـا كنتم تكفرون))** أي فلم تظلموا بل أنتم الذين فعلتم ذلك بأنفسهم .
ثم قال عز وجل : **((الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْـوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَـا أَيْـدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))** من فوائد الآيـة الكريمـة : أن الله سبحانه وتعالى يختم على أفواه المكذبين يوم القيامـة فلا يتكلمـون وقد سبق لنا الجمع بين هذه الآية وبيـن قـوله تعـالى عنهـم : **((ثُمَّ لَـمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّـا مُشْـرِكِينَ))**[الأنعـام: 23] وما هو الجمع ؟
الطالب : ...
الشيخ : أحسنت إذاً يكون للقيامة أحوال حال يكذبون وحالة يقرون لكن بعد أن تشهد عليه أيديهم وأرجلهم .
ومـن فوائـد الآيـة الكريمـة : بيـان قـدرة اللـه سـبحانه وتعـالى لقـوله : **((تكلمنا أيـديهم وتشـهد أرجلهـم))** فـإنه خلاف العـادة أن تكلـم الأيدي والأرجل ولكن الله على كل شيء قدير ولهذا لما ذكر اللـه عنهـم أنهم قالوا
((لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَـا اللَّـهُ الَّـذِي أَنطَـقَ كُلَّ شَيْءٍ))[فصلت:21] .
ومن فوائد الآية الكريمة : أن الإنسان يمكن أن يشهد بعضـه علـى بعـض لأن هذا الرجل الواحد تشهد عليه أعضاؤه بما عمل فهل يتفرع على هـذا أن الإنسان في الدنيا يمكن أن يشهد على نفسه ؟ نعـم يمكـن وشـهادته على نفسه هو إقراره على نفسه نعم .
ومن فوائد الآية الكريمة : أن العبرة في العمل بما كان فيه من كسـب لا مجرد العمل لقوله : **((بما كـانوا يكسـبون))** وذكرنـا فـي التفسـير الفرق بين قوله : **((بما كانوا يعملون))** و **((بما كـانوا يكسـبون))** لأن مجرد العمل قد لا يكون كسباً كما لو صدر عن جاهل أو صدر مـن ساهي أو نائم أو ما أشبه ذلك .
ثم قال تعالى : **((وَلَوْ نَشَـاءُ لَطَمَسْـنَا عَلَـى أَعْيُنِهِـمْ فَاسْـتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ))** الآيـتين فـي هـذه الآيـة الكريمـة : إثبـات مشيئة الله عز وجل لقوله : **((ولو نشـاء))** ولكـن كـل شـيء معلـق بمشيئة الله فإنه مقرون أيضاً بالحكمة لأن الله عز وجل لا يشاء مشـيئة مجـردة بـل مشـيئته تابعـة لحكمتـه ودليـل ذلـك قـوله تعـالى : **((وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًـا))**[الإنسـان:

30] وقوله : ((**إن الله كان عليماً حكيماً**)) يـدل علـى أن مشـيئته مقرونة بالعلم والحكمة .
ومن فوائد الآية الكريمـة أيضـاً : بيـان تمـام قـدرة اللـه ((**وَلَوْ نَشَـاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ**)) هذه الأعين المبصرة لو يشاء الله لطمسـها وصارت كأن لم تكن .
ومن فوائـد الآيـة الكريمـة أيضـاً : ضـرب المثـل عـن الأشـياء المعقولـة بالأشياء المحسوسة فـإن هـؤلاء لـو طمسـت أعينهـم مـا اسـتطاعوا أن يهتدوا إلى السبيل فكذلك إذا طمس الله بصيرة القلب والعياذ بـالله لـم يستطع الوصول إلى الحق ولم يعرف الحق .
ومن فوائد الآية الكريمة : كمال بلاغة القرآن لأن الله لو شاء لقال : ول و نشاء لطمسنا على أعينهم فما استطاعوا أن يذهبوا ولا يرجعوا لكن أتـى به على هذا السياق المبسط يعني أتي به توسع لأنه أبلغ في التأثير ولأنـه يكون له نغمة جيدة تهفوا إليها الأسماع وتلتذ بسماعها .
ثم قال : ((**وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْـتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ**)) أيضاً فيها إثبات المشيئة وكمال قـدرة اللـه عـز وجل .
ومن فوائدها أيضاً : أن الله سبحانه وتعالى لو شاء لأثبتهـم فـي مكـانهم بحيث لا يستطيعون الذهاب ولا الرجوع ((**فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِـيًّا وَلا يَرْجِعُونَ**)) .
ثم قال : ((**وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ**))[يس:68] وهذا مبتـدأ درس اليوم
قال الله عز وجل ((**وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنْكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ**)) الجملة هذه شرطية فعل الشـرط هـو قـوله : ((**نعمره**)) وجـوابه ((**ننكسه**)) يقول الله عز وجل : ((**من نعمـره**)) أي نجعـل عمـره طويلاً
ولهذا قال المؤلف : " **في إطالة أجلـه** " ((**ننْكسـه**)) وفـي قـراءة بالتشديد من التنكيس والقراءة الأصل هي التي جعلها المؤلف أصلاً مـن الإنكاس ، والإنكاس والتنكيـس بمعنـى الـرد مـن حـال كاملـة إلـى حـال ناقصة وقوله :
((**ننكِّسه**)) أو ((**ننْكسه في الخلق**)) يقول المؤلف في تفسيرها : " **أي خلقه فيكون بعد قوته وشـبابه ضـعيفاً** " إيـش بعـدها ؟ " **وهرماً** " نعم كلما طال الأجل

يا عمر ، ما هو هذا شأن طالب العلم خذ كتابـك وطـالع فيـه وإلا.. ائـت بالكتاب ياللا قوم

كلما طال العمر بالإنسان فإنه يرجـع إلـى الـوراء ليـس بـالقوة البدنيـة فحسب بل في القوة البدنيـة والقـوة العقليـة والقـوة الحسـية فيضـعف ويعود إلى أرذل العمر كما قال الله عز وجل ، والغـرض مـن هـذا التنـبيه وإن كان أمراً واقعاً كلنا يعرفه الغرض من هذا أن يبـادر الإنسـان عمـره ما دام في قوته وشبابه لأنـه سـيأتيه اليـوم الـذي لا يكـون عنـده القـدرة البدنيـة ولا القـدرة الفكريـة ولا القـدرة العقليـة يكـون تفكيـره محـدوداً كتفكير الصبي لا يفكر إلا فيما يحيط به جدران بيتـه ويكـون عقلـه كـذلك محدوداً لا يستطيع أن ينظر ويعقل ويفكر في الأمور ويوازن بينها ويحكم عليها كـذلك أيضـاً يكـون حسـه للأشـياء محـدوداً فيمـر بـه الشـيء فـي الصباح ولا يستطيع التعبير عنه في المساء كل هذا أمر واقع وظـاهر بـل من الناس من يسلب عقله نهائياً وربما يصل إلى حد يشبه الجنون يـؤذي أهله بالصراخ والعويل والأناشيد وما أشبه ذلك حسب ما كان عليـه حيـن الصغر حتى الإنسان إذا كان مثلاً جمالاً وكان ينشد الأشعار تجده إذا كبر وهرم يبدأ ينشد هذه الأشعار كل هذا أمر لابد منه ولهذا قال الشـاعر : " **لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بادكار الموت والهرم** "

كل إنسان عاقل إذا تذكر أن مـآله إمـا مـوت عاجـل وإمـا هـرم فـإنه لا يطيب له العيش ولكن ليس معنى لا يطيب له العيـش أنـه يبقـى نـدمان في حزن لا بل يسعى ويستعد لهذه الحال التي لابد منها قال الله سبحانه وتعالى : ((**وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْـهُ فِـي الْخَلْـقِ أَفَلا يَعْقِلُـونَ**)) لأن القادر على ذلك المعلـوم عنـدهم قـادر علـى البعـث فيؤمنـون بـه وفـي قراءة بالتاء ((**أفلا تعقلون**)) وهي سبعية كما هو معروف هكذا قـال المؤلف رحمه الله : " **أن المراد الاستدلال بتغيير حـال الإنسـان إلـى هـذه الحـال الدانيـة علـى أن اللـه تعـالى قـادر علـى أن يبعثكم** " وهذا الذي قاله ممكن لكن أحسن منه أن يقال إن معنى قوله : ((**أفلا تعقلون**)) أفلا يكون لكـم عقـل فتبـادروا أعمـاركم قبـل أن تصلوا إلى هـذه الحـال ، تبادروهـا بمـاذا ؟ بالإيمـان والعمـل الصـالح مـا استطعتم حتى إذا وصلتم إلى هذه الحالة وإذا أنتم على أتم استعداد لهـا وغالباً أن الإنسان الذي يمضي وقته في طاعة الله سـبحانه وتعـالى أنـه إذا هرم تجده لا يهتم إلا بالطاعات كثير مـن المسـلمين إذا هرمـوا تجـده يقول : أين الماء أريد أن أتوضأ أو تجده يصلي دائماً أو تجده يقرأ القرآن

دائماً أو يذكر الله دائماً وهذه من نعمة الله سبحانه وتعالى أن الإنسان يهرم على الحال التي يكون عليها وعكس ذلك سيكون بالعكس من كان في حال قوته وشبابه على غير هذا العمل الصالح سوف يكون هذيانه إذا كبر بهذا العمل السيء نعم ، قال : **((أفلا تعقلون))**

((وَمَا عَلَّمْنَاهُ)) أي النبي **((الشِّعْرَ))** رد لقولهم : إنما أتى به من القرآن شعر **((وَمَا يَنْبَغِي لَهُ))** ما يسهل له الشعر **((إِنْ هُوَ))** ليس الذي أتى به **((إِلَّا ذِكْرٌ))** عظة **((وَقُرْآنٌ مُبِينٌ))** مظهر للأحكام وغيرها

قوله : **((وما علمناه الشعر وما ينبغي له))** أما **((علمنا))** فهي تعود إلى الله سبحانه وتعالى وأن ضمير الهاء فتعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا قال قائل : أين مرجع الضمير لأن كل الآيات السابقة ليس فيها ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا : إن الضمير يعلم مرجعه من السياق السابق أو السياق اللاحق وهذا يشبه العهد الذهني في أل أو من الفهم بحيث يكون عنه مفهوماً عند المخاطب وهذا كالعهد إيش ؟ كالعهد الذهني ثم يعلم مرجع الضمير في قوله : **((إن هو إلا ذكر وقرآن مبين))** ومعلوم أن الذي جاء بهذا الذكر والقرآن المبين هو محمد صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : **((وما علمناه))** أي ما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم الشعر لأن الشعر في الواقع لو علمه الله النبي صلى الله عليه وسلم لكان في ذلك حجة للمبطلين المكذبين ولقالوا : إن هذا القرآن من جملة الشعر الذي علم إياه ولهذا لم يعلم الشعر ولم يعلم الكتابة كما قال تعالى : **((وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ))** [العنكبوت:48] يقول : **((وما علمناه الشعر))** النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل شعراً أبدا وإذا قدر أن جرى على لسانه كلام موزون وزن الشعر فإنه ليس عن قصد وإرادة وإنما جاء عفواً والذي يأتي عفواً ليس مقصوداً فلا يكون معلوماً مثل قوله صلى الله عليه وسلم : **(أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)**

فإن هذا رجز ولكنه ليس عن قصد فلا يكون ذلك تعليماً أما الشعر فإنه الكلام الموزون المقفى وسمي شعراً لأنه يأخذ بالشعور ولهذا تجد أن النظم يأخذ باللب أكثر مما يأخذ النثر يعني ربما تسمع خطبة بليغة جيدة جداً وتجد ما يماثلها في المعاني من نغم ولكنك ترى أن تأثير النظم أشد وأخذه بالشعور أكثر ولهذا سمي شعراً وبه نعرف أن ما يسمى الآن

بالشعر المنثور ليس بشعر لأنه لا يأخذ بالمشاعر ليس بشعر وليس بنـثر وإنما هو كالمنافق لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء لا يطرب إليه مـن يطربـون إلـى النـثر والخطـب ولا مـن يطربـون إلـى الشـعر والقصـائد فهـو فـي الحقيقة ليس بشيء ولكن لكل امرئ من دهره مـا تعـود الـذين أحـدثوه يطربون له ويرون أنه أشد شاعرية من شـعر امـرئ القيـس نعـم فنحـن نقول : إن الشعر هو الـذي يأخـذ بالمشـاعر يعنـي يكـون كلامـاً موزونـاً مقفى يأخذ باللب يقول : **((وما علمناه الشـعر))** قـال المؤلـف : " **رداً لقولهم إنما أتى به مـن القـرآن شـعر** " والمكـذبون والـذين يقومون ضد أي إنسان لا بد أن يصفوا قوله بالمعائب لماذا ؟ من أجل أن ينفـروا النـاس عنـه ولكـن كمـا قـال اللـه عـز وجـل : **((يُرِيـدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ))**[التوبة: 32] قال الله سبحانه وتعالى في سورة الـذاريات : **((كَذَلِكَ مَـا أَتَـى الَّـذِينَ مِـنْ قَبْلِهِـمْ مِـنْ رَسُـولٍ إِلَّا قَـالُوا سَـاحِرٌ أَوْ مَجْنُـونٌ))** [الذاريات:52]

كل الرسل وصفوا بهذين الوصفين من أعدائهم السحر والجنون ومحمـد عليه الصـلاة والسـلام أيضـاً وصـف بـذلك وصـفوه بـأنه سـاحر وشـاعر ومجنون وكاهن وكذاب كل ذلك من أجل أن ينفروا الناس عنه ولكن هـل حصل الأمر هل نفر الناس ؟ أبداً لأن الحق والحمد لله سيعلو مهما قوبل من صدمات فإن العاقبة له فإذا قال قائل : هذا الوصـف للرسـول عليـه الصلاة والسلام هل يتعدى إلى أتباعه ؟ فالجواب نعم كل مـا وصـفت بـه الرسل يوصف بمثله أتباعهم ، ألم تعلموا أن المجرمين إذا رأوا المؤمنين يقولـوا : إن هـؤلاء لضـالون يصـفونهم بالضـلال وفـي عصـرنا يصـفونهم بالرجعية والتأخر وما أشبه ذلك من الكلمات التي ينفروا الناس بهـا عـن الحق ، وأهل البدع يصفون أهل السنة والجماعة بألقاب السوء يقولون : إنهم نوابت غثاء حشو حشوية مجسمة مشبهة وما أشبه ذلك كل هذا من أجل التنفير عما هم عليه ولكن الحمـد للـه أن الأمـر يكـون ثوابـاً لهـؤلاء الذين يصفون بهذا ... وامتحاناً لهم والصبر على ما هم عليه من الحق ثم العاقبة تكون لهم .

قال : وما يسهل له الشعر يعني ليس سهلاً بل هو صعب عليه إنشاءً وصعب عليه إنشاداً يعني هو عليه الصلاة والسلام إذا أنشد الشعر ... ينشده أحياناً على غير الوزن المعروف لأنه ليس له عناية بالشعر أو تحفظاً أما بنفسه فلا ينشد ولكن الأولى أن نفسر هنا **((ما ينبغي))** أي ما يمكن ولا يصلح له ولا يليق به لأنها كلما جاءت في القرآن **((ما ينبغي))** فإن المراد بها الممتنع غاية الامتناع كما في قوله تعالى : **((وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا))**[مريم:92]^ليس معنى **((ما ينبغي))** يعني أنه ما طيب ولكن يمكن لكنه مستحيل غاية الاستحالة مثل قوله : **((لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ))** فإن هذا شيء مستحيل أن تسبق القمر وهذا حسب العادات مما يتعلق بالشيء **((وما ينبغي له))** أي ما يمكن ولا يليق به عليه الصلاة والسلام أن يكون شاعراً **((إن هو إلا ذكر وقرآن مبين))** قال المؤلف **: " ليس الذي أتى به إلا ذكر "** فأفادنا أن **((إن))** هنا نافية يعني ما هو إلا ذكر **((إن))** مقصورة الهمزة تأتي لعدة معان : نستذكرها الآن وإن كانت قد مرت علينا ، الأول فهد .

الطالب : ...

الشيخ : نعم نافية كما هنا وعلامتها غالباً أن يأتي بعدها إلا ، طيب والثانية .

الطالب : ...

الشيخ : شرطية مثل إن تذاكر تنجح طيب وتأتي يا بندر .

الطالب : ...

الشيخ : نعم يا عادل .

الطالب : ...

الشيخ : زائدة مثل .

الطالب : ...

الشيخ : ما إن ، هات البيت .

الطالب : ...

الشيخ : أي نعم .

الطالب : ...

الشيخ : **ذهب ولا صريف ولكن أنتم الخزف**

" بني غدانة إن أنتم ذهب ولا صريف ولكن أنتم الخزف "

طيب هذه ثلاث .

الطالب : ...

الشيخ : مخففة من الثقيلة مثل .

الطالب : ...

الشيخ : إيش ؟

الطالب : ...

الشيخ : طيب ((**إن هذان لساحران**)) ،
" **وإن مالك كان كرام المعادن**"
طيب ، ((**إن هو إلا ذكر وقرآن مبين**)) قال : " عظة " انتظر نعم .
الطالب : ...
الشيخ : ...
الطالب : ...
الشيخ : ما في شك لأنه كونه يكون في قلبه هذا الشيء ، أحسن مما يكون في قلبه محبة الدنيا وما أشبه ذلك .
الطالب : ...
الشيخ : والله أنا أشك في الأجر إلا إذا كان عنده قصد ، إن كان عنده قصد لكنه في الحقيقة قاصد لهذا الأمر لكن هل قصد به القربة .
الطالب : ...
الشيخ : معلوم أن الإنسان يحصل له القربة يقصد العمل وهو التقرب إلى الله به ، لكن هل إنه يقصد التقرب أو شيء يجري على لسانه لأنه هذا اللي في ذهنه من قبل .
الطالب : ...
الشيخ : اللي عندي ، عندي ((**ننْكسه**)) قال وفي قراءة بالتشديد من التنكيس نراجع ...عندنا قراءتين الآن نراجع القراءات في المصحف ما عندك ،الجمل
الطالب : ...وهو ابلغ... من نكَّس
الشيخ : ((**ننكِّسه**)) من نكَّس ((**ننْكسه**)) هو ما ذكر اللي عندنا الثالثة ((**ننْكسه**)) الأخير ، ... أعده أول .
الطالب : وقرأ... ننكسه من التنكيس وهو ابلغ
الشيخ : لا ((**ننكِّسه**)) ، لا اللي قبله قال ... قبله ، قبله إي .
الطالب : ...
الشيخ : ولا ضبطها ، ... ((**ننْكسه**)) نعم .
الطالب : ...
الشيخ : ((**نَنْكسه**)) .
الطالب : ...
الشيخ : ((**نَنْكُسه**)) هذا ...هذا الضم .
الطالب : ...
الشيخ : نشوف بعدين ... ما هو عندكم المصحف الذي فيه القراءات نعم .
الطالب : ...
الشيخ : على كل حال أنت تعرف المبطل يموه بكل شيء وإذا كثرت الدعايات والكلام والقول فقد ينقلب الأمر فهم يفهمون أن هذا ليس

...لكن قد يقول مثلاً هذا أشياء هذه جديدة على وجه جديد وما أشبه ذلك ويروجون لدعايتهم حتى يشتبه الأمر .
الطالب : ...
الشيخ : نعم .
الطالب : ...
الشيخ : لا ، إنا نقول هذا من باب الترويج ولهذا ما تستطيع أن تأتي بقصيدة واحدة للشعراء السابقين على مثل شعرنا أبداً .
((**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ**)) إيش ؟
((**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ**)) يعني ما علمنا محمداً صلى الله عليه وسلم الشعر ((**وما ينبغي له**)) أي لا يصح ولا يمكن أن يتعلم الشعر لأن تعلمه الشعر يوجب احتجاجاً من المبطلين كما في قوله تعالى :
((**وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**)) فلو تعلم النبي صلى الله عليه وسلم الشعر لقالوا : إن هذا القرآن شعر مما تعلمه كما أنه لو كان يكتب لقالوا : إن هذا شيء مما كتبه قال الله تعالى : ((**إن هو إلا ذكر وقرآن مبين**)) أظن وقفنا على هذه الجملة وبينا أن إن تأتي لعدة معان وهي :
الطالب : ...
الشيخ : من الثقيلة طيب والذي يعين المعاني المتعددة في الكلمة الواحدة هو السياق وهذه قاعدة في كل كلمة ذات معان متعددة يعينها السياق وقرينة الحال قال : ((**إن هو**)) أي ما هو الذي علمناه ((**إلا ذكر وقرآن مبين**)) فقوله : ((**إن هو**)) ضمير يعود على المصدر المفهوم من ((**علمنا**)) وكون مرجع الضمير مصدر معلوماً من الفعل السابق أمر لا يستغرب ألم تر إلى قوله تعالى : ((**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**))[المائدة:8]^((**هو**)) أي العدل المفهوم من كلمة ((**اعدلوا**)) فهنا ((**وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو**)) أي الذي علمناه ((**إلا ذكر وقرآن مبين**)) أي ما الذي علمناه إلا ذكر وقرآن مبين قوله : ((**إلا ذكر**)) قال المؤلف : " **عظة** " يعني موعظة يتذكر بها من تذكر ومن الذي يتذكر ؟ الذي يتذكر بهذا القرآن بينه الله تعالى في قوله : ((**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**))[ق:37]^وهذا باعتبار الاستعداد والقبول وقال تعالى في آية أخرى ما يدل على أن كل المتقين يتعظون بهذا القرآن فيكون فيه بيان للذين يتعظون به من حيث السلوك ، ففي سورة ق بيان للذين يتعظون به من حيث القبول والاستعداد في التذكر ، وفي الآيات الأخرى التي تربط التذكر بالقرآن بالإيمان والتقوى وما أشبه ذلك دليل على من يتعظ به من حيث السلوك والعمل وكلما ازداد

الإنسان عملاً بالقرآن ازداد تذكراً به وهذا الذي ذكره المؤلف رحمه الله في معنى الذكر هو أحد معاني لأن الذكر الذي وصف به القـرآن يتضـمن عدة معاني :

المعنى الأول ما ذكره المؤلف وهو إيش ؟ العظة والتذكر به

المعنى الثاني أنه ذكر يذكر به الله وهو أشرف أنواع الذكر كيف ذلـك ؟ لأن القرآن كلام الله عز وجل فبمجرد ما تتلوه وأنت تشعر أنـه كلام اللـه سوف تذكر عظمة الله عز وجـل ولأن القـرآن يشـتمل علـى أخبـار هـي أصدق الأخبار وأنفعها للقلـوب ولأنـه يشـتمل علـى قصـص هـي أحسـن القصص وأجملها وأتمها ولأنه يشتمل على أحكـام مـن لـدن حكيـم خـبير هي أعدل الأحكام وأقومها بمصالح العباد ولأنه يشتمل على أوصاف الله تعالى وأسمائه التي هي أفضل الأسماء وأشرف الأوصاف كـل هـذا فـي الواقع ذكر فالقرآن نفسه ذكر لله عز وجل لأنـه يشـتمل علـى كـل هـذه المعاني التي بينها الله تعالى في كتابه

المعنى الثالث للذكر : أنه رفعة وشرف لمن يقوم به ويعمـل بـه لقـوله تعالى : **((وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَـوْفَ تُسْـأَلُونَ))**[الزخـرف: 44]^والذكر بمعنى الرفعة والشرف موجود في القـرآن كمـا فـي الآيـة التي تلوتها الآن وكما في قوله تعالى : **((ورفعنا لك ذكرك))** أي ذكر بالشرف والتبجيل والتعظيم.

فصار معنى الذكر هنا التذكر الذي هو الموعظة والـذكر الـذي هـو ذكـر الله عز وجل بما يشتمل عليه القرآن ثم أشرنا إلى شيء منـه والثـالث : الشرف لأنه لا شك أن تمسك بهـذا القـرآن فـإنه لـه الشـرف والسـيادة على جميع الخلق ولهذا فإني أحثكـم أن تمسـكوا بهـذا القـرآن وأنتـم إذا تمسكتم به عقيـدة عملاً وهـدياً فسـتكون العاقبـة لكـم ولا تظنـوا أنكـم قليلون لو كنتم قليلين فإن الاهتداء بـالقرآن يسـتلزم أن ينجـذب النـاس للمهتدي به حـتى يكـثر شـيئاً فشـيئاً كـالحجر تلقيـه فـي اليـم ثـم تتسـع الدائرة حتى يشمل الماء كله فالحاصل أن المهم أن الإنسان إذا تمســك بهذا القرآن الكريم فسوف يكون لـه الشـرف والسـيادة والظهـور علـى جميع الخلق

قـال : **((إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْـرٌ وَقُـرْآنٌ مُبِيـنٌ))** **((قـرآن))** يحتمـل أن يكـون بمعنـى مفعـول وأن يكـون بمعنـى فاعـل لأن قـرآن مصـدر مثـل الشكران والغفران والنكران وما أشبه ذلك ، والمصدر يأتي بمعنى اسـم الفاعل ويأتي بمعنى اسم المفعول وعلى هذا فالقرآن قارئ ومقروء أما كونه قارئـاً فلأنـه مـن القـرء يعنـي الجمـع فهـو جـامع للأحكـام والأخلاق والآداب الموجـودة فـي الكتـب السـابقة قبلـه كمـا قـال اللـه تعـالى : **((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِـنَ الْكِتَـابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ))**[المائدة:48]^هو جامع أيضاً لكل مـا تقـوم بـه أمـور الدنيا وأمور الآخرة ، هو أيضاً مقروء أي متلو لأنه يتلـى والقـراءة بمعنـى

التلاوة إذاً ((**قرآن**)) نقول : إنه مصدر بمعنى اسم الفاعل واسم المفعول ، وهل له نظير أعني إتيان المصدر على وزن فعلان ؟ نعم .
الطالب : ...
الشيخ : إي نعم له نظير قلنا الغفران وشكران ونكران وما أشبه هذا طيب قال : ((**مبين**)) قال المؤلف رحمه الله : " **مظهر للأحكام وغيرها** " فـ((**مبين**)) هنا من أبان بمعنى أظهر وقد سبق لنا مراراً أن أبان يكون لازما ويكون متعدياً ، يكون لازماً بمعنى ظهر وهو كثير في القرآن مثل : ((**وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**))[آل عمران:164]^أي بين ظاهر وتأتي مبين من أبان بمعنى أظهر أي المتعدي كما في هذه الآية
((**مبين**)) أي مظهر لأي شيء هو مظهر ؟ مظهر للأحكام وغير الأحكام كما قال الله تعالى : ((**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**))[النحل:89]^فما من شيء يحتاج الناس إليه إلا وجد في القرآن كل شيء يحتاج الناس إليه موجود في القرآن لكن وجوده في القرآن إما أن يكون على وجه صريح أو على وجه ظاهر أو على وجه الإيماء والإشارة أو على وجه الشمول والعموم أو على وجه اللزوم المهم أن القرآن مبين لكل شيء تارة يذكر الدليل على المسألة وتارة يذكر التوجيه إلى الدليل على المسألة فمثلاً في مسائل كثيرة لا توجد في القرآن وهي من أهم أحكام الإسلام كعدد الركعات في الصلوات وتقدير أنصبة الزكاة وما يجب فيها وما أشبه هذا لكن في القرآن ما يشير إليها مثل قوله تعالى : ((**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**))[الحشر:7]^هذه الآية إذا وجهتها إلى السنة شملت جميع السنة وشرعنا كله لا يعدو الكتاب والسنة إذاً فالقرآن مبين لكل شيء ولهذا قال : ((**مبين**)) في الأحكام وغيرها هو أيضاً لكل ما سبق من الحوادث التي يكون في بيانها مصلحة كقصص الأنبياء وقصص الأولياء وقصص المكذبين بالرسل وغير ذلك ، كل ما سبق مما في ذكره مصلحة لنا فهو مذكور أما ما ليس لنا فيه مصلحة فإنه لا حاجة إلى ذكره وقد يكون هذا الشيء الذي لم يذكر موكولاً إلى عقول الناس وتجاربهم كما في كثير من طبائع الأشياء ، الأمور الطبيعية سواء كانت فلكية أو جيولوجية أو غير ذلك نجد أن القرآن لم يفصلها ولم يبينها لماذا ؟ لأنه ليس فيها فائدة ، فائدتها تكمن في أن الناس يطلبونها وينظرون في آيات الله ويتحركون حتى يدركوها.
ولهذا تجد بعض المسائل التي يتنازع فيها بعض الناس كمسألة دوران الأرض هل هي موجودة في القرآن على وجه صريح ؟ ما هي موجودة لو كان هذا مما يتعين علينا اعتقاده إثباتاً أو نفياً لكان الله عز وجل يبينه بياناً واضحاً كما بين الأمور التي لابد لنا من الاعتقاد فيها على وجه صريح إذاً هذه موكولة للناس استخراج ما في الأرض من المعادن وغيرها من

المصالح العظيمة التي لم يطلع عليها إلا أخيراً هـذا أيضـاً لـم يـذكر فـي القرآن وإن كان في القرآن إشارة إليها لكنه لم يذكر على وجه التفصيل بل قال اللـه تعـالى : **((وَفِي الأَرْضِ قِطَـعٌ مُتَجَـاوِرَاتٌ))**[الرعـد: 4]^وقطع هذه للصيغ الجمع جموع التكثير لو تقول إنها ملايين القطع لم يخرج عن دلالتها هذه القطعة لولا أنها تختلف في منافعها وذواتها وكل ما يتعلق بها ما قال الله : **((قطع))**

((متجاورات)) بل هي متباينة في هذه الآية مثلاً تسـتطيع أن تقـول إن الله أرشدنا إلى استخراج إيش ؟ المعـادن مـن الأرض لأنـه بيـن أنهـا قطع ما هي القطع اللي فوق التراب هذا فقط في أشياء كثيرة مـا تعلـم وربما تعلم في المستقبل وربما ظهر علمها الآن المهم أن القـرآن مـبين إيش ؟ مبين لكل شيء

وأنت إذا تدبرت القرآن مرة بعد أخرى لا تعيد التـدبر مـرة ثانيـة إلا ظهـر لك معنى جديداً غير الأول ولا يمكن لأحد أن يحيط بمعـاني القـرآن لكـن كلما تدبره الإنسان طالباً الحق مريداً للصواب فإنه يهتدي لمعالم كـثيرة ، سئل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه هل عهـد إليكـم رسـول الله صلى الله عليه وسلم بشيء ؟ لأنه كان يروج فـي ذلـك الـوقت مـن وقت علـي والشـيعة يروجـون بـأن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم عهـد بالخلافة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فسـئل (**هل عهـد إليكـم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء** ؟) يعني مـن الخلافـة أو من العلوم الـتي كتمهـا عـن النـاس فقـال : **" لا والذي برأ النسـمة وفلق الحبة إلا فهماً يؤتيه الله تعالى من شاء فـي كتـابه ومـا في هذه الصحيفة ، والذي في هذه الصـحيفة العقـل وفكـاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر** " الشاهد كلامه الأول إلا فهمـا يـؤتيه الله تعالى من شاء في كتابه ، هذا الفهم يختلف فيه الناس اختلافاً كـثيراً جداً ، جداً ترى بعض العلماء يتكلم على آية يستخرج منها فوائد محـدودة معدودة وترى آخر يتكلم عليها يستخرج منهـا أضـعافاً مضـاعفة بالنسـبة لما استخرجه الأول كل ذلك بحسب اسـتعداد الإنسـان وفهمـه وبصـيرته وكلمـا ازداد الإنسـان إيمانـاً وتقـوى ازداد هـدى بـالقرآن **((وَالَّـذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ))**[محمد:17]^

قال عز وجل : **((لِيُنْذِرَ))** باليـاء والتـاء **((لينذر))** باليـاء فالضـمير يعود على إيش ؟ على القرآن **((لتنذر))** الضمير يعـود علـى الرسـول صلى الله عليه وسلم لكن على قراءة التاء قدر المؤلف : " به " لتنذر به ولهذا قال : " **بالياء والتاء به** " كلمة به تعود على القراءة الثانية وهـي **((تنذر))** أمـا القـراءة الأولـى فلا تحتـاج إلـى هـذا التقـدير ولاشـك أن القرآن نفسه منذر وأن النبي صلى الله عليه وسلم منذر به فالقرآن فيـه وعيد وفيه أوصاف لمن يستحق هذا الوعيد وهذا هو الإنـذار كمـا أن فيـه أيضاً بشارة وأوصافاً للمبشرين وهذا هـو التبشـير فـالقرآن فيـه بشـارة

وفيه إنذار والنبي صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن وأنذر به وخـوف بـه ورغب به ((**مَنْ كَانَ حَيًّا**)) قال المؤلف : " **يعقل مـا يخـاطب بـه وهم المؤمنون** " ((**من كان حياً**)) هل المـراد بالحيـاة هنـا الحيـاة المعنوية التي هي حياة القلب أو الحياة الحسية التي هي حياة الجسـم ؟ الظاهر أنه يشمل الأمرين ولهذا قال ابن كثير رحمه الله : ((**من كـان حياً**)) " **على وجه الأرض** " يعنـي مـن كـان حيـاً حيـاةً جسـمية لأن رسالة الرسول صلى الله عليه وسـلم رسـالة عامـة لجميـع الخلـق فهـو ينذر من كان حياً يعني ينذر كل حي أو من كـان حيـاً حيـاة معنويـة يعنـي حياة القلب حيث يراد به من يعقل ويتبصر ويؤمن وعكسه مـن ؟ عكسـه الميت ميت الجسـم وميـت القلـب أمـا ميـت الجسـم فلا يمكـن إنـذاره بالقرآن لأنه انتقل إلـى دار الجـزاء ولا يمكـن أن يفهـم ولا أن يعلـم وأمـا ميت القلب فلأنه قد طبع على قلبه والعياذ بالله فلا يصـل إليـه النـور ولا يصل إليه الحق

((**وَيَحِقَّ الْقَوْلُ**)) العذاب ((**عَلَى الْكَـافِرِينَ**)) وهـم كـالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به هنـا قـال : ((**لينذر مـن كـان حيـاً**)) فينتفـع بالإنذار ويتعظ ويتجنب المحرمات ويأتي بالواجبات ، ((**ويحـق القـول**)) ماذا تتوقع أن يقال ؟ أتوقع أن يقال ويحق القول على من كان ميتاً أو على الأموات لأن هذا مقتضى المقابلة نعم لكن عدل عن هـذا إلـى ذكـر الكافرين ((**ويحق القول على الكافرين**)) وفائدة العدول عن ذكر المقابل في لفظه أمران :

الأمـر الأول : أن المـراد بـالميت الكـافر وأن الكـافر لا يمكـن أن ينتفـع بالقرآن .

والثاني : التسجيل على أن من لم ينتفع بالقرآن فهو كافر ومن انتفـع بـه في شيء دون آخر ففيه خصلة من خصال الكفر ولهذا كل معصـية فهـي من خصال الكفر لكنها قد تكون قليلة وتكون كثيرة فلهذا عـدل اللـه عـز وجل عن هذا إلى قـوله : ((**ويحق القـول علـى الكـافرين**)) دون قوله : ويحق القول على الميتين بل قال :

((**على الكافرين**)) ومن هذا يعني من هـذه الأمثلـة وهـو كـثير فـي القـرآن قـوله سـبحانه وتعـالى : ((**وَاللَّـهُ يَقْضِـي بِـالْحَقِّ وَالَّـذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ**))[غافر:20]^لم يقل لا يقضون بالباطـل بـل قـال : ((**لا يقضـون بشـيء**)) ليشـمل الباطـل وغيـر الباطل يعني ليس لهم قضاء إطلاقاً لأنهم مربوبون مملوكون فلا يقضون بشيء ((**ويحق القول على الكافرين**)) ثم قال عز وجل :

((**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا**)) إلـى آخـره ((**أولـم يـروا**)) الاسـتفهام هنـا لإيـش ؟ للتقريـر لأنـه كلمـا دخـل الاستفهام على نفي فهو للتقرير سواء كانت أداة النفي حرفاً مثل لـم أو فعلاً مثل ليـس المهـم أن الاسـتفهام هنـا للتقريـر والـواو حـرف عطـف

والمعطوف عليه ما سبق أو أن المعطوف عليه مقدر بين الهمزة والـواو بحسب ما يقتضيه السياق
يقول : **((يروا))** قـال : " **يعلموا** " ففسـر الرؤيـة هنـا برؤيـة العلـم وممكن أن يراد بها هنا رؤية البصر ورؤية البصـر أقـوى فـي التقريـر م ن رؤية العلم لأن رؤية العلم قد ينكر الإنسان ويقول ما أعلم بهذا لكن رؤية البصر إذا كان الشـيء أمـامه يشـوف الإبـل مثلا لا يمكنـه أن إيـش ؟ أن ينكر والحقيقة أنها محتملة لهذا وهذا فباعتبار أن الله خلـق هـذه الأشـياء لاشك أنها رؤية علم لأننا لم نشهد خلـق هـذه الأشـياء كمـا قـال تعـالى : **((مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْـقَ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْـقَ أَنفُسِهِمْ))** [الكهف:51]^ وباعتبار المخلوق رؤية بصر لأنها يشاهد ويعلـم ولا يمكـن إنكاره قال المؤلف : " **والاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف** " الواو الداخلة عليها الآن هل الواو داخلـة ولا مدخولـة ؟ يعنـي قولوا عن علم لا تكونوا مثل الصبي الذي إذا ذكـرت لـه شـيئين ، الصـبي إذا ذكرت له الشيئين يأخذ الأخير دائماً لو تقلب عليه العبارة أخذ بـالأخير الذي هو الأول في العبارة الأولى فالآن هل الواو مدخولة ولا داخلة ؟
الطالب : مدخولة ...داخلة
الشيخ : والواو الداخلة عليه للعقل ؟ الواو الداخلة عليها وإلا مدخولة ؟
الطالب : ...
الشيخ : ما هو الداخل هل هو السابق ولا اللاحق ؟ ب
الطالب : اللاحق .
الشيخ : يا إخوان السابق لا شك ، الداخل على الشيء هو السـابق فمثلاً إذا جاك الواو عندنا الهمزة والواو أن تقول : دخلت الهمزة على الواو ولا دخلت الواو على الهمزة ؟
الطالب : ...
الشيخ : المؤلف يقول هكذا لكن نقـول : دخلـت الهمـزة علـى الـواو إذا قلت سوف يقوم هل يقوم دخل على سوف ولا سوف دخلت على يقـوم ؟ سوف دخلت على يقوم فالداخل هو الأول والمؤلـف يقـول : " والـواو الداخلة عليها " يشير إلى القول الثـاني فـي مثـل هـذا الـترتيب وهـو أن التقدير وألم يروا أنا خلقنا لهم ، وهذا أحد القولين كما هـو معـروف فهنـا المؤلف رحمه الله جعـل الـواو داخلـة علـى الهمـزة والواقـع أن الهمـزة حسب الترتيب داخلة على الواو لكنه رحمـه اللـه يـرى أن فـي المسـألة تقديماً وتأخيراً وأن الواو داخلة على الهمزة في الأصل وأصله وألم يروا **((أنا خلقنا لهم))** فـي جملـة النـاس **((مما عملـت أيـدينا))** أي عملناه بلا شريك ولا معين **((أنعاماً))** هي الإبل والبقر والغنـم **((أنـا خلقنا لهم))** أيز أوجدنا لهم من العـدم أنعامـاً واللـه سـبحانه وتعـالى مختـص بـالخلق لا خـالق إلا اللـه سـبحانه وتعـالى وإضـافة الخلـق إلـى المخلوق يعني أن يكون للمخلوق خلق ليس على سبيل الإضافة بالنسبة

إلى الله لأن خلق الله للأشياء خلق إيجاد من عدم ، خلق المخلوق للأشياء ليس خلق إيجاد ولكنه خلق تغيير من حال إلى حال أو وصف إلى وصف إذا نجرت الخشبة باباً فقد خلقتها باباً لكن هل أنت أوجدت هذه الخشبة ؟ الجواب لا لكن سيرتها إلى هيئة معينة وهذا نوع من الخلق ولهذا يقال للمصورين يوم القيامة : أحيوا إيش ؟ ما خلقتم مع أنهم لم يوجدوا الصورة من عدم لكن غيروا ونقلوا من حال إلى حال فالخلق الخاص بالله هو خلق الإيجاد أما الخلق الذي يكون من المخلوق فما هو إلا تغيير وتحويل فقط ، **((أنا خلقنا لهم))** اللام هنا للملك وإلا للاستحقاق ؟ نعم .

الطالب : ...

الشيخ : للاستحقاق ويصح أن تكون للملك كما سيأتي في الآية نفسها ، **((مما عملت من أيدينا أنعاماً))** أي مما عملنا من نعم وليس المعنى أن الله سبحانه وتعالى خلق هذه الأنعام بيده لو كان أراد ذلك سبحانه وتعالى وكان الواقع كذلك لقال : مما عملنا بأيدينا كما قال تعالى في آدم يخاطب إبليس : **((مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ))**[ص:75]^فهنا أضاف الخلق إلى نفسه وجعل المخلوق به اليد أما هنا فأضاف العمل إلى اليد **((ما عملت أيدينا))** فهو كقوله تعالى : **((بما كسبت أيديكم))** وما أشبهها مما يضاف فيه الفعل إلى اليد والمراد الإنسان كذلك هنا أضاف الله تعالى العمل إلى يديه والمراد إيش ؟ المراد نفسه أي مما عملنا نعم وهنا قال : **((مما عملت أيدينا))** بالجمع فهل الله عز وجل له أكثر من يد ؟ الجواب لا ، هل لله تعالى أكثر من يدين ؟ الجواب لا ليس لله أكثر من يدين ليس له إلا يدان اثنتان فلماذا جمع هنا ؟ جمع من أجل المناسبة لأن الأفصح في المثنى إذا أضيف إلى جمع الأفصح فيه الجمع ألم تر إلى قوله تعالى : **((إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا))**[التحريم:4]^مع أنه ليس للإنسان ليس للإنسان إلا قلب واحد فهنا لما أضافه إلى الضمير المفيد للجمع وهنا للتعظيم بلا شك ناسب الجمع وأيضاً فإن الجمع أبلغ للتعظيم فلهذا جمعت وأيضاً فإن هذه الأنعام لا يحصيها إلا الله عز وجل فهي جموع كثيرة كل واحدة منها تحتاج إلى فعل وإلا لا ؟ إلى فعل خاص لأن لكل واحدة خلق خاص فجمع أيضاً باعتبار المعمول الذي هو هذه الأنعام طيب على كل حال هذه الآية لا شك أنها تفيد إثبات اليد لله عز وجل ولكنها لا تفيد أن له أكثر من يدين بما علمتم من وجوه الجمع ، لا تفيد أن لله أكثر من يدين بما علمتم من وجه الجمع فإذا قال قائل ما هو الدليل على أنه ليس لله إلا يدان اثنتان ؟ قلنا الدليل أن الله تعالى تمدح بهما في مقام المدح والعطاء والرزق ولو كان له أكثر من ذلك لذكره لاقتضاء المقام إياه قال الله تعالى : **((وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**

))[المائدة:64]^ولو كان له أكثر من ثنتين لقال : بل أيديه لأنـه بلا شـك ..كلما كثرت الأيدي كثر العطاء وهـذا باعتبـار المخلـوق أمـا الخـالق عـز وجل فعطاؤه لا ينفذ ولا يعد وليس له إلا يداه اثنتان هذا ما عليـه إلا أهـل السنة والجماعة نعم .

الطالب : ...

الشيخ : كيف ؟

الطالب : ...

الشيخ : ...إذا كان اللفظ يقتضيه ويدل عليه بمقتضى اللغة العربيـة ثبـت بالقرآن .

الطالب : ...

الشيخ : هي بالنسبة للرسول عليه الصلاة والسلام صفة نقص لا شك لـو كان شاعراً لكان هذا نقصاً وإن لم يكن نقصاً لذاته لذات الشعر لكن لما يترتب عليه من الشبهات كما أن الأمية وصف نقص من حيـث هـي لكـن هذا باعتبار النبي عليه الصلاة والسلام هي صفة كمال ولهـذا مـدحه اللـه بـذلك لقـوله : **((النبي الأمي))** فالشـيء قـد يكـون كمـالاً باعتبـار إضافته إلى شـيء ونقصـاً باعتبـار إضـافته لشـيء والنـبي عليـه الصـلاة والسلام قال : **(إن من الشعر لحكمـة)** فهـذا الـذي منـه الحكمـة لا شك أنه كمال نعم .

الطالب : ...

الشيخ : نعم فيه محذور ، المحذور أنه لو قلنا بذلك لكانت الأنعام أشرف من الأنبياء نعم .

الطالب : **((إن هو إلا ذكر وقرآن مبين))** ...

الشيخ : إيش أي .

الطالب : السنة .

الشيخ : أي السنة .

الطالب : ...

الشيخ : لأن المشركين قـالوا : إن القـرآن شـعر ولـم يقولـوا عـن قـول الرسول عليه الصلاة والسلام أنه شعر فأبطـل اللـه قـولهم وقـال : هـذا الذي تقولون إنه شعر وأن الرسول علمه مـا هـو إلا ذكـر ، وفـي القـرآن كثير من وصف الله تعـالى بالـذكر **((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَـا الـذِّكْرَ وَإِنَّـا لَـهُ لَحَافِظُونَ))**[الحجر:9]^.

طيب إذاً الفوائد اللي قبل من قوله : ((**إن هو إلا ذكر وقرآن مبين * لينذر من كان حياً**)) مش هي آخر الفوائد اللي آخذناها ؟ بس عشان ما كملناها .
الطالب : ...
الشيخ : ...اللي عندي ...اللي عندكم ، اللي تقدر ...
الطالب : ...ولا ينتفع بالقرآن إنما ... ذكر عظيم
الشيخ : نعم ، ما ذكرنا الثناء على القرآن في قوله : ((**إن هو إلا ذكر**)) .
الطالب : ...
الشيخ : اللي في الأول ما ذكرنا الثناء على القرآن وأن التمسك به هو سبب للرفعة والعزة ، قبل طيب .
في الآية التي بعدها فائدة خامسة وهي : إثبات العلة وإن شئت فقل الحكمة لقوله : ((**لينذر**)) اللام وكلما رأيت اللام لام التعليل فهي مثبتة للحكمة في أفعال الله تعالى وفي مشروعاته نعم .
ثم قال عز وجل : ((**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا**)) إلى آخره
من فوائد هذه الآية : تقرير نعمة الله عز وجل على عباده بهذه الأنعام لقوله : ((**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا**)) .
ومن فوائدها : أن هذه الأنعام ملك لنا لجميع وجوه الانتفاعات لقوله : ((**خلقنا لهم**)) فكل وجوه الانتفاعات فإنه يجوز لنا أن ننتفع بها لأنها ما دامت لنا فنحن فيها أحرار إلا ما قام الدليل على منعه
ويتفرع على هذه الفائدة أنه يجوز أن نركب ما لم تجر العادة بركوبه مثل أن نركب البقر ولهذا قال الفقهاء : يجوز الانتفاع بهذه الحيوانات في غير ما خلقت له
فإن قلت ما الجواب عن الحديث الصحيح (**بينما رجل راكب بقرة يسوقها إذ التفتت إليه فقالت له إنا لم نخلق لهذا ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (فأنا أؤمن بذلك وأبو بكر وعمر)** فالجواب على هذا أن نقول : إن هذا الرجل قد ركبها ركوبها يشق عليها وهي ما خلقت لتعذب وهو كذلك حتى لو أن الإنسان ركب الإبل على وجه يعذبها قلنا له إنها لم تخلق لهذا طيب .
ومن فوائد الآية الكريمة : صحة نسبة العمل إلى الله لقوله : ((**مما عملت أيدينا**)) لكن هل يسمي الله بالعامل ؟ لا كما لا يسمى بالصانع أخذاً من قوله تعالى : ((**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**))[النمل: 88]^وذلك لأن باب الخبر أوسع من باب الإنشاء والتسمية ، يجوز أن نشتق من كل اسم صفة ولا يجوز من كل صفة اسماً واضح ولهذا نقول الصفات أوسع من الأسماء يعني باب الصفات صفات الله أوسع من باب

الأسماء لأن كل اسم متضمن لصفة وليس كل صفة تتضمن اسماً طيـب .

ومن فوائـد الآيـة الكريمـة : إثبـاب اليـد للـه عـز وجـل لقـوله : **((مما عملت أيدينا أنعاماً))** وهذه اليد التي وصف الله بها نفسـه أو أضـافها إلى نفسه يد حقيقية ثابتة لكن بدون أن تكون مماثلـة لأيـدي المخلـوقين لأن مماثلة الخالق للمخلوق ممتنعة غاية الامتناع عقلاً وسمعاً قـال اللـه تعالى : **((ليس كمثله شيء))** وقـال تعـالى : **((فلا تضربوا للـه الأمثـال))** وأمـا العقـل فـإن كـل عاقـل يـدرك الفـرق بيـن الخـالق والمخلوق في الذات والصفات فـالواجب علينـا نحـن أن نـؤمن بكـل مـا وصف الله به نفسه من غير تمثيل

ثم اعلم أن ما وصف الله به نفسه ينقسم إلـى صـفات لازمـة وصـفات غيـر لازمـة وإلـى مـا نظيـره أجـزاء وأبعـاض لنـا ، فمثلاً السـمع والعلـم والقدرة والحياة هذه صفات لازمة ويسميها أهل العلـم الصـفات الذاتيـة ومثل الاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا والخلق وما أشبه ذلك صفات غير لازمة الله لم يزل ولا يزال خالقـاً لكـن المخلـوق يتجـدد فكل خلق يتعلق بهذا المخلوق فإنه يكون حادثاً بعد أن لم يكن ولكن هذا حدوث نوع وليس حدوث جنـس لأن اللـه لـم يـزل ولا يـزال خالقـاً لكـن الاستواء على العرش هذا لا شك أنه حادث لأنه قبل العرش ليس مسـتوٍ عليه

طيب الذي نظيره أبعاض وأجزاء مثل اليـد والـوجه والقـدم والعيـن هـذا نظير بالنسبة لنا جزء من الذات أو بعض منها ولا يصح أن نقول أنـه جـزء من الله أو بعـض مـن اللـه لأن اللـه عـز وجـل لا يتجـزأ ولا يتبعـض إذ أن الجزء ما جاز وجود أصله بعدمه هذا الجزء بالنسبة لله عز وجـل لا يمكـن أن يكون هكذا يعني لا يمكن أن تنفصل اليد مثلاً وحاش لله عـز وجـل أو الوجه وما أشبه ذلك بالنسبة للمخلـوق يمكـن أن تنفصـل وإلا لا ؟ يمكـن ولهذا يجب أن نقول : نظيره أجزاء وأبعـاض لنـا ولا نقـول مـا هـو أجـزاء وأبعاض لله لأن هذا منكر غاية الإنكار

طيب اليد نقول إنها حقيقة يد حقيقية ثابتة لله على وجه لائق به ولكـن لا تماثل أيدي المخلوقين وهذا مذهب السلف وعليه جرى أئمـة المسـلمين لكن ابتلى قوم بالتحريف تحريف اليد وقالوا : إنهـا النعمـة أو القـوة بنـاء على أن عقولهم تحيل أن يتصف الله عز وجل باليد الحقيقية ولا شـك أن هذا ضلال وجناية علـى النصـوص أمـا كـونه ضـلالاً فلأنهـم حكمـوا علـى الخالق بعقولهم القاصرة وهذا لاشك أنه ضلال كيف تحكم علـى الخـالق بعقلك ، الخالق عز وجل يقول عن نفسه : **((بل يداه مبسوطتان))** ويقول : **((لما خلقت بيـدي))** ويقـول : **((ممـا عملـت أيـدينا))** وأن تقول : ليس له يد سبحان الله لولا التأويل لكان تكذيباً لـولا تـأويلهم لها وقالوا : نحن نثبت اليد لكن المـراد كـذا لكـان هـذا تكـذيباً للنصـوص

ونحن نعلم أن المكذب للنصوص كافر نعم ، جناية على النصوص من وجهين : لأنه يقولون : إن الله لم يرد كذا وأراد كذا فنفوا ما أراد الله وأثبتوا مالم يرده فكان جناية على النصوص من الوجهين السلبي إيش بعد ؟ السلبي والإيجابي ، السلبي حيث نفوا ما أثبت الله والإيجابي أثبتوا ما لم يرده الله ، إذا قال الله عز وجل : ((**لما خلقت بيدي**)) فقال أراد باليدين النعمة أو القوة سبحان الله ما الذي أعلمك ؟ هو يقول : ((**لما خلقت بيدي**)) وأنت تقول : ليس له يد بل هي نعمة من الذي قال لك هذا ؟ فنفيك قول على الله بلا علم وإثباتك لما أثبت قول على الله بلا علم فكان جناية على النصوص من وجهين

والحقيقة أن الإنسان يعجب غاية العجب أن يسلك هذا المسلك أئمة مشهود لهم بالخير والصلاح ونفع الأمة ولكنه يعرف بذلك تمام حكمة الله عز وجل وأن الإنسان فهو ضعيف وقاصر وإلا سبحان الله ، الله يتحدث عن نفسه بحديث هو أصدق الحديث وأحسن الحديث وصادر من أعلم لما يقول ثم نقول : والله ما أراد هكذا ، طيب إذاً يجب أن نؤمن بأن الله له يد حقيقية وإلا مجازية ؟ حقيقية لائقة به لا تماثل أيدي المخلوقين بأي حال من الأحوال وهكذا يجب علينا أن نجري جميع آيات الصفات وأحاديثها

بقي علينا أن نقول : ما تقولون في تفسير بعض العلماء قوله تعالى : ((**والسماء بنيناها بأيد**)) أي بقوة ؟ الجواب أن نقول : هذا صحيح أيد هنا بمعنى قوة لأن أيد بمصدر آد يئيد أيداً ، ولا نجوز أن نقول هي كقوله : ((**أيديناً**)) هذا حرام علينا أن نقول هكذا كقوله : ((**أيدينا**)) لأن الله لم ينسبها إلى نفسه ما قال : والسماء بنيناها بأيدينا وإذا لم ينسب الله ذلك إلى نفسه حرم علينا أن ننسبه إلى الله فكان يتعين أن نفسر قوله : ((**والسماء بنيناها بأيد**)) أي بقوة وأيد هنا مصدر آد يئيد كباع يبيع بيعاً وكال يكيل كيلاً هذا معناها وإذا لم يضف الله الشيء إلى نفسه حرم أن نضيفه إليه لأننا لو أضفنا إليه وهو لم يضف إليه لكنا نقول على الله بلا علم

ألم تر إلى قوله تعالى : ((**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ**))[القلم:42]^اختلف السلف في قوله : ((**عن ساق**)) هل المراد عن شدة أو المراد عن ساقه عز وجل ؟ ونحن إذا أخذنا القاعدة التي قررناها الآن بأن ما لم يضفه الله إلى نفسه يحرم علينا أن نضيفه إليه قلنا أن المراد بالساق هنا الشدة ولا بد ولا يمكن أن نفسره بساق الله لأن الله لم يضفه إلى نفسه ما قال : يوم نكشف عن ساقنا بل قال : ((**يوم يكشف عن ساق**)) ولكن إذا تأملت سياق الآية الكريمة وما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وجدت أن ذلك يقتضي أن يكون المراد به ساق الله لأن في حديث أبي سعيد الطويل المشهور (**أن الله يكشف عن**

ساقه فيسجد له كل من كان يسجد لله تعالى في الدنيا ويعجز عن السجود من لم يسجد لله في الدنيا) فهنا **((يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ))**[القلم 42:43]^نجد أن سياق الآية يوافق سياق الحديث وحينئذ نقول : إن كلام الله يفسر بكلام الله ويفسر بكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا دل سياق حديث أبي سعيد على ما دل عليه سياق الآية فإن الآية تفسر به وحينئذ يكون القول الراجح أن المراد بالساق الذي جاء على وجه النكرة المراد به ساق الله عز وجل ولكنه نكر للتعظيم لأن التنكير قد يراد به التعظيم طيب

فإذا قال قائل : الآية التي معنا في سورة يس **((مما عملت أيدينا أنعاماً))** فهل تصفون الله بأن له أيدياً كثيرة أم ماذا ؟ نقول : الذي عليه أهل السنة ليس لله إلا يدان اثنتان وحينئذ نحتاج إلى الجمع بين هذا القول الذي دل عليه قوله تعالى : **((ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي))** وقوله : **((وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ))**[المائدة:64]^نحتاج إلى جمع بين هذا وبين هذه الآية

((مما عملت أيدينا أنعاماً)) وإلى الجمع بينه وبين الإفراد الذي جاء في قوله تعالى : **((تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))**[الملك:1]^وما أشبه ذلك قال أهل العلم : الجمع بينهما متيسر ولله الحمد لأنه ليس في خلق الرحمن من تفاوت ولا في كلامه من تفاوت أيضاً لا يتفاوت الكلام ولا يتناقض كما لا يتناقض الخلق أيضاً ، الخلق منسجم بعضه مع بعضه كذلك الشرع منسجم بعضه مع بعض كيف ذلك ؟ قالوا : إن المفرد المضاف يشمل لأنه للعموم ألم تر إلى قوله تعالى : **((وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا))**[إبراهيم: 34]^كم من نعم ؟ لا تحصى مع أنه قال : **((نعمة الله))** واحدة لكن المفرد المضاف يكون للعموم يشمل كل ما يثبت لهذا المفرد من معنى وإن كثر ، إذاً **((بيده الملك))** لو فرض أن هناك أيدياً كثيرة يدخل في ذلك وإلا لا ؟ واليدان تدخل إذاً لا منافاة بين المفرد وبين العدد جمعاً كان أو مثنى واضح ...واضح وإلا..

((بيده الملك)) اليد مفرد مضاف ، يد مضاف والضمير مضاف إليه المفرد المضاف ماذا يفيد ؟ يفيد العموم أي مفرد مضاف فهو مفيد للعموم هنا أقف لأتبين لو قال رجل امرأتي طالق وله أربع نسوة من يطلق ؟ كل النسوة إلا إذا نوى أنها واحدة ولو قال عبدي حر وله أكثر من عبد عتق الجميع ما لم يرد واحداً ولو قال بيتي وقف صارت بيوته كلها وقفاً ما لم يرد واحداً إذاً المفرد المضاف يعم

هل هناك مثال من القرآن أو من السنة يؤيد ما قلت ؟ نعـم مثـل قـوله تعـالى : ((**وإن تعدوا نعمة اللـه لا تحصـوها**)) فـإن ((**نعمـة**)) مفرد مضاف فيشمل جميع النعم التي لا تحصى إذاً ((**بيـده الملـك**)) نقول : هذا لا ينافي أن يكون المراد باليد هنا اليدين الثنـتين بقينـا الجمـع بين اليدين الثنتين والجمـع الـذي هـو ((**أيدينا**)) كيـف نجمـع بينهـن ؟ والجواب على هذا من وجهين :

الجواب الأول : أن كثيراً من علماء اللغة يقولون : إن أقـل الجمـع اثنـان واسـتدلوا لـذلك بقـوله تعـالى : ((**إن تتوبا إلـى اللـه فقـد صـغت قلوبكما**)) فهنا جمع مع أن المراد اثنان وبقوله تعالى : ((**فَـإِنْ كَـانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ**))[النسـاء:11]^مـع أن الأم تحجـب بـاثنين تحجب من الثلث إلى السدس بـاثنين طيـب وبقـول النـبي عليـه الصـلاة والسلام : **(الاثنان فما فوقهما جماعة في الصلاة)**

ولكن أكثر علماء اللغة يقولون : إن أقل الجمع ثلاثة وحينئذ يمكن الجمع للوجه الثاني : وهو أن نقول أن المراد بالجمع في قوله تعـالى : ((**مما عملت أيدينا**)) المراد به إيش ؟ التعظيم لأن الجمع يدل على التعظيم ولهذا يأتي ضمير الجمع نا في مقام التعظيم كل ضمير أضـافه اللـه إلـى نفسه وهو نا فليس المراد بـه الجمـع ، المـراد بـه التعظيـم فهنـا الجمـع للتعظيم وللمناسبة أيضاً ، المناسبة ماهي ؟ لأنه أضـيف إلـى مـا ينسـب الجمع فكان الأنسـب أن يكـون مجموعـاً فهـذه المناسـبة لفظيـة وإرادة التعظيم مناسبة معنوية وبهذا يزول الإشكال

فإذا قال قائل : لماذا لا تقولون إن لله أيدياً كـثيرة ؟ فـالجواب أن هـذا يمنعه المعنى لأن الله تعالى لما تمدح وأثنى على نفسه بالعطاء لم يذكر إلا يدين اثنتين ولو كان له أكثر نعم لو كان له أكثر لكان يـذكر الأكـثر لأن أبلغ في المدح فلما قال : ((**بل يداه مبسوطتان**)) علم أنه ليس إلا يدان اثنتان ومثل ذلك قوله تعـالى : ((**وَمَا قَـدَرُوا اللَّـهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًـا قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَالسَّـمَوَاتُ مَطْوِيَّـاتٌ بِيَمِينِهِ**))[الزمر:67]^فأثبت القبضة باليد ((**والسماوات مطويات بيمينه**)) باليد الأخرى والنصوص في هـذا كـثيرة ولهـذا نعتقـد نحـن أن الله سبحانه وتعالى ليس له إلا يدان اثنتان فقط

ومثل ذلك نقول في صفة العين ، العين وردت مجموعـة ووردت مفـردة ((**ولتصنع علي عيني**)) ((**تجري بأعيننـا**)) فنقـول عيـن مفـرد مضاف فيعم ((**تجري بأعيننا**)) للتعظيم إما أن نقول للتعظيم أو بأن أقل الجمع اثنان وليس لله تعالى أكثر من عينين اثنتين ودليل ذلك حديث الدجال حينما تحدث النبي صلى الله عليه وسلم عنه وبين تمويهاته قال : **(إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور)** فبين العلامـة الحسـية الظـاهرة وهي عور عين الدجال ومن العجب أن بعض الناس قال : المـراد بـالعور هنا العيب يريد أن يثبت أن لله تعالى أعيناً كـثيرة بنـاء علـى الجمـع فـي

قوله: ((**تجري بأعيننا**)) ولكن هذا عور منه ، عور من هذا القائل لأن الحديث صريح في أن المراد عور العين حيث قال : (**أعور العين اليمنى**) ولم يقل أعور فقط لو قال أعور فقط ربما يحتمل ما قاله مع أنه ضعيف لأن اللغة العربية تعبر بالعور عن العين ، الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (**أربع لا تجوز للأضاحي المريضة والعجفاء والعوراء والعرجاء**) فجعل العور غير العيب كل الثلاثة الأخرى كلها عيوب لكن جعل العور في العين

فنحن نقول لهم : أصل العور في العين ثم إذا جاء الحديث (**أعور العين اليمنى**) صار قاطعاً للاحتمال قطعاً نهائياً لا يمكن أن يراد به العيب فإذا قال قائل : ما وجهه ؟ قلنا وجهه لو كان لله أكثر من عين لكان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكره لأنه أدل على تعظيم الله وأبين في التمييز ، أدل على التعظيم إذا كان له أعين كثيرة وأبين في التمييز ، أبين من أن يقال : أن الفرق هو أن هذا أعور والرب عز وجل ليس بأعور وبهذا يتبين أن دلالة حديث الدجال وهو صحيح دلالة واضحة ظاهرة على أنه روي في حديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكره ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة (**إذا قام أحدكم يصلي فإنه بين عيني الرحمن**) وهذا الحديث فيه ضعف لكننا في الحقيقة لسنا بحاجة إليه لأن الحديث ثابت في الصحيحين في وصف الدجال واضح والحمد لله نعم ، أظن باقي علينا من الفوائد ، إيش الباقي ؟

الطالب : ...

الشيخ : ((**مما عملت أيدينا أنعاماً**)) طيب .

ومن فوائد الآية الكريمة : ((**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا**)) من فوائدها : إثبات اليد لله عز وجل لقوله : ((**أيدينا**)) وقد سبق الكلام عليها مستوفاً في الدرس الماضي .

ومن فوائد الآية الكريمة : أننا نملك هذه الأنعام ملكاً شرعياً وملكاً حسياً قدرياً أما الشرعي فإننا نملك أعيانها ومنافعها بالبيع والشراء والتأجير وغير ذلك وأما الكوني الحسي فلأننا نملك زمامها وربطها وهي مسخرة لنا نقيمها ونريحها ونذهب بها ونرجع بها وهذا من تمام نعمة الله سبحانه وتعالى علينا بهذا الملك .

ومن فوائد الآية الكريمة : أنه أتى بقوله : ((**فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ**)) الجملة الاسمية التي تفيد الثبوت والاستمرار أي ملك مستقر تام .

ثم قال عز وجل : ((**وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ**)) من فوائدها : بيان نعمة الله سبحانه وتعالى علينا بتذليل هذه الأنعام ولو استعصت علينا ما تمكنا من الانتفاع بها ولهذا لما ند بعير من الإبل في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام أدركه رجل بسهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (**إن لهذه الإبل أوابد كأوابد الوحش فمن**

ند منها فاصنعوا به هكـذا) فهـذه البعيـر تمـردت علـى أهلهـا ولـم يدركوها إلا بالسهم .
ومن فوائد الآية الكريمة : بيان أن أفعال المخلوقات مخلوقة لله لقوله : **((وذللناها لهم))** لكنها مفعولة للفاعل مباشرة فهي تنسب إلى الله عز وجل تقديراً وخلقـاً وتكسـب إلـى الفاعـل كسـباً وعملاً فهـذه الإبـل المذللة الذي ذللها هو الله إذاً أفعالها صادرة بخلق الله عز وجل وهذا هو المذهب الصـحيح فـي هـذه المسـألة أي مسـألة أفعـال العبـاد هـل هـي مخلوقة لله أو هي للعباد استقلالاً ؟ والمسألة فيها ثلاثة أقوال ، بل ثلاثـة مذاهب :
المذهب الأول : مذهب الجبرية الذين يقولون : إن خلـق اللـه عـز وجـل شامل لكل حركة في السماوات والأرض وإن الإنسان مجبور على عمله ليس له فيه اختيار بل الحركة الإرادية الاختيارية كالحركة الإجباريـة الـتي ليس له فيها إرادة يقولون : إن أفعـال الإنسـان كحركـة السـعفة بالريـح ليس باختياره
فإذا قيل لهم إن هذا يلزم منه الفوضى بحيث يفعل كل إنسان مـا شـاء ويقول هذا غير اختياري وأنا مجبور عليه ويلزم منه أيضاً أن الله إذا عذب الإنسان على معصية كان ظالماً له ويلزم عليه أن مدح الطـائعين لغـو لا فائدة منه لأنـه لا يمـدح الإنسـان علـى عمـل يجـبر عليـه بـدون اختيـاره ويترتب عليه أيضاً أن ذم العاصين ظلم لأنه ذم لمن لا يختار هذا الفعل
وكما أنه يترتب عليه هذه اللوازم الباطلة فهو أيضاً مخالف للواقع فـإن الإنسان يجد الفـرق بيـن فعلـه الاختيـاري وبيـن فعلـه الاضـطراري يجـد الفرق بين أن ينزل من السلم درجة ، درجة وبطمأنينة واختيـار وبيـن أن يأتي شخص يدفعه دفعاً حتى لا يتمكن مـن الوقـوف فـالأمر واضـح مـن الناحية الواقعية العقلية أن هذا القول باطل من أبطل الأقوال لكن الذي غر أصحابه أن الله عز وجل ذكر أنه خلق كل شيء وأنه قـدر كـل شـيء وأنه لا يكون في ملكه ما لا يريد إلى غير ذلك من الأشـياء الـتي يتعللـون بها لكنه في الحقيقة نظروا إليها وغفلوا عن النصوص الأخرى الدالة على أن الإنسان فاعل باختياره
ولهذا قابلهم قوم نظروا إلى النصـوص الدالـة علـى أن الإنسـان فاعـل باختياره وإلى الواقع فأنكروا أن يكون لله إرادة أو خلق في أفعال العبـاد ، وقالوا : إن العبد مستقل بعمله يفعل ما يشاء ويـترك مـا يشـاء وليـس لله سبحانه وتعالى تعلق بفعل العبد هؤلاء أقرب إلى المعقول من أولئك القوم لأن الإنسان لا شك يجد أنه فاعل بلا اختيار فهو يدخل بيتـه ويخـرج من بيته ويأتي للمسجد ويخرج من المسجد ويختار هذا الفعل علـى هـذه الفعل على وجه اختياري لا يشعر أبداً بـأن أحـداً يجـبر علـى ذلـك ولكـن ضـل هـؤلاء بسـلبهم إرادة اللـه عـز وجـل وخلقـه عـن أفعـال الخلـق واعتقادهم أن الإنسان مستقل بما يحدثه ولهذا سموا مجوس هذه الأمـة

لمشابهتهم للمجوس في إثبات فاعلين للحوادث وهـم يقولـون : بإثبـات فاعلين للحوادث ، الذي من فعل الله هذه من فعل الله ، والذي من فعل الإنسان هذه من فعل الإنسان مستقلاً بها ولهذا سموا مجوس هذه الأمة وهؤلاء لا شك أنهم ضالون لأنهم أخرجوا شيئاً في ملك الله عن ملك الله أهل السنة والجماعة توسطوا بين القولين وأخذوا بالدليلين وقالوا : إن الإنسان لا شك يفعل باختياره ويـدع باختيـاره وإن لـه إرادة تامـة بقـدرة والذي خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله عز وجـل لـو شـاء اللـه سـبحانه وتعالى لسلبه الإرادة ولو شاء لسلبه القدرة ولذلك إذا سـلب اللـه العبـد الإرادة لم يترتب على فعله حكم فالمجنون مثلاً هـل يؤاخـذ بأفعـاله ؟ لا لأنه ...والعاجز لا يكلـف **((فاتقوا اللـه مـا اسـتطعتم))** إذاً فـالله سبحانه وتعـالى هـو الـذي خلـق الإرادة والقـدرة فـي الإنسـان ، قـالوا : والإرادة والقدرة هما السـبب فـي وجـود الفعـل صـح ، فلـولا الإرادة مـا فعلت ولولا القدرة ما فعلت فالإرادة والقـدرة همـا سـبب وجـود الفعـل وإذا كانا مخلوقين لله فإن خالق السـبب خـالق للمسـبب فيضـاف فعـل العبد إلى الله من هذه الناحية أي أن الله هو الذي أوجد فيه سبب الفعـل فصار بذلك فاعل كما أن الإحراق مثلاً بالنار ينسب إلى من والـذي أودع فيها هذه القوة هو الله عـز وجـل فلـذلك صـار إحـراق النـار بفعـل النـار مباشرة لكنه بتقدير الله سبحانه وتعالى خلقاً

وهذا الذي ذهـب إليـه أهـل السـنة والجماعـة وهـو المطـابق للمنقـول والمعقول والواقع لأنه يجمع بين الأدلة الشرعية ويصدق الأدلـة الحسـية فالأدلة الشرعية إذا جمعتها من أطرافها وجـدت أنهـا تنصـب فـي أنبـوب واحد هو الذي ذهب إليه أهل السنة والجماعة ولولا هذا الاعتقـاد لشـلت الحركة ولصار الإنسان اتكالياً لا يقول ولا يفعل ولولا هذا الاعتقاد لم يلجأ الإنسان إلى ربه عز وجل لمهماته وملماته فهو باعتبـار أنـه مريـد فاعـل يتحرك ويعمل وباعتبار أنه مخلوق مدبر يرجـع إلـى مـن ؟ إلـى اللـه عـز وجل فلا يكون اتكالياً ولا يكون أنانياً يعني أنه لن يستغني بنفسه عن ربه ولن يكون اتكالياً يقول : إن قدر لي شيء صـار بـل هـو يعمـل مسـتعيناً بالله معتمداً عليه

قال : **((وذللناها لهم فمنهمـا ركـوبهم ومنهـا يـأكلون))** مـن فوائد الآية الكريمة : أن لنا أن ننتفع بهذه الأنعام بالركوب ولكـن بشـرط ألا يكون في ذلك مشقة عليها فإن كان في ذلك مشـقة كـان حرامـاً لأن المشقة تعذيب لها في غير محله .

ومن فوائد الآيـة الكريمـة : جـواز الارتـداف علـى الدابـة لعمـوم قـوله : **((فمنها ركوبهم))** ولكنه مقيـد بمـا أشـرنا إليـه ألا يكـون فـي ذلـك مشقة .

ومن فوائد الآية الكريمة أيضاً : حل هذه الأنعام أو حل بعضها إذا جعلنا ((**من**)) للتبعيض وجعلنا الأنعام أعم من بهيمة الأنعام والحل في الأنعام كلها هو الأصل ولذلك لو تنازع شخصان في أن هذا الحيوان حلال لكان القول قول من يقول بالحل حتى يقوم دليل على التحريم أولاً : لعموم قوله تعالى : ((**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا**)) [البقرة:29]^وثانياً : لعموم قوله : ((**ومنها يأكلون**)) فالأصل هو الحل حتى يقوم دليل على المنع لكن هذا الحل مقيد في الواقع مقيد بماذا ؟ بشروط الزكاة المعروفة لأنه إذا لم تزكى البهيمة الحلال زكاة شرعية صارت حراماً لا تحل فهذا الإطلاق ((**ومنها يأكلون**)) مقيد بماذا ؟ بشروط وهو أن المزكى زكاة شرعية ومع هذا إذا اضطر الإنسان إليه حل له وإن لم يزكه لقول الله تعالى : ((**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**))[البقرة:173]^.

ومن فوائد الآية الكريمة : أنه يجوز تعذيب الحيوان إذا لم تتم المصلحة إلا به ، إذا لم تتم مصلحتنا إلا به ، لأن الأكل ذبح لا يؤكل إلا بعد الذبح والذبح من أعظم ما يكون من الإيلام ولأن الشرع جاء بإباحة الوسم ، وسم البهائم بالنار من أجل حفظ ماليتها ولأن الشرع جاء بمشروعية إشعار الإبل والبقر في الهدي ليعلم أنها هدي وإشعارها هو شق صفحة سنامها حتى يسيل منها الدم وعلى هذا فإذا احتجنا إلى تعذيب الحيوان من أجل حفظ ماليته أو غير ذلك فإنه لا بأس به مثل ما يفعله بعض الناس في الحمام إذا أراد أن تربي عنده فإنه ينتف مقدم الأجنحة لئلا تطير حتى تألف المكان وتربي فيه يقولون : لو أننا قصصناها قصاً ما نبت لها يعني ريش بسرعة فلهذا يختارون أن ينتفوها نتفاً من أجل أن ينبت الريش بسرعة وتستعد للطيران .

قال : ((**ومنها يأكلون * ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون**)) يستفاد من هذه الآية الكريمة أيضاً : ما سبق من أن الله عز وجل خلق هذه الأشياء لمنافعنا أي منفعة يمكن أن نحصل عليها من هذه البهائم فإنها مباحة لنا ولهم فيها منافع لكن بشرط كما أسلفنا ألا يكون في ذلك مشقة فإن كان في هذا مشقة فإنها ممنوعة

ومن فوائدها : حل ألبان هذه البهائم لقوله : ((**ومشارب**))

ثم قال : ((**أفلا يشكرون**)) يستفاد من هذه الجملة وجوب شكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعم ووجهه أنه وبخ من لم يشكر ولا توبيخ إلا على فعل محرم أو ترك واجب والشكر شكر المنعم كما دل عليه الشرع فقد دل عليه العقل فإن كل إنسان مدين لمن أنعم عليه ، عليه أن يشكره بحسب ما تقتضيه الحال ولهذا جاء في الحديث الصحيح : (**من صنع إليكم معروفاً فكافئوه عليه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**) .

ثـم قـال اللـه عـز وجـل : ((**وَاتَّخَذُوا مِـنْ دُونِ اللَّـهِ آلِهَـةً لَعَلَّهُـمْ يُنصَرُونَ**)) في هذه الآية من الفوائد :
أولاً : صحة إطلاق الإله على غير الله عز وجل لقوله : ((**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً**)) ولكن هل هذه الآلهة حق ؟ الجواب لا هي آلهة باطلة لقول الله تعالى : ((**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَـقُّ وَأَنَّ مَـا يَـدْعُونَ مِـنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**))[الحج:62]^ فهي وإن سموها آلهـة وعبدوها كمـا يعبدون الـرب عـز وجـل فإنهـا لـن تكـون آلهـة ((**إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْـمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**))[النجم: 23]^ .
ثانياً : أن هؤلاء الذي اتخذوا هذه الآلهة توهموا فيها أنهـا تنصـرهم ولكـن أبطل الله هذا الوهم بقوله : ((**لا يستطيعون نصرهم**)) .
ومن فوائد الآية الكريمة : أن الإنسان المبطل لابد أن يتعلق بشيء يـبرر به باطله ما هو الشيء هنا ؟ رجاء النصر ((**لعلهـم ينصـرون**)) وكـل إنسان مبطل لابد أن يعلل ما ذهب إليه من الباطل كما مر عليكـم كـثيراً في أقوال أهل البدع وكما مر عليكم أيضاً في .

التعبدية يعني لن يقبل الإنسان أن يقول هذا حلال وهذا حرام حتى يبين دليله وحجته فيقول الله عز وجل :
((**لعلهم ينصرون**)) ((**لا يستطيعون نصرهم**)) في هذا دليل على أن الآلهة يعني من فوائد الآية الكريمة : أن هذه الآلهة لا يمكن أن تنصر عابديها لقوله : ((**لا يستطيعون نصرهم**)) فإن قلت يا عبد الله أليسوا يستغيثون بالآلهة فيغاثون أحياناً ؟
الطالب : ...
الشيخ : هو ...لكن هل حصل هذا النصر بها ؟
الطالب : ...
الشيخ : يعني أحياناً يستغيث بالصنم ويغاث .
الطالب : فتنة
الشيخ : فتنة ، لكن هل هذا الغوث حصل باستغاثته ؟
الطالب : ...
الشيخ : حصل عندها لا بها نعم وفرق بين أن يكون الشيء حصل بالشيء أو حصل عنده والسبب غيره فسبب هذا الغوث الفتنة كما قلت وليس دعوة هذه الأصنام لقول الله تعالى : ((**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ**))[الأحقاف:5]^.
ومن فوائد الآية الكريمة : أن هؤلاء العابدين جند محضرون لأصنامهم يدافعون عن الأصنام وينتصرون لها لقوله : ((**وهم لهم جند محضرون**)) وفي هذا من المناداة بسفههم ما هو ظاهر حيث يستنصرون بمن لا يستطيعون نصرهم وهم ينصرونهم ، وهذا من السفه كيف تنصر شيئاً لا يستطيع نصرك ولا تستفيد منه ولهذا يعتبر قوله : ((**وهم لهم جند محضرون**)) كالدليل على سفه هؤلاء أنهم ينتصرون لهذه الآلهة وينصرونها مع أنها لا تنصرهم وهذا الذي قررته الآن بناءً على أن معنى الآية وهؤلاء العابدون للمعبودين جند محضرون أما على رأي المؤلف فيرى خلاف ذلك يرى أن هذه الأصنام جند لهؤلاء لكنهم محضرون في النار جميعاً وسبق بيان ضعف هذا القول .
ثم قال تعالى هذا مبتدأ الدرس الجديد قال الله تعالى : ((**فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ**)) أي لا يوقعك في الحزن ، والحزن هو الندم والهم لم ا مضى وضده الخوف فإنه الهم لما يستقبل ، ما الذي قالوه ؟ قالوا أشياء كثيرة

قالوا مثلاً : ((**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَـذَا لَشَـيْءٌ عُجَـابٌ**)) [ص:5]^وهذا طعن في الألوهية وقالوا :
((**لَسْتَ مُرْسَلًا**))[الرعد:43]^وهذا طعن في الرسـالة وقـالوا : إن محمداً صلى الله عليه وسلم مجنون وشاعر وكاهن وسـاحر وهـذا أيضـاً عيـب فـي شخصـية الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام ومـن المعلـوم أن الإنسان بشر سوف يتـأثر إذا صـودمت دعـوته فـي لبهـا وأصـلها وقيـل : ((**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَـيْءٌ عُجَـابٌ**)) الإنسـان إذا صودم قوله الفقهي مثلاً يحس فـي نفسـه بلغـط لكـن إذا كـان سـيهدم أصله يكون أشد وأعظم وإذا عيـب عيبـاً ذاتيـاً يكـون أشـد وأشـد ولهـذا يسلي الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم في مثل التوجيهات
((**فلا يحزنك قولهم**)) ((**إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُـونَ**))
الجملة استئنافية لبيان حال هؤلاء الذين يقولون ما يقولـون فـي رسـول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به وحالهم أنهم مهددون بماذا ؟ بعلـم الله عز وجل بماذا ؟ بما يسرون وما يعلنون ، ما يسرونه فيما بينهـم ومـا يعلنونه للناس ، ما يسرونه في أنفسهم وما يبدونه لغيرهم
فعندنا إسراران ، إسرار الإنسـان مـافي نفسـه بحيـث لا يعلـم بـه أحـد ، الإسرار الثاني : إسرار الأمر بينهم فلا يخرج لغيرهم ، ونضرب لهـذا مثلاً هؤلاء قوم عددهم عشرة يتحدثون فيمـا بينهـم بـأمر مـن الأمـور لكـن لا يخرج إلى غيرهم هذا إسرار وإلا لا ؟ إسرار ، أحد هـؤلاء العشـرة أضـمر في نفسـه شـيئاً لـن يخـبر بـه زملاءه هـذا أيضـاً إسـرار فقـوله : ((**ما يسرون**)) يشمل هذا وهـذا أي مـا أسـره كـل إنسـان فـي نفسـه ومـا أسروه فيما بينهم دون أن يعلموه لغيرهم وفي هـذا مـن التهديـد مـا هـو ظاهر فالله تعالى يعلم ما يسرونه وما يعلنونه وسوف يجازيهم على ذلك يوم القيامة .
ثم قال الله تعالى : ((**أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَـانُ أَنَّـا خَلَقْنَـاهُ مِـنْ نُطْفَـةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَـرَبَ لَنَـا مَثَلًا وَنَسِـيَ خَلْقَـهُ**)) قـال : ((**أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ**)) ((**ير**)) بمعنى يعلم ((**أَوَلَمْ يَـرَ**)) أي أولـم يعلم والاستفهام هنا للتقرير والمراد به التوبيخ نعم والواو حـرف عطـف والمعطوف عليه إما مقدر بعد الهمزة وإما ما سبق وعلـى الثـاني تكـون الهمزة منقولة عن مكانها وأصلها على القول الثاني : وألم ير
وقوله : ((**الإنسان**)) قال المؤلـف : " **وهو العـاص بـن وائـل** " وعلـى رأي المؤلـف تكـون أل هنـا للعهـد الـذهني ولكـن الصـحيح أن أل

للجنس أي جنس الإنسان ومنه العاص بن وائـل لأن الأصـل فـي أل أنهـا لبيان الجنس هذا الأصل فيها ((**والعصر * إن الإنسان لفي خسر** *)) يعني جنس الإنسان ((**إلا الذين آمنوا**)) ووجه كون ذلك هو الأصل أن العهد يحصرها في شيء معين والأصل بقاء اللفظ على عمـومه فـإذا قال قائل ((**أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ**)) : إنـه فلان بـن فلان نقـول اللـه عـز وجل قال : ((**الإنسان**)) وهو شامل إذاً فالصحيح أنه عام لكن نجعـل العاص بن وائل نجعله مثالاً لمن قال هذا القول أو لمن رأى هذا الرأي

((**أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ**)) مني إلى أن صـيرناه شديداً قوياً ((**فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ**)) شديد الخصومة لنا ((**مبين**)) بينها في نفي البعث نعم ، الإنسان خلق من نطفة وهو هذا المني المهين كمـا وصفه الله عز وجل هذا الماء المهين الـذي خلـق منـه الإنسـان إذا رجـع الإنسان لأصله وجد أنه كالنخامة ليس بشيء ثم بعد هذا ينشـئه اللـه عـز وجل حتى يعطيه الفصاحة والبلاغة وقوة الحجة بعد أن يتربى بنعـم اللـه في بطن أمه ثم بصدر أمه من الثديين ثم بما أنعم اللـه عليـه مـن أنـواع الطعام والشراب يقوى ويشتد عقله وفكره وذهنه فيكون إيش ؟ خصيماً ((**فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ**)) أي شديد الخصومة لأن فعيل بمعنى فاعـل لكـن تدل على المبالغة وقوله : ((**مبين**)) أي بين الذي يظهر أن ((**مـبين**)) بمعنى مظهر يعنـي مظهـر لخصـومته لكـونه شـديد الخصـومة قويهـا وسيأتي إن شاء الله بيان نوع من جدل الإنسان وخصومته .

((**أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِيـنٌ**)) سبق لنا أن هذا الاستفهام للتقرير الـذي يـراد بـه التوبيـخ وأن المـراد بالإنسان ما هو أعم مما قاله المؤلف من تخصيصه بالعاص بن وائل قـال الله عز وجل :

((**فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**)) أي مظهر للخصومة خلافا لقول المؤلف : " **بين الخصومة** "

قال : ((**وضرب لنا مثلاً**)) يعني هذا الإنسان الذي كان خصيماً مبيناً ((**ضرب مثلاً**)) لله عز وجل يريد التعجيـز والإنكـار وتقـدير نفيـه هـذا المثل بينه بقوله : ((**قال من يحي العظـام وهـي رميـم**)) ولهـذا جاءت الجملة مفصولة عما سـبق لأنهـا وقعـت بيانـاً لمبهـم فـي قـوله : ((**وضرب لنا مثلاً**)) ((**قال من يحـي العظـام وهـي رميـم**)) نعم ((**ونسي خلقه قال من يحي العظام**)) ((**نسـي خلقـه**)) يعني ابتداء خلقه أنه خلـق مـن مـاء مهيـن فكـان هـذا الإنسـان الخصـيم

المبين والجملة في قوله : **((ونسي خلقه))** جملة يحتمل أن تكون جملة خبرية ويحتمل أن تكون جملة حالية أي وقد نسي خلقه يعني أنه في ضرب المثل قد نسي خلقه وأنه من مني ثم كان إنساناً سوياً خصيماً مبيناً ، المثل بينه بقوله : **((قال من يحي العظام وهي رميم))**

يقول المؤلف رحمه الله : **((ونسي خلقه))** " **من المني وهو أغرب من مثله** " كيف ذلك ؟ لأن مثله الذي ضربه إعادة شيء كائن وخلقه من المني ابتداء خلق وأيهما أشد امتناعاً لو كان في امتناع على الله ؟ الابتداء ولهذا قال الله عز وجل : **((وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ))**[الروم:27]^ فإذا كان كذلك فإنه أي الإنسان الخصيم المبين يكون ضالاً من وجهين :

الوجه الأول : استغرابه قدرة الله عز وجل على الإعادة .

والثاني : نسيانه أول الخلق حيث نسي أنه خلق من ماء مهين حتى صار إنساناً سوياً خصيماً مبيناً .

((قال من يحي من العظام وهي رميم)) أي بالية **((من))** ما نوعها ؟ استفهامية والمراد به النفي أو الإنكار يعني لا أحد يحيي العظام وهي رميم الإنسان إذا مات ورم أي ذهب لحمه وعصبه وصارت عظامه تتفتت لقدمها فهي إذاً رميم ، هذه العظام الرميم هي أبعد شيء عن الحياة لأنه تشبه التراب فهي أبعد شيء عن الحياة فكيف تحيا هذه العظام هذا وجه استغراب هذا الرجل المنكر

((قال من يحي العظام وهي رميم)) أي بالية ولم يقل بالتاء لأنه اسم لا صفة الرميم تارة يراد بها الصفة يعني اسم المفعول أو اسم الفاعل مرمومة أو رامة وتارة يراد به الاسم يعني أن العظم إذا بلي يسمى رميماً فلما قصد به الاسم لم يحتاج إلى التاء لأنه مثل أسد وحجر وشجر وما أشبه ذلك لم يحتاج إلى التاء لكن لو أريد الصفة لكان يؤنث لأن العظام جمع وكل جمع قابل للتأنيث لا سيما وأنه قال : **((وهي))** وهذه ضمير مؤنث قال : **((وهي رميم))** " **وروي أنه أخذ عظام عظماً رميماً ففته وقال للنبي صلى الله عليه وسلم"** إيش ؟ **" أترى يحيي الله هذا بعد ما بلى ورم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (نعم ويدخلك النار)** المؤلف ساق هذا الأثر بالتضعيف روي وهو جدير بذلك لأن هذا الرجل المنكر سواء أنكر أمام النبي صلى الله عليه وسلم أو خلف ظهره فإنه منكر بكل حال وليس

من عـادة الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام أن يعامـل النـاس بمثـل هـذا الأسلوب بقوله **: (نعم ويدخلك النار)** فالأثر هذا يحتاج إلى نظر في سنده وفي صحته

قال الله تعالى مبيناً قـدرته علـى ذلـك : **((قل))** والخطـاب لمـن ؟ للرسول صلى الله عليه وسلم **((قل))** يعني لهذا الـذي أنكـر أن يحـي الله العظام وهي رميـم **((قُلْ يُحْيِيهَـا الَّـذِي أَنشَـأَهَا أَوَّلَ مَـرَّةٍ))** واعلم أن الله عز وجل إذا قال للرسول عليه الصلاة والسلام فهو أمر له بالإبلاغ ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بإبلاغ القرآن عموماً لقوله : **((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنـزِلَ إِلَيْـكَ مِـنْ رَبِّـكَ))** [المائدة:67]^فإذا خص شيئاً من الأحكام أو مـن الأخبـار بـ **((قـل))** كان في ذلك عناية خاصة بهذا الذي أمر أن يقوله لأن أمر أن يبلغـه علـى وجـه إيـش ؟ علـى وجـه الخصوصـية ومعلـوم أن مـا كـان علـى وجـه الخصوصية فهو أوكد مما دخل في العموم وخلاصة هذه القاعدة أن اللـه إذا أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول : **((قل))** فهـذا أمـر خـاص بتبليغ هذه المسألة سواء كانت خبراً أو كانت حكماً

((يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ)) لم يقل الرب عز وجل لم يقل يحييها الله بـل قـال : **((الذي أنشـأها أول مـرة))** ليكـون الجـواب متضمناً للدليل لأنه لو قال : قل يحييها الله فهم الإنسان أن الله هو الذي يحييها لكن إذا قال : **((الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ))** كـان هـذا الجـواب متضـمنا لإيـش ؟ للـدليل **((الَّذِي أَنشَـأَهَا أَوَّلَ مَـرَّةٍ))** ومـن الـذي أنشأها أول مرة ؟ الذي أنشأها أول مرة هو الله عز وجل لـم يخلـق أحـد من الخلق هذه العظام ولـم ينشـئها أول مـرة فـإذا كـان اللـه عـز وجـل أنشأها أول مرة فهو قادر على إيش ؟ على إعادتها لأن الإعادة أهون من الابتداء وهذا دليل يعني أن الله ذكـر فيمـا بقـي مـن الآيـات الأدلـة علـى إمكان إحيـاء هـذه العظـام وهـي رميـم هـذا هـو الـدليل الأول **((الذي أنشأها أول مرة))** وجه الاستدلال بهذا على أن القـادر علـى الابتـداء قادر على الإعادة من باب أولى طيب ،

ثانياً قال : **((وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ))** مخلوق عليم ، مجملاً ولا جملـة ؟ مجملاً ومفصلاً ، قبل خلقه وبعد خلقه هذه الجملة **((وهو بكل خلق))** قال المؤلف : **" الخلق هنـا بمعنـى المخلـوق "** فجعـل المصـدر بمعنى اسم المفعول والذي يظهر أن المراد بالمصدر نفس المصدر مـن المعلوم أنه لا مخلوق إلا بخلق لكن إذا قال : **((وهو بكل خلق عليـم**

)) صار في هذا نـص علـى علمـه بـالخلق أي كيـف يخلـق وكيـف ينشـئ الخلق فيكون أدل على قدرته على إحياء الموتى ممـا إذا قلنـا وهـو بكـل مخلوق لأنه إذا قلت : بكل مخلوق صار علمه بالمخلوق متى ؟ بعد خلقه لكن إذا كانت الآية على ظاهرها **((بكل خلق))** يعنـي أنـه يعلـم كيـف يخلق والعـالم بكيفيـة الخلـق إذا أراده لـم يستعصـى عليـه لأنـه إذا كـان عالماً لم يبق إلا الإرادة ، إذا أراده وهو بكل خلق عليم صنع مـا علـم عـز وجل فكونه **((بكل خلق عليم))** دليل على أنه قـادر علـى أنـه يعيـده لأن الـذي يعجـز إمـا أن يكـون لعجـزه وإمـا أن يكـون بجهلـه ، لـو قلـت لشخص اصنع لنا مسجلاً وهو لا يعلم الصنعة هل يصنع مسجلاً ؟ لمـاذا ؟ لجهله لو قلت اصنع لي مسجلاً وهو يعلـم كيـف يصـنع لكـن ليـس عنـده قدرة لا يصنع هنا لما قـال : **((هو الـذي أنشـأها أول مـرة))** هـذه القدرة **((وهو بكل خلق عليم))** هذا انتفاء الجهل فإذا انتفـى العجـز المستفاد من قوله :

((أنشأها أول مرة)) وانتفى الجهل المستفاد من قـوله : **((وهو بكل خلق عليم))** صـار الخلـق ممكنـاً طيـب هـذان دليلان ، **((وهو بكل خلق عليم))**

((الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ)) أي في جملة الناس **((مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ))** ..." **المرخ والعفار أو كل شجر إلا العنـاب " ((نَـارًا فَـإِذَا أَنْتُـمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ)) ((الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً)) ((جعل))** بمعنى صير ، والذي جعل لنا من الشجر الأخضر ناراً هو الله عز وجل وقوله : **((جعل لكم))** في جملة النـاس أراد المؤلـف بقـوله : " **في جملة الناس** " أن هذا الجعل ليس خاصاً بالمخاطبين أي برســول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بل هو عام لكل أحـد فهـو جعـل لهـم في جملة الناس **((من الشـجر الأخضـر))** المؤلـف يقـول : " **مـن المرخ والعفار** " وبناء على كلامه تكون أل للعهد الذهني ويكون عامـاً أريد به الخاص ولكن سبق لنا أن هذا خلاف الظـاهر وأن أل الأصـل فيهـا أنها تفيد الجنس أي العموم فالصواب أن المـراد **((من الشـجر))** أي من كل شجر كما قال وقوله : " **إلا العناب** " لا نعرف عن هذا شيئاً هل إنه مستثنى وأن العناب لا يمكن أن تأتي منـه النـار اللـه أعلـم علـى كـل حال نحن نقول عنـدنا الأصـل **((من الشـجر الأخضـر نـاراً))** عامـاً **((الشجر الأخضر))** فيه الرطوبة أليس كذلك ؟ والرطوبة يلزم منهـا البرودة والنار التي تخرج من هذا الشجر الرطب البـارد يابسـة وإيـش ؟

وحارة فهذا اليابس الحار متولد من رطب بارد ولا يخفى ما بين الرطوبة والبرودة وبين الحرارة واليبوسة من التناقض العظيم فإذا كـان اللـه عـز وجل يولد هذا الشيء الذي بينه وبين المولد منه من التنافر ما هو ظـاهر فهو قادر على إيش ؟ على إحياء العظام وهي رميم لأن كونه يخلق الضد من الضد أبلغ في القدرة من كونه يخلـق الشـيء مـن لا ضـد وهـذا أمـر ظاهر إذاً هذا دليل إيش ؟ هذا دليل ثالث على إمكان إحياء العظام وهـي رميم

وقوله : ((**فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ**)) الفـاء هنـا عاطفـة وإذا فجائيـة يعني أنه بمجرد أن تضرب عوداً بعود من هذا الشجر تنقدح النـار فتوقـد منه يعني لا يحتاج إلى كبير عناء بل إن الإيقاد أمر سهل مفاجئ للعملية ، المفاجئـة اسـتدللناها مـن كلمـة ((**إذا**)) وفـي قـوله : ((**أنتـم منـه توقدون**)) دليل على استمرارية هذا العمل لأن الجملـة الاسـمية تفيـد الثبوت والاستمرار وهذا أمر لا أحد ينكره ، لا أحد ينكر أنه يوجد يتولد من الشجر الأخضر نار يوقد الناس منه طيب ((**فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْـهُ تُوقِـدُونَ**))

قال المؤلف رحمه الله : " **تقدحون وهذا دال على القدرة علـى البعث فـإنه جمـع فيـه بيـن المـاء والنـار والخشـب فلا المـاء يطفئ النار ولا النار تحرق الخشب** "

قال : ((**أَوَلَيْسَ الَّـذِي خَلَـقَ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضَ**)) مـع عظمهمـا ((**بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ**)) أي الأناسي في الصغر ((**بَلَى**)) هذا أيضاً دليل رابع ((**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَـى أَنْ يَخْلُـقَ مِثْلَهُـمْ**)) الجـواب ((**بلـى**)) أجـاب اللـه بنفسـه ((**بلى**)) خلق السماوات والأرض أكبر من خلق النـاس كمـا قـال اللـه تعال : ((**لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ**))[غافر: 57]^ وهذا أمـر معلـوم بـالحس والمشـاهدة ، البشـر كلهـم لا يسـاوون كوكباً من الكواكب فما بالك بهذه الكـواكب والنجـوم الـتي لا يحصـيها إلا اللـه عـز وجـل والسـماوات العظيمـة الـتي قـال اللـه تعـالى فيهـا : ((**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِـعُونَ**))[الـذاريات:47]^ الـذي خلق السماوات والأرض أفلا يكون قادراً على خلق الناس ؟ الجواب بلى والله ، بلى وأولى فالـذي خلـق هـذه الأجـرام العظيمـة بمـا أودعهـا مـن المصالح العظيمة أيضاً قادر على أن يخلق مثلهم بالأولى والأحرى وهــذا الدليل هو الدليل الرابع

قال : ((**بلى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ**)) ((**بلى**)) أي هـو قـادر علـى ذلك أجاب نفسه عز وجل ((**وهو الخلاق**)) الكثير الخلـق ((**العليـم**)) بكل شيء ، ((**وهو الخلاق**)) قـال المؤلـف : " **الكثير الخلـق** " فجعل فعالاً من صيغة المبالغة ولا شك أن الله عز وجل كثير الخلق لكن ينبغي أن نقول أيضاً من فعال هنا نسبة ،

نسبة يعني أنه موصوف بالخلق ووصفه بـالخلق أبلـغ مـن وصـفه بإيجـاد الخلق أو بفعل الخلق يعني أنه ذو ...يعني أننـا لـو قلنـا فلان نجـار ، مـاذا يفيد قولنا بأنه نجار إذا جعلناه من باب النسبة وماذا يفيد إذا جعلنـاه مـن باب المبالغة ؟ إذا جعلناه من باب المبالغة فالمعنى أنه كثير النجارة كـذا وإلا لا ؟ نجار يعني كثير النجارة ، لكن هل هو يجيـدها وهـل هـو مسـتحق لأن يوصف بهذه المهنة فيقال نجار ؟ قد يكون وقـد لا يكـون ، قـد يكـون كثير النجارة لكن تطلع أبوابه ما تنفع أبداً نعم مخرقة تكسر المحامل ولا تنفع وكل يوم يطلع لنا باب أو بابين ما شاء اللـه لكنـه خـراب هـذا نقـول صيغة مبالغة لكن هل النجارة وصـفه بمعنـى أنـه حـاذق متقـن لهـا لا ، لا يلزم قد يكون وقد لا يكون أما إذا قلت نجار علـى أنهـا نسـبة أي صـاحب صنعة فهو أبلغ في الوصف والنجـار أي بالصـنعة المتقـن لهـا سـواء نجـر كثيراً أو قليلاً فهو نجار متقن فهنا يمكن أن نقـول : ((**وهـو الخلاق**)) نحملها على إيش ؟ علـى النسـبة المفيـدة لوصـف اللـه عـز وجـل بهـذه الصفة العظيمة أي ذو الخلق المتقن على أكمل وجه ومع هـذا فـإن اللـه سبحانه وتعالى اجتمع في حقه الوصف إيش بعـد ؟ والفعـل يعنـي كـثرة الخلق لاشك أن خلق الله عز وجل لا يحصى أجناسـاً فضـلاً عـن الأنـواع فضلاً عن الأفراد من ذا الذي يحصي أجناس الخلق مـن ذا الـذي يحصـي أنواع هذه الأجناس ومن الذي يحصي أفراد هذه الأنواع ؟ لا يستطيع أحـد أن يحصي ذلك إذاً فقد اجتمع في حق الله سـبحانه وتعـالى الأمـران مـا هما ؟ النسبة أي الوصـفية يعنـي كمـال الوصـف ، الثـاني : الكـثرة الـتي تفيدها صيغة المبالغة طيب إذا كان اللـه سـبحانه وتعـالى خلاقـاً أي مـن وصفه الخلق ، الوصف اللازم له وكذلك كثير الخلـق هـل يعجـز علـى أن يحي العظام وهي رميم ؟ لا إذاً خذ هذا دليلاً خامساً

((**العليم**)) هذا أيضاً العلم دليل لأنا قلنا إن عدم الإعادة إما أم يكون للعجز وإما أن يكون للجهل فكلما وصف الله نفسه بالعلم فإن ذلك يعني أنه قادر لأنه لا يجهل كيف يخلق وكيف ينشـئ فيمكـن أن نعـد هـذا دليلاً سادساً .

ثم قال : ((**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**))
قال المؤلف ((**إنما أمره**)) : " **أي شأنه** " يعني شأنه وحاله ((**إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**)) ما يحتاج إلى أحرار ...مثلاً أو إلى جنود يساعدونه ولا إلى أن يعمل بيده عز وجل بل يقول : ((**كن فيكون**)) وقوله : " **شأنه** " قد ينازع فيه ويقال : إن المراد بالأمر أمر التكوين ، يعني أمره أن يقول : كن بدون أن يكرر كما في قوله : ((**وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**))[القمر:50]^فيجعل الأمر واحد إيش ؟ الأمور وإلا واحد الأوامر ؟ واحد الأوامر ، يجعل الأمر واحد الأوامر والمؤلف يريد أن يجعل الأمر واحد الامور ويمكن أن نقول : بالأمرين جميعاً نقول : شأنه عز وجل في تمام قدرته أن يقول للشيء : كن فيكون ، وأمره إذا أراد الشيء أن يقول : كن بدون تكرار ((**فإنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة**)) ((**إذا أراد شيئاً**)) قال المؤلف رحمه الله : " **أي خلق شيءٍ** " ((**أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**))
الأولى ألا نقيد شيئاً بالخلق بل نقول إذا أراد شيئاً خلقاً أو إعداماً يعني أن الأشياء إما أن يريد الله إيجادها أي خلقها وإما أن يريد إعدامها والإعدام إتلاف لا إيجاد فالأولى إبقاء الآية على ظاهرها على إطلاقها ((**شيئاً**)) سواء كان خلقاً وإيجاداً أو إعداماً وإتلافاً ولكن الذي حمل المؤلف رحمه الله على أن يقول : " **خلق شيء** " لأن السياق بالاستدلال على الخلق وهو الإيجاد فلهذا خصها به ولكننا إذا قلنا إنها على إطلاقها فإنه لا تمنع الخلق كما لا تمنع الاعدام فالأولى أن يقال : ((**إذا أراد شيئاً**)) إي إيجاد شيءٍ وخلقه أو إعدامه وقد يعتذر عن المؤلف فيقال : إن الإعدام فيه نوع خلق ، لأن إتلاف الشيء القائم خلق ولهذا قال الله عز وجل :
((**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ**))[الملك:2]^مع أن الموت عدم وفناء ((**ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**)) والأمر في هذا سهل قال : ((**شيئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**))
((**كن**)) هنا هل هي تامة أو ناقصة ؟ تامة هذا هو الظاهر وإذا جعلناها ناقصة صار المعنى كن كذا أي تحول إلى كذا لكن إذا جعلناها تامة صارت أشمل لتشمل ما أراد الله تعالى تحويله من شيء إلى شيء وما أراد الله تعالى ايجاده أصلاً يعني كن أي أوجد يعني أي يوجد ويتكون أو كن كذا أي بأن يكون الطويل قصيراً والقصير طويلاً وما أشبه ذلك فإذا

جعلناها تامة صار هذا أشـمل ، ((**فيكون**)) يقـول : " **فهـو يكـون** " وفـي قـراءة بالنصـب عطفـاً علـى ((**يقـول**)) قراءتـان سـبعيتان أو إحداهما شاذة ؟

الطالب : ...

الشيخ : لماذا ؟ لأنه قال : " **في قراءة** " واصطلاح المؤلف رحمه اللـه إذا كـانت القراءتـان سـبعيتين أن يقـول : " **وفي قـراءة** " وإذا كـانت إحداهما شاذة قال عن الشاذة : " **قرئ** " طيب في قوله : ((**فيكـون**)) قراءتان

((**فيكـونَ**)) و ((**فيكـونُ**)) أمـا علـى قـراءة الرفـع فالفـاء هنـا للاستئناف ، وجملة ((**يكون**)) خبر لمبتدأ محذوف والتقدير فهو يكـون ، وأما على قراءة النصب فهي معطوفة على ((**أن يقول**)) إنما أمـره إذا أراد شيئاً أن يقول فيكون ، يقول للشيء كـن فيكـون ، طيـب والفـاء على كلا الوجهين دالة علـى الـترتيب والتعقيـب يعنـي أن الشـيء يكـون فوراً بدون تأخير وقد بين اللـه تعـالى سـرعة هـذه الفوريـة فـي قـوله : ((**وما أمرنا إلا واحدة كلمـح بالبصـر**)) لمـح البصـر ليـس شـيء أسرع منه وأمر الله عز وجل واحد كلمح البصر طيب ، قال اللـه تعـالى : ((**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**)) هـذا الـدليل السابع طيب وإذا كان هـذا أمـر اللـه وشـأن اللـه فهـل إذا قـال للعظـام الرميمة كوني إنساناً سوياً هل يمتنع عليه ذلك ؟ لا ولهذا قال الله تعـالى مـن سـورة النازعـات : ((**فإنمـا هـي زجـرة واحـدة * فـإذا هـم بالساهرة**)) وقال في هذه السورة : ((**إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ**))[يس:53]^قال :

((**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ**)) ((**سبحان**)) بمعنى تنزيهاً وهي اسـم مصـدر والمصـدر تسـبيح وهـي ملازمـة للنصـب علـى المفعولية المطلقة دائماً وملازمة أيضـاً للإضـافة حـتى لـو قطعـت عـن الإضافة لفظـاً فهـي مضـافة تقـديراً و ((**سبحان**)) معناهـا التنزيـه ، التنزيه عن أي شيء ؟ ذكرنا قريباً أن الله ينزه عـن النقـص فـي صـفاته وعن مماثلة المخلوقين فمثلاً ينزه أن يكون وجهه كوجه المخلوق وينـزه أن يعتري صفاته نقص بأي وجـه فمثلاً العلـم علـم البشـر نـاقص ابتـداءً وانتهاءً وشمولاً أليس كذلك ؟ ابتداء لأنه مسبوق بجهـل ، انتهـاء ملحـوق بالنسيان ، شمولاً ((**وَمَـا أُوتِيتُـمْ مِـنَ الْعِلْـمِ إِلَّا قَلِيلًا**))[الإسـراء: 85]^لكن علم الله عز وجل كامل من هذه الوجـوه كلهـا ابتـداءً وانتهـاءً

وشمولاً فهو سبحانه وتعالى عالم بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً وهو لا ينسى كما قال موسى عليه الصلاة والسلام : **((عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى))**[طه: 52]^وعلمه شامل لكل شيء **((إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ))**[آل عمران:5]^**((لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا))** [الطلاق:12]^طيب إذاً الله تعالى منزه عن إيش ؟ عن النقص في صفاته الثابتة له والثاني : عن مماثلة المخلوقين ، مماثلة ما نقول مشابهة ، مماثلة ولا نقول مشابهة نعم فالفرق واضح

أولاً : أن المماثلة هي التي جاء نفيها في القرآن **((ليس كمثله شيء))** ولم يقل ليس كشبهه شيء وقال :

((لا تضربوا لله الأمثال)) .

ثانياً : أنه ما من شيئين موجودين إلا وبينهما نوع من التشابه ولو لا ذلك ما فهمنا من صفات الله شيئاً فمثلاً الوجود للمخلوق وللخالق بينهما تشابه في أصل المعنى وإن كان هذا يختلف ، العلم علم الخالق وعلم المخلوق بينهما تشابه من حيث أصل المعنى لكنهما يختلفان فإذا نفيت المشابهة مطلقاً فهذا نفي للوجود في الواقع .

ثالثاً : أن المشابهة صار نفيها معناه عند كثير من الناس صار نفيها نفياً للصفات لأن كثيراً من أهل التعطيل يصفون من يثبتون الصفات بإيش ؟ بالمشبهة فإذا قلت من غير تشبيه يعني من غير إثبات لأن كل مثبت عندهم مشبه فلهذا كان التعبير لنفي التمثيل أولى من التعبير بنفي التشبيه من ثلاثة أوجه طيب نقول : هو منزه عن مماثلة المخلوقين ، مماثلة المخلوق في الواقع نقص مجرد مماثلة الخالق للمخلوق يعتبر تنقصاً للخالق .

كما قال المؤلف أصلها ملك لكن زيدت الواو والتاء لإيش ؟ للمبالغة ، المبالغة في إيش ؟ في ملك الله لكل شيء لأن ملك الله لكل شيء ملك تام لم يسبق بعدم ولا يلحق بزوال بينما ملك غيره ملك ناقص فأنت في الأصل لم تملك هذا الشيء ثم ملكته بعد ومع ملكك إياه فإن هذا الملك قابل للزوال ثم إن ملكك إياه ليس ملكاً مطلقاً تفعل فيه ما شئت بل هو ملك مقيد أما ملك الله فهو تام ولهذا جاءت الواو والتاء للمبالغة

((**ملكوت كل شيء**)) أي ملك كل شيء طيب أهذا يمكن أن نجعله دليلاً ؟ نعم دليلاً ثامناً .

أولاً : تنزيه الله عن كل نقص ، هذا دليل لأن عجزه عن إحياء العظام وهي رميم نقص ينافي التنزيه فإذا ثبت أنه عز وجل منزه عن كل نقص لزم من ذلك تنزيهه عن العجز عن إعادة هذه العظام ، أيضاً بيده ملكوت كل شيء ربما نجعله دليلاً كيف ؟ لأن الذي يملك كل شيء ملكاً مطلقاً مبالغاً فيه بالواو والتاء نعم قادر على أن يحول هذه المملوك إلى ما شاء ولهذا المؤلف رحمه الله فسر الملكية هنا بالقدرة قال : " **القدرة على كل شيء** " ولكن كلامه فيه نظر بل نقول : مالك لك شيء وإذا ملكه ملكاً مطلقاً فهو قادر على أن إيش ؟ على أن يتصرف فيه كما شاء ، كم دليل هذا ؟

الطالب : ...

الشيخ : طيب العاشر ، قال : ((**وإليه ترجعون**)) تردون في الآخرة ، ((**إليه**)) لا إلى غيره ((**ترجعون**)) تردون في الآخرة ليجازيكم ووجه الدلالة من هذه الجملة أنه لا رجوع إلى الله في الآخرة إلا بعد إحياء هذه العظام الرميم ولو قلنا بعدم القدرة لانتفى الرجوع إلى الله وإذا انتفى الرجوع إلى الله صار وجود الدنيا كلها عبثاً ولعباً ، وهذا لاشك أنه منافٍ لكمال الله عز وجل فمجرد رجوعنا إلى الله يلزم منه القدرة على إيش ؟ على الإحياء كذا ولا يمكن أن نقول بعدم الرجوع لأننا لو قلنا بعدم الرجوع لكان إيجاد الخلق عبثاً وهذا ممتنع غاية الامتناع

فهذه عشرة أدلة في هذه الآيات على قدرة الله عز وجل على إيش ؟ على إحياء الموتى على إحياء العظام وهي رميم والله على كل شيء قدير يعني لو لم يكن عندنا إلا هذه الجملة العامة والله عل كل شيء قدير لكان كافياً في بيان قدرته سبحانه وتعالى على إعادة الموتى أو على إحياء العظام وهي رميم نعم .

قال تعالى : ((**أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**)) إلى آخره ، ما المراد بالإنسان ؟ الأخ . نبدأ أظن من ((**أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ**))

من فوائد الآيـة الكريمـة : بيـان أن الإنسـان خلـق مـن ضـعف لقـوله : ((**أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ**)) وهو كذلك .
ومن فوائدها أيضاً : أن هذا الإنسان الذي خلق من هذه المـادة الضـعيفة يترقى حتى يكون ذا خصومة مبينة لقوله : ((**فإذا هو خصيم مبين**)) .
ومن فوائد الآية الكريمة أيضاً : النداء علـى الإنسـان بـالظلم وجـه ذلـك كيف يكون هذا الذي خلق من هذه النطفـة يبلـغ بـه الحـد إلـى أن يكـون خصيماً لله عز وجل بين الخصومة لأن الإنسان يجب عليـه إذا نظـر إلـى أصله أن يعرف قدر نفسه لا أن يكون مخاصماً لربه عز وجل .
ومن فوائد الآية الكريمة : أن الخصومة بالباطل مذمومة ووجـه ذلـك أن الآية سيقت مساق الذم لما مسـاق ... أمـا الخصـومة هـي إثبـات الحـق وإبطال الباطل فإنها ممدوحة لقـول اللـه تعـالى : ((**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**)) [النحل:125] ولولا الجدال مع أهل الباطـل مـا تـبين الحـق ولا انـدحض الباطل فلابد للإنسان من الجدال في إثبات الحق وإبطال الباطل أمـا إذا كان الأمر بالعكس فإنه مذموم فمـن هنـا يمكـن أن نقسـم الجـدال إلـى ثلاثة أقسام :
جدال محمود مأمور به إما وجوباً أو استحباباً ، وجدال مذموم منهي عنه ، وجدال بين ، بين
أما الجدال الممدوح فهو الذي يقصد به إثبات الحق وإبطال الباطل فهذا مأمور به وهو كالجهاد في سبيل الله كما أن المجاهد مـأمور بـأن يحمـل السلاح ضد عدوه ويقاتله فطالب العلم مأمور بأن يحمـل السـلاح سـلاح العلم وهو المجادلة بالحق ليدحض به الباطل .
الثـاني : إيـش ؟ بـالعكس وهـذا مـذموم منهـي عنـه قـال اللـه تعـالى : ((**وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِـنْ بَعْـدِ مَـا اسْـتُجِيبَ لَـهُ حُجَّتُهُـمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**))[الشورى: 16]^.
الثالث : بين ، بين يعني لا يؤمر به ولا ينهى عنه لكن لاشك أن تركه أولى وهو الجدال في أمور لا تمس إلى الحق أو الباطل بصلة كما يحصـل فـي كثير من المجالس من المجادلات فهذا لاشـك أنـه لا خيـر فيـه وأنـه مـن المراء الذي ينبغي للإنسان تجنبه ثم إن أفضى إلـى مفسـدة كـان منهيـاً عنه إن أفضى إلى مفسدة ، وإن أفضى إلـى مصـلحة كـان مـأموراً بـه ، كيف يفضي إلى مفسدة ؟ يكون مع الجدال والمـراء والمحـاورة عـداوة بين المتجادلين أو تعصب لأحدهما من الحاضرين ويحصل في ذلك تحزبـا منفعة مثل أن يكـون المجـادل مغـروراً بنفسـه ويـرى أنـه لا يغلبـه أحـد فتجادله من أجل أن تكسر حدة هذا الغرور وإن كان لا يـترتب علـى هـذا

شيء من الفائدة في حد ذاته لكن فيه فائدة لغيره وهي كسر غرور هـذا الشخص حتى لا يبقى زاهياً بنفسه مترفعاً على غيره طيب .
ثم قال عز وجل : ((**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَـنْ يُحْـيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**)) مـن فوائـد هـذه الآيـة الكريمـة : أن المجـادل بالباطل يـأتي بالشـبهات الـتي ينشـر بهـا بـاطله لقـوله : ((**مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**)) فإن هذه شبهة تلبس على العامة لأنه لـم يقـل من يحي العظام فقط قـال : ((**وهي رميـم**)) فكيـف تحيـى بعـد أن رمت فأهل الباطل يأتون بالشبهات ليلبسوا على الناس .
ومن فوائد الآية الكريمة : أن هذا الإنسان استهان بربه حيـث ضـرب لـه الأمثال للتعجيز لقوله : ((**وضرب لنا مثلاً**)) يعنـي قـال : أنـا أضـرب لكم مثلاً بهذا الشيء الذي يعجز ((**من يحـي العظـام وهـي رميـم**)) .
ومن فوائد الآية الكريمة : أن المعارض للحـق قـد يصـرح بالإنكـار بـدون مراوغة لقوله : ((**من يحي العظـام**)) وأحيانـاً يـراوغ فأيهمـا يعنـي أهون ؟
الطالب : الذي يصرح .
الشيخ : الذي يصرحه ويبين لأن هذا يمكن أن يتقى شره أما المراغ فـإنه في الواقع خطر ولهذا كان خطر المنافقين على الإسلام أكثر مـن خطـر الكافرين الذين يصرحون بالعداوة لأن المنافقين يغرون الناس ولا يمكن التحرز منهم .
ثم قال الله عز وجل : ((**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُـوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**)) من فوائـد هـذه الآيـات : ((**قل يحييهـا**)) يعنـي الجواب على ما سبق ، بيان قوة الإقناع في إقامة الحجـة مـن كلام اللـه عز وجل يعني أن أقوى ما يسوق الحجج ويبينها هو كلام الله وهـو كـذلك لأن كلام الله عز وجل أبلـغ الكلام وأحسـنه قـال اللـه تعـالى : ((**ومن أحسن من الله حديثاً**)) كذا من أحسن من الله حديثاً أو مـن أصـدق ؟ ((**من أصدق من الله حديثاً**)) فحـديث اللـه عـز وجـل لاشـك أن أصدق الحديث وأتمه وأحسنه في الإقناع وإقامة الحجة .
ومن فوائد الآية الكريمة : الاستدلال بالأشد على إمكـان الأخـف لقـوله : ((**يحييها الذي أنشأها أول مرة**)) وقد استدل بالأشد علـى أمكـان الأخف ، ما هو الأشد في ما ...؟ الأشد إحياءها أول مرة والأخف الإعادة .
ومن فوائد الآية الكريمة : أنه ينبغي للمستدل المناظر أن يـأتي بالشـيء الذي يقر به خصمه من أجل أن تقوم عليه الحجة كيف ذلك ؟ لأنـه قـال : ((**يحييها الذي أنشأها أول مرة**)) والخصـم هنـا هـل ينكـر أن اللـه أنشأها أول مرة ؟ لا ينكر فينبغي أن تأتي بالشيء الذي يقـر بـه خصـمك لتقيم الحجة عليه بإقراره وهذا أدب من أدب المنـاظرة لأنـه أقـرب إلـى الإقناع وله نظائر

منها أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ناظر الذي حاجه في ربه فقال إبراهيم : ربي الذي يحيي ويميت ، قال : أنا أحيي وأميت فعدل إبراهيم عن ذلك وقال : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق وهذا يقر به الخصم فأت بها من المغرب وهذا لا يمكن الخصم أن يقوم به فالحاصل أنه ينبغي للإنسان أن يأتي خصمه من الوجهة التي يقر بها حتى يقيم عليه الحجة .

ومن فوائد الآية الكريمة : تمام قدرة الله سبحانه وتعالى بإنشاء هذه العظام لأول مرة لأنه لا أحد يستطيع أن يخلق هذه العظام **((يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ))**[الحج:73]^مع أن الذباب ليس فيه العظام القوية الصلبة فإذا كانوا لا يقدرون على ذلك فهم على ما هو أعظم أعجز .

ومن فوائد الآية الكريمة : علم الله سبحانه وتعالى بكل خلق كذا ، هل سبق لنا في التفسير هل الخلق هنا بمعنى المخلوق ؟ أو بمعنى الفعل ؟ ذكرنا أنه يحتمل الأمرين لكنه احتمال الفعل أكثر يعني كل خلق فالله عليم به ومن المعلوم أن العالم بالخلق عالم بالمخلوق كما قال تعالى : **((أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ))**[الملك:14]^طيب إذاً يستفاد من ذلك عموم علم الله سبحانه وتعالى بكل خلق أي بكل صنع يصنعه مما نتصور ومما لا نتصور وبكل مخلوق لأن العالم بالخلق عالم بالمخلوق طيب .

ثم قال تعالى : **((الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ))** من فوائد هذه الآية الكريمة : بيان قدرة الله عز وجل حيث يتولد من هذا الشيء الرطب البارد شيء حار يابس فتولد الشيء من ضده دليل على كمال القدرة لأن العادة أن الضدين متنافران لا يلتقيان أبداً وهنا صار أحدهما يتولد من الآخر

ومن فوائدها أيضاً : الاستدلال بالأشد على الأخف لأن التناقض بين الرطب واليابس والحار والبارد أعظم من أن يعاد الخلق أو تعاد العظام بعد رميمها فالقادر على هذا الشيء قادر على إحياء الموتى طيب .

ومن فوائد الآية الكريمة : بيان نعمة الله علينا بهذا الجعل أي بجعله من هذا الشجر الأخضر ناراً وجه الدلالة

((الذي جعل لكم)) وإلا لكان يكتفى فيقال : الذي جعل من الشجر الأخضر نارا ، لكن ذلك لمصلحتنا ففيه نعمة من الله عز وجل على عباده بهذه النار وقد قرر الله هذه النعمة في قوله : **((أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون))**[الواقعة 70:71]^ولا أحد ينكر ما في الطاقة الحرارية من المنافع العظيمة للخلق فأنواعها بل أجناسها لا تحصى فضلا عن أفرادها .

ومن فوائد الآيـة الكريمـة : تقريـر الشـيء بـالواقع يعنـي بـدل أن نلقيـه تصوراً في الذهن نذكر واقعه بالفعل من أين تؤخذ ؟ من قوله : **((فإذا أنتم منه توقدون))** فهو بين أنه جعل لنا من الشجر الأخضر ناراً وهذا يعطينا تصوراً بأن الله سبحانه وتعالى جعل لنا من الشـجر الأخضـر نـاراً نستفيد منها ثم بيـن ذلـك بـذكر الأمـر أو حقـق ذلـك بـذكر الأمـر الواقـع **((فإذا أنتم منه توقدون))** تحسونه بواقعكم وتلمسونه بأيديكم .

ثم قال الله عز وجـل : **((أَوَلَيْسَ الَّـذِي خَلَـقَ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَـادِرٍ عَلَـى أَنْ يَخْلُـقَ مِثْلَهُـمْ بَلَـى))** هـذه الآيـة مـن فوائـدها : الاستدلال بالأشد على الأخف لأن اللـه تعـالى اسـتدل بخلـق السـماوات والأرض أو بقدرته على خلق السماوات والأرض على قـدرته علـى إحيـاء العظام وهي رميم .

ومن فوائد الآية الكريمة : بيان قدرة الله سبحانه وتعالى وعظمته حيـث خلق هذه السماوات والأرض بما فيهما من المصـالح والمنـافع والأجـرام الثابتة وغير الثابتة وهذا دليل على كمال قدرته سبحانه وتعالى ، وفي كم يوم خلق الله السماوات والأرض ؟ في ستة أيـام ومـع عظمتهـا وسـعتها وكبرها قال اللـه تعـالى : **((وَلَقَدْ خَلَقْنَـا السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَـا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ))**[ق:38]^أي من تعب وإعياء .

من فوائد هذه الآية الكريمة : الرد على الفلاسفة الـذي يقولـون : بقـدم الأفلاك وجه ذلك أنه قال : **((خلق السماوات والأرض))** أي أوجدها من العدم ومعلوم أن الموجد ليس بإيش ؟ ليس بقديم والقـديم عنـدهم هو الأزلي الذي لا بداية له فالسماوات والأرض كانت معدومة ثم أوجدت بقدرة الله سبحانه وتعالى وأما من قـال بقـدم الأفلاك وأنـه لـم تـزل ولا تزال هذه الطبيعة فإنه ضال لا يعلم عن هذا شيئاً لأنه بنى الأمر على غير دليل عقلي ولا نقلـي بـل إن الـدليل العقلـي والنقلـي يـدل علـى إمكـان حدوث هذه الأفلاك وأنها حادثة طيب .

ومن فوائد الآية الكريمة : جواز إجابة السائل نفسه في الأمـر المتحقـق المتقرر لقوله : **((بلى))** إذ قد يقول قائل : إن إجابة المتكلم نفسـه لا معنى لها لأن إجابته دعوى أو تقرير لدعوى ادعاها فيقال : إذا كان الأمـر ثابتاً واقعاً فإن أجابته نفسه لا تأتي بشيء جديد سوى أنه يقـرر مـا كـان واقعاً معلوماً للمخاطب ولهذا قال : **((بلى وهـو الخلاق العليـم))** وفـي هـذه الآيـة فائـدة نحويـة وهـي أن جـواب الاسـتفهام أن جـواب الاستفهام المقرون بالنفي إذا أريد إثباته يقال فيه : بلـى ولا يقـال : نعـم لأنك لو أجبت بنعم لكان ذلك تقريراً للمنفي ، يعني تقريراً لنفي المنفـي ، لو قلت أليس زيد بقائم ؟ لو قلت نعم يعني قـررت النفـي ليـس بقـائم فإن قلت **((بلى))** فقد أثبت القيام طيب .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن الخلق وصف الله عز وجل الذي هو متصف به أزلا وأبداً لقوله : ((**وهو الخلاق العليم**)) فهو موصوف بالخلق من قبل أن يخلق لأن صفة الخلق أزلية والمخلوق حادث فهو عز وجل متصف بالخلق ولهذا قلنا : إن النسبة في قوله : ((**وهو الخلاق**)) أظهر من كونها للمبالغة طيب .
ومن فوائد الآية الكريمة : وصف الله تعالى بالعلم الأزلي لقوله : ((**العليم**)) ولا شك أن الله تعالى موصوف بالعلم أزلاً وأبداً فإنه لم يزل ولا يزال عالماً لم يسبق علمه جهل ولا يلحقه نسيان كما قال موسى عليه الصلاة والسلام : ((**عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى**))[طه:52]^ .
ثم قال : ((**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**))
من فوائد هذه الآية : الاستدلال بإيش ؟ الاستدلال بعموم قدرته عز وجل وتمامها على قدرته على إحياء الموتى .
ومن فوائدها أيضاً : بيان قدرة الله سبحانه وتعالى التامة التي لا يضاهيها ولا يقاربها قدرة لأنه إذا أراد شيئاً لم يتكلف بإحضار المواد أو غيرها مما يتكون منه هذا الشيء وإنما يقول إيش ؟ ((**كن فيكون**)) .
ومن فوائدها : إثبات الإرادة لله لقوله : ((**إذا أراد شيئاً**)) وإرادة الله سبحانه وتعالى تنقسم إلى : شرعية وكونية فالشرعية هي التي بمعنى المحبة والكونية هي التي بمعنى المشيئة والفرق بينهما من حيث الأثر أن الإرادة الكونية لابد فيها من وقوع المراد هذا واحد .
والثاني : أن المراد فيها قد يكون محبوباً لله وقد يكون غير محبوب له ، أما الإرادة الشرعية فقد يقع فيها المراد وقد لا يقع ولا يكون المراد فيها إلا محبوباً لله واضح
طيب فإذا قال لك قائل : هل الله يريد الكفر ؟ فقل له أما شرعاً فلا وأما كوناً فنعم ولو قال لك قائل : هل الله يريد الإيمان ؟ تقول نعم يريده شرعاً وقدراً إن وقع ، إن كان واقعاً فقد أراده قدراً وإلا إذا لم يقع فلا نعلم هل أراده قدراً أو لا ، بل نقول : إنه الآن لم يرده قدراً نعم .
الطالب : ...
الشيخ : لا .
يقول الله عز وجل : ((**الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ**)) وقفنا على هذا في الفوائد نعم .
قال الله تعالى : ((**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**)) في هذه الآية الكريمة فوائد :
منها : بيان قدرة الله عز وجل وأنه إذا أراد شيئاً أي شيء يكون فإنما يقول له : ((**كن فيكون**)) .

ومنها : إثبات الإرادة لله لقوله : **((إذا أراد شيئاً))** وسبق لنا في التفسير أن إرادة الله تنقسم إلى قسمين : شرعية وكونية وبينا الفرق بينهما .
ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات القول لله لقوله : **((أن يقول له كن فيكون))** .
ومن فوائدها : أن كلام الله عز وجل يكون بحرف لقوله : **((كن))** فإن **((كن))** كلمة مكونة من حرفين وإثبات أنه بصوت لقوله : **((أن يقول له كن فيكون))** فهذا خطاب موجه لما أراده الله وهو يقتضي أن يكون هذا المراد سامعاً لهذا القول ولا سماع إلا بإيش ؟ إلا بصوت فيكون في الآية رد على قول الأشاعرة في كلام الله عز وجل حيث يقولون : " إن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه وأن ما يسمع من الأصوات والحروف فهو عبارة عن كلام الله ويرون أن هذا المسموع مخلوق " ولهذا قال بعض المحققين منهم أو المنصفين منهم إنه في الحقيقة لا فرق بيننا وبين المعتزلة في كلام الله ، لأننا متفقون على أن ما بين دفتي المصحف فهو مخلوق فإذا كانوا متفقين على هذا فإن قول المعتزلة قد يكون خيراً من قولهم لأن المعتزلة يقولون : " إن ما بين دفتي المصحف كلام الله " كل يقول مخلوق لكن المعتزلة يقولون : إنه كلام الله ، والأشاعرة يقولون : إنه عبارة عن كلام الله فإضافته إلى الله على رأي الأشعرية مجاز لا حقيقة
على كل حال في الآية رد على الأشعرية في تفسيرهم لكلام الله عز وجل وحقيقة الأمر أنهم لا يثبتون الكلام لأنه إذا جعلوا الكلام هو المعنى القائم بالنفس فكأنما جعلوا الكلام هو العلم لأن العلم هو المعنى القائم بالنفس أما الكلام والقول فهو أمر زائد على ذلك .
ومن فوائد الآية الكريمة : أن أمر الله عز وجل إذا وجه لشيء فإن هذا الشيء يكون كما أمر لقوله : **((كن فيكون))** أي فيكون على ما أمر الله به بالعين والوصف فإذا أراد الله إيجاد شيء قال : **((كن))** فكان على حسب ما أراده الله عز وجل .
ثم قال تعالى : **((فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))** في الآية الكريمة من الفوائد : تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل نقص وعيب ويؤخذ من قوله : **((فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ))**
((سبحان)) ومر علينا في التفسير أن الذي ينزه الله عنه أمران : النقص في صفاته ومماثلة المخلوقين ، فعلمه عز وجل لا يناله نقص لا من حيث الشمول ولا من حيث السبق ولا من حيث اللحوق ولا يماثل علم المخلوقين وهكذا بقية الصفات .
ومن فوائدها : أن ملكوت السماء والأرض وكل شيء فهو بيد الله عز وجل لقوله : **((الذي بيده ملكوت كل شيء))** فهو مالك لكل شيء

ولا أحد يشركه في ملكه كما قال الله تعالى : ((**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**))[سبأ:23]^ .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن مرجع الخلائق إلى الله لقوله : ((**وإليه ترجعون**)) وهذا الرجوع يشمل الرجوع إلى الله تعالى يوم القيامة والرجوع إلى الله تعالى في أحكام الخلق الكونية والشرعية كما قال تعالى : ((**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ**)) [الشورى:10]^وقال تعالى : ((**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**))[النساء:59]^ .

ومن فوائد الآية الكريمة : بيان حكمة الله سبحانه وتعالى وذلك بكون الرجوع إليه وأنه لابد من الرجوع إلى الله لأنه لولا هذا الرجوع لكان خلق الخلق عبثاً لا فائدة منه إذ أنه لولا هذا الرجوع والمجازاة على العمل في هذا الرجوع لكانت الخليقة خلقت ليفسد في الأرض من يفسد ويحصل الفتن والشرور والنهاية لاشيء طيب ، في هذه الآيات كلها إثبات قدرة الله سبحانه وتعالى على إحياء العظام وهي رميم وذلك من عشرة أوجه :

الأول : قوله : ((**قل يحييها الذي أنشأها أول مرة**)) فإن فيه استدلال بالأشد على الأخف .

الثاني : قوله : ((**وهو بكل خلق عليم**)) وعلمه بكل خلق يقتضي أنه سبحانه وتعالى قادر على إحياء العظام وهي رميم .

الثالث : قوله : ((**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً**)) فإن من جعل من هذا الأخضر البارد الرطب ناراً وهي يابسة محرقة قادر على أن يعيد الخلق لأن هذا أبلغ في القدرة أعني جعل النار من الشجر الأخضر .

الرابع : خلق السماوات والأرض ، قدرته على خلق السماوات والأرض دليل على قدرته على إحياء العظام وهي رميم لأن خلق السماوات والأرض أعظم ((**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ**))[يس:81]^ .

الخامس والسادس : ((**الخلاق العليم**)) والخلاق صفة لازمة له وكونه خلاقاً يشمل أن يخلق كل شيء وكونه عليماً يدل على أنه لا يخفى عليه شيء من الخلق حتى يعجز عنه .

السابع : أنه لا يستعصي عليه شيء بل إذا أمر بشيء كان في الحال لقوله : ((**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**)) .

الثامن : تنزيه الله عز وجل عن كل نقص ومن المعلوم أن العاجز عن إعادة الخلق ناقص فإذا كان منزهاً عن كل نقص كان من الممكن أن يقع ما وعد به من إحياء العظام وهي رميم .
والتاسع : أن بيده ملكوت كل شيء ومن بيده ملكوت كل شيء يعني أنه مالك لكل شيء فإنه قادر على أن يوجد المعدوم ويعدم الموجود .
العاشر : قوله : ((**وإليه ترجعون**)) فإن هذا هو نتيجة الخلق أن يبعث الخلق ويرجعون إلى الله ليجازيهم بما عملوا .
وإلى هنا انتهت هذه السورة العظيمة وإذا شئتم أن نجعل فيها مراجعة في الدروس المستقبلة كما هي العادة في الفقه إذا انتهينا من الفصل عدنا وراجعنا ما قرأنا .
الطالب : ...
الشيخ : والذي ...في الماضي .
الطالب : ...
الشيخ : إذا رأيتم أن نتخذ هذا الطريق أننا كلما خلصنا من سورة رجعنا إليها للمناقشة أو تحبون أن نعطيكم أسئلة عليها تكتبونها فكروا في الموضوع إلى بكرة إن شاء الله طيب .
ثم قال تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم الكلام على البسملة يقول المؤلف :" **سورة الصافات مكية مائة وثنتان وثمانون آية** " المكية هي التي نزلت قبل الهجرة فكل ما نزل قبل الهجرة فهو مكي وإن نزل في غير مكة وكلما نزل بعد الهجرة فهو مدني وإن نزل في مكة وعليه فإن قوله تعالى : ((**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**))[المائدة:3]^التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة من المدني هذا أصح الأقوال فيما ...للمكي والمدني ، أن ما نزل بعد الهجرة مدني وما نزل قبلها مكي .
أما البسملة بسم الله الرحمن الرحيم فإنها آية من كتاب الله مستقلة ولهذا لا تحسب من آيات السورة التي بعدها حتى في الفاتحة على القول الراجح أنها ليست من السورة وعلى هذا فالترقيم الموجود في المصاحف على خلاف القول الراجح فإن الترقيم الموجود في المصاحف في الفاتحة عدت فيه البسملة آية من آياتها والصحيح أنه كغيرها من السور أن البسملة فيها آية مستقلة لا تحسب من آياتها.
وهي مذكورة قبل كل سورة إلا سورة براءة فإن سورة براءة لم يتقدمها بسملة لم اذا ؟ قيل لأنها نزلت بالسيف والبسملة رحمة فلا يناسب أن يذكر قبلها بسملة ولكن هذا ليس بصحيح بل الصحيح أن الصحابة رضي الله عنهم لما كتبوا المصحف أشكل عليهم هل براءة من الأنفال أو ليست من الأنفال فتركوها تركوا البسملة ووضعوا خطاً فاصلاً بينها وبين سورة الأنفال دون أن يضعوا البسملة ونحن نعلم أنها لو نزلت البسملة قبل سورة براءة لثبتت لأن الله يقول : ((**إنا نحن نزلنا**

الذكر وإنا له لحافظون)) فيكون اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم في ذلك مطابقاً للواقع أي مطابقاً لكونها لم تنزل في أول هذه السورة أما من حيث معناها ، فإن قول القائل : بسم الله يعني بكل اسم من أسماء الله وإنما قلنا بكل اسم من أسماء الله لأن اسم مفرد مضاف فيكون للعموم فليس قول القائل : بسم الله يعني اسماً واحداً من أسماء الله بل يعني جميع أسماء الله وهذا يدلك على عظمة هذه البسملة أنك تبتدئ متبركاً ومستعيناً بكل اسم من أسماء الله عز وجل ، والباء فيها للمصاحبة والاستعانة ، للمصاحبة من أجل حصول بركتها فإن البسملة فيها بركة ولذلك إذا ذكرت على الذبيحة صارت الذبيحة حلالاً طاهرة ، وإذا لم تذكر صارت حراماً نجسة ، إذا ذكرت قبل الوضوء صار الوضوء صحيحاً وإذا لم تذكر صار الوضوء فاسداً على قول من يرى أن البسملة من شروط الوضوء أو من واجبات الوضوء ولكن القول الراجح أن البسملة في الوضوء أنها سنة لقول الإمام أحمد رحمه الله : " **لا يثبت في هذا الباب أي باب التسمية في الوضوء شيء** " إذا ذكرت على الطعام طردت الشيطان عنه وإن لم يذكر فإن الشيطان يشارك الآكل والشارب

المهم أنها بركة ولهذا نقول الباء للمصاحبة أي أن المبسمل يستصحب ببسملته البركة والاستعانة لأنها تعين الإنسان على مهماته نعم

وأما الله فهو العلم الخاص بالله سبحانه وتعالى لا يسمى به غير الله ومعناه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين أي أن إله بمعنى مألوه أي معبود فإذا قال قائل : أين الهمزة إذا قلت إن أصله إله فالجواب أنها حذفت للتخفيف لكثرة الاستعمال كما حذفت من ناس وأصلها أناس وحذفت من شر وخير وأصلها أشر وأخير

أما الرحمن فهي اسم من أسماء الله والرحيم كذلك اسم من أسمائه والفرق بينهما أن الرحمن باعتبار الوصف والرحيم باعتبار الفعل ولهذا جاءت الرحمن بهذا الصيغة الدالة على السعة فرحمة الله تعالى واسعة شاملة لكل شيء ، وأما الرحيم فهو الموصل رحمته إلى خلقه ونقسم الرحمة باعتبار اسم الرحيم إلى قسمين : عامة وخاصة ، أما الرحمن باعتبار الوصف فهو عام يعني لأنه هو .